الغلاف الخلفي
يجب أن يدرك الداروينيون والمادّيون أن الكيان المُطْلَق الوحيد هو الله. وأمام هذه الحقيقة، تقع جميع المعتقدات الزائفة في مأزق لا يمكن تخطيه. وسِع الله كل شيءٍ بعظمته سبحانه، فكل شيء ملك له وخاضع لحكمه وأمره.

يتناول هذا الكتاب خطأ المادّيين فيما يتعلق ب"الحقيقة المطلقة للمادة"، ومعضلة الداروينية، والوجود المؤكد للروح. إن إنكار وجود الروح هو مجرد وهم، والكيان المُطْلَق الوحيد الذي يحكم الكون بأكمله هو الله. من الآن فصاعدًا، هؤلاء ذوو العقول السليمة الذين يدركون هذه الحقيقة سوف ينظرون إلى العالم من منظور مختلف، وسيدركون أن الله هو مُخلِّصهم الوحيد. يجب أن يسير الناس في ضوء هذا الفهم من أجل النجاة في الآخرة، وهي الحياة الحقيقية.

عن المؤلف
وُلِد عدنان أوكطار (الذي يكتب تحت اسم مستعار وهو هارون يحيى) في أنقرة عام 1956. درس الفنون في جامعة معمار سنان بإسطنبول، ثم درس الفلسفة في جامعة إسطنبول. منذ ثمانينيَّات القرن الماضي، قام المؤلف بنشر العديد من الكتب حول قضايا سياسية، وإيمانية، وعلمية. لقت أعماله تقديرًا جمًا في جميع أنحاء العالم، وكان لها دورًا أساسيًا في مساعدة الكثيرين في استعادة إيمانهم بالله، وفهمهم دينهم بشكل أعمق. تجذب كُتب هارون يحيى جميع أنواع القُرّاء بغض النظر عن السن أو العِرق أو الجنسية، لأنها تركز على هدف واحد وهو توسيع منظور القارئ من خلال تشجيعه على التفكير في عدد من القضايا الهامة، مثل وجود الله ووحدته والعيش وِفق القيم التي وضعها للناس.

الطبعة الإنجليزية الأولى – يناير 2008

# معضلة داروين:
# الروح
# هارون يحيى

## عن المؤلِف
وُلِد عدنان أوكطار (الذي يكتب تحت اسم مستعار وهو هارون يحيى) في أنقرة عام 1956. أكمل تعليمه الابتدائي والثانوي في أنقرة، ودرس الفنون في جامعة معمار سنان بإسطنبول، ثم درس الفلسفة في جامعة إسطنبول. منذ ثمانينيَّات القرن الماضي، قام المؤلف بنشر العديد من الكتب حول قضايا سياسية، وإيمانية، وعلمية. هارون يحيى هو مؤلف معروف بأعماله الهامّة التي تكشف خداع أنصار التطور، ومزاعمهم الباطلة، والعلاقة المظلمة بين الداروينية والأيديولوجيات الدموية كالفاشية والشيوعية.

تُرجمت أعمال هارون يحيى إلى 57 لغة مختلفة، وتشكل ما يزيد مجموعه عن 45 ألف صفحة و30 ألف رسم توضيحي.

اسمه المستعار هو اسم مركب من اسمين هما: هارون، ويحيى، تخليدًا لاسميّ اثنين من أعظم الأنبياء الذين كافحوا من أجل دعوة قومهم إلى الإيمان. استخدم الكاتب نقش خاتم النبي (صلى الله عليه وسلم) على أغلفة كتبه كشيء رمزي مرتبط بمحتويات هذه الكتب، فهو يمثل القرآن وهو خاتم الكتب والنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو خاتم الأنبياء. في إطار توجيهات القرآن والسنة (تعاليم النبي)، جعل الكاتب هدفه دحض المبادئ الأساسية للأيديولوجيات الإلحادية، وأن تكون له "الكلمة الأخيرة" التي تُسكِت الاعتراضات التي أُثيرت ضد الدين تمامًا. بلغ النبي (صلى الله عليه وسلم) من الحكمة وكمال الأخلاق ما لم يبلغه أحد من البشر، لذا يستخدم الكاتب نقش خاتم النبيين كعلامة على عزمه على تقديم الكلمة الأخيرة.

تشترك جميع أعمال هارون يحيى في هدف واحد، ألا وهو نقل رسالة القرآن، وتشجيع القُرّاء على التفكير في قضايا إيمانية أساسية مثل وجود الله ووحدته والآخرة، ولكشف ضعف أسس المعتقدات الملحدة المنحرفة.

يحظى هارون يحيى بقاعدة عريضة من القراء في العديد من البلدان، كالهند، وأمريكا، وإنجلترا، وإندونيسيا، وبولندا، والبوسنة، وأسبانيا، والبرازيل، وماليزيا، وإيطاليا، وفرنسا، وبلغاريا، وروسيا. تتوفر بعض كتبه بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية والأردية والعربية والألبانية والصينية والسواحلية والهوسية والديفيهية (لغة موريشيوس) والروسية والصربية الكرواتية (البوسنوية) والبولندية والملايوية والأويغورية التركية والإندونيسية والبنغالية والدنماركية والسويدية.

لقت أعماله تقديرًا جمًا في جميع أنحاء العالم، وكان لها دورًا أساسيًا في مساعدة الكثيرين في استعادة إيمانهم بالله، وفهمهم دينهم بشكل أعمق. الحكمة والصدق اللّتان تجدهما في كتبه، إلى جانب أسلوبه المميز سهل الفهم تؤثر بشكل مباشر على أي شخص يقرأ هذه الكتب. من يقرأ هذه الكتب ويفكر جديًا، لن يكون مؤيدًا للإلحاد ولا لأي أيديولوجية منحرفة أخرى، ولا للفلسفة المادّية حيث تتميز هذه الكتب بسرعة فعاليتها ونتائجها المؤكدة وبالتالي استحالة رفضها أو دحضها. حتى ولو استمر هؤلاء في معتقداتهم الخاطئة، ستكون هذه الكتب عبئًا على ضمائرهم إذ أنها تدحض الأسس التي تقوم عليها هذه الأيديولوجيات. جميع الحركات الكافرة المعاصرة استطاع هارون يحيى هزيمتها فكريًا بفضل كتبه.

لا شك في أن هذا هو ناتج من حكمة القرآن ونقاءه ووضوحه. لا يسعى الكاتب لأي مكسب مادّي من وراء نشر أعماله، وإنما يريد أن تكون أعماله بمثابة وسيلة تساعد الناس على الوصول إلى طريق الله.
كل من يشجع الآخرين على قراءة هذه الكتب، ويفتح أذهانهم وقلوبهم ويرشدهم ليكونوا أكثر إيمانًا بالله، فهو يقدّم خدمة عظيمة لا تُقدَّر بثمن.
في الوقت نفسه، فإنه من مضيعة الوقت والجهد نشر الكتب الأخرى التي تُسبِّب تشوشًا في عقول الناس، وتقودهم إلى حالة من الفوضى الفكرية، والتي ليس لديها آثار قوية ودقيقة في إزالة الشك من قلوب الناس، بناءً على تجارب الكثيرين منهم. أما الكتب التي كُتِبت لإبراز قوة المؤلف الأدبية لا لهدف نبيل كإنقاذ الناس من ضياع إيمانهم فمن المستحيل أيضًا أن يكون لها تأثير كبير على الناس. ومن يشكك في ذلك يمكنه بسهولة رؤية الهدف الوحيد من كتب هارون يحيى، ألا وهو هزيمة الكفر ونشر قيم القرآن الأخلاقية. يتجلى تأثير هذه الكتب ونجاحها في اقتناع القراء بها.

ثَمّة نقطة يجب أن تُأخذ في الاعتبار، أن السبب الرئيسي لاستمرار العنف والصراعات والمحن الأخرى التي يعاني منها الغالبية العظمة من الناس، هو انتشار الكُفر، ويمكن لذلك أن ينتهي فقط بهزيمة أيديولوجية الكفر، وبإيصال معجزات الخلق والأخلاق القرآنية للناس ليعيشوا بها. وبالنظر إلى حالة العالم في يومنا هذا، حيث يقودنا إلى دوامة من العنف والفساد والصراعات، أصبح ضروريًا نشر هذه الكتب بشكل فعّال وسريع قبل فوات الأوان.

في إطار هذا المجهود، تلعب كُتُب هارون يحيى دورًا رائدًا، وستكون هذه الكتب إن شاء الله الوسيلة التي يمكن للناس في القرن الحادي والعشرين من خلالها أن يحققوا السلام والعدل والسعادة التي وعد القرآن بها.

معضلة داروين:
الروح
هارون يحيى

إلى القارئ

تم تخصيص فصلًا كاملًا في هذا الكتاب لهدم نظرية التطور لأنها تمثِّل أساس كل الفلسفات اللادينيّة. نظرًا لأن الداروينية تنكر حقيقة الخلق –وبالتالي وجود الله- خلال ال 150 سنة الماضية، مما جعل الكثير من الناس يتشككون في دينهم أو يتركونه، فإنه أمر حتمي وواجب أن نوضح للجميع أن هذه النظرية مضللة. قد يتاح لبعض القُراء الفرصة لقراءة كتاب واحد فقط كتبنا، لذلك نرى أنه يجب تخصيص فصل لتلخيص هذا الموضوع.

جميع كتب المؤلف تشرح قضايا إيمانية في ضوء الآيات القرآنية، وتدعو القُرّاء لتعلم كلام الله والعيش به. تشرح الكتب آيات الله أيضًا حتى لا تترك مجالًا للشك أو الأسئلة في ذهن القارئ. تتميز هذه الكتب بأسلوب بسيط، صادق، وفصيح، مما يضمن للقراء من جميع الأعمار ومن جميع الفئات الاجتماعية أن يفهموها بسهولة، فبسبب أسلوبها الفعّال المفهوم يمكن للقراء أن يقرأوا الكتاب في جلسة واحدة. حتى هؤلاء الذين ينكرون الأديان بشدّة يتأثرون بالحقائق المُوثّقة في هذه الكتب، ولا يستطيعون دحض مصداقية محتوياتها.

هذا الكتاب وجميع الكتب الأخرى التي كتبها المؤلف يمكن قراءتها قراءة فردية، أو مناقشتها في مجموعة. القراء الحريصون على الاستفادة من الكتب سوف يجدوا النقاش فيها مفيدًا للغاية، مما يتيح لهم ربط أفكارهم وخبراتهم ببعضها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن المساهمة في نشر وقراءة هذه الكتب يُعدّ خدمة عظيمة للإسلام، إذ أنها كُتِبت فقط ابتغاء رضوان الله تعالى. يعتبر تشجيع الآخرين على قراءة هذه الكتب أحد أهم الوسائل لإيصال الدين بالصورة الصحيحة لهم، لقدرة هذه الكتب على الإقناع.

نأمل أن ينظر القارئ إلى استعراضات الكتب الأخرى للمؤلف في الجزء الخلفي من هذا الكتاب، فهي تمثل مادة غنية للقضايا الإيمانية، فبالإضافة إلى أنها مفيدة جدًا للقارئ، فهي ممتعة كذلك.
بخلاف بعض الكتب الأخرى، لن تجد في هذه الكتب وجهة النظر الشخصية للمؤلف، أو تفسيرات تستند على مصادر مشكوك فيها، أو أساليب لا تراعي الاحترام والتبجيل وخصوصًا أنها تتحدث عن مواضيع مقدّسة، لن تجد كذلك حججًا متشائمة ميئوس منها والتي تسبب شكوك في الذهن وانحرافات في القلب.

فهرس


مقدّمة 10

انهيار المادية واختفائها 16

العالَم الخارجي وراء فيزياء الكمّ 46

المخ ليس هو مصدر هوية الإنسان 142

معضلة داروين: الروح 186

إدراك الوقت، وحقيقة القدر 210

خاتمة 246

ملحق: خِداع التطور 250

# مقدمة

شهدت بداية القرن العشرين اكتشافًا جديدًا قام العلماء باكتشافه بشأن مادةٍ جديدة تختلف عن أغلب المواد التي نعرفها، لم تكن تلك المادة صلبة، كانت عديمة اللون والرائحة، لم يكن لها صورة معينة ولم يصدر عنها أي صوت. تلك المادة ببساطة هي الطاقة. ذلك الكرسي الذي تجلس عليه، الطاولة التي تستند عليها، المنزل الذي تعيش فيه، حيواناتك الأليفة، الناس من حولك، المباني، الفضاء، النجوم، باختصار فإن كل المواد الموجودة في هذا العالم تتواجد في صورة من صورة الطاقة.

في مواجهة هذا الاكتشاف الغير متوقع، واجهت كل الفلسفات القائمة على أساس المادة خطر الانهيار العلمي، فقد كشف العلم دليلًا على وجود شيء ما بداخل الجسم البشري وغير تابع له في ذات الوقت، شيء جديد أدركه عالم الفيزياء على الرغم من أنه لم يكن ماديًا ملموسًا، إنها الروح.

لم يكن للروح أي تفسيرٍ أو شرح في المنهج المادي. الدراوينية على سبيل المثال التي أنتجت عددًا غير محدود من الحكايات الوهمية فيما يتعلق بالتطور الوهمي للأنواع، وقفت صامتةً أمام حقيقة وجود الروح، فنظرًا لكون الروح أمرٌ غيرَ مادي تم التعامل معها على كونها مفهوم ميتافيزيقي، في الوقت الذي رفض فيه الماديون أية مفاهيم ميتافيزيقية لأن هذه المفاهيم تنسف بشكل كامل مزاعمهم حول دور الصدفة والعمليات العشوائية في نشأة الكون ووجود الأنواع. قدمت الميتافيزيقيا تفسيرًا ودليلًا على وجود خالق مبدع، أو بمعنىً آخر، قدمت الدليل على وجود الله. لهذا السبب، عمدَ الماديون على رفض وجود الروح على مدار التاريخ بداية من التاريخ اليوناني القديم.

استمرت تلك الجدلية منذ العصور اليونانية القديمة وحتى يومنا هذا، إلا أنها أصبحت اليوم بلا معنى نظرًا لوجود كينونة تجعل من الإنسان إنسانًا حيًا، وهي ما تجعلك تقول "هذا أنا"، أو بكلمات أخرى، نتحدث هنا عن وجود الروح، والتي يرجع وجودها لله سبحانه وتعالى. أثبت العِلم بشكلٍ قاطعٍ أن الروح تسيطر على كل شيء وأن هناك حقيقة وواقع وراء ذلك التصور عن الروح، كما أثبت أنه لا يوجد حياة لانهائية أو خلود سوى لله سبحانه وتعالى.

هذا الإثبات العلمي كان من الأهمية بما يكفي لإقناع العقول التي تتبني الفلسفة المادية. في الواقع، كل من يمتلكون الفكر والعقل الراجح يدركون تمامًا وجود الروح. كل من يستطيع التفكير سيتوصل إلى حقيقة وجود الروح، وأن تلك الروح تبتهج، تفكر، تقرر، تحكم، تشعر بالسعادة والنشوة، تحب، تشفق، تقلق، تستمتع، تسعد بسماع الموسيقى، تبني خططًا وترتفع لتبلغ عنان السماء، تلك الروح تبني تلك المعامل التي يجري فيها البحث عن الروح واختبار وجودها.

إذا كانت تلك الأرواح هي التي تتحكم في حياة البشر، فمن المستحيل أن يكون البشر قد خُلقوا هباءً أو بشكلٍ عشوائي، هناك هدفٌ ما وراء وجودنا في هذا العالم. يحمل كل إنسان روحًا خلقها الله بداخله ليختبره خلال حياته، ليكون بعد ذلك مسئولًا عن أفكاره وأفعاله، لا يوجد مكان للعشوائية أو العدمية في هذه الحياة، لا يوجد شيء جاء بالصدفة كما تزعم الداروينية. لقد خلق كل شيء بإرادة الله سبحانه ليكون جزءًا من ذلك الاختبار الذي نمر به. في هذه الحياة، والتي تنتهي بالموت حتمًا، كل ما سنتركه خلفنا هو الجسد فقط، في حين أن الروح تعيش للأبد وتنتقل من الدنيا للآخرة، وهو الهدف الرئيسي الذي خلقت له.

إن هذا الأمر لهو بمثابة البُشرى لأي إنسانٍ يُدرك أن هناك روح وأن هناك خالقٌ لتلك الروح. أتباع داروين، على النقيض، يستمرون في رفض هذه الحقيقة بكل ما أوتوا من قوة ويصرون على عدم وجود الروح، يرفضون الاعتراف أنهم سيقفون في يوم من الأيام أمام الله سبحانه وتعالى لأنهم ينكرون وجوده بالأساس. يرى أتباع الداروينية أنفسهم كتكوين عشوائي من الذرات رافضين بذلك أيضًا الإعجاز في خلق الإنسان والذي اتضح تمامًا بعد اكتشاف الحمض النووي، بالإضافة إلى الأبحاث الخاصة ببنية الذرة والتي أذهلت العلماء من خلال الدور الذي تلعبه كل ذرة في جسم الإنسان.

إن الروح البشرية لهي بمثابة المعضلة الكبيرة بالنسبة لداروين وأتباعه من بعده، وهي بمثابة الحقيقة التي عجزوا عن تفسيرها، بل يمكن القول بأنهم لم يستطيعوا دحضها أو حلها. لقد هُزموا بإرادة الله وبدليل علمي لا يمكن إنكاره، وهو أن المادة ليست هي كل شيء في هذا الكون، وأن هناك أشياء اكتشفها العلم لا توجد في صورة مادية. في مواجهة هذا الأمر، يصبح أي رفض لوجود الروح أو إنكار له غير صحيح وبلا معنى.

يقول الله تعالى في آيات من القرآن الكريم:

" وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّـهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾" (سورة الأحقاف، الآيات 5-6)

ما يحتاجه أتباع الداروينية والمادية هو إدراك أن الحقيقة الوحيدة المطلقة هي وجود الله سبحانه وتعالى. في مواجهة تلك الحقيقة، ستنهار كل الخدع الجوفاء والمعتقدات الخرافية تمامًا. الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء وكل هذا الكون يخضع لعظمته، وإنكار حقيقة الخلق ووجود الروح لن تغير من الحقيقة قيد أنملة.

يناقش هذا الكتاب أحد أكبر الأخطاء التي وقع فيها أصحاب المنهج المادي، بالإضافة إلى الدليل العلمي على هذا الخطأ والمأزق الرهيب الذي تقع فيه الداروينية في مواجهة تلك الحقائق بالإضافة إلى إثبات وجود الروح. ربما تغيب حقيقة الروح عن الكثيرين في هذا العالم، إلا أن الله سبحانه هو من يحكم هذا العالم، هو رب الأرض والسموات وهو المخلّص الوحيد للبشر، هذا ما يدركه بالفعل أصحاب الفكر الصحيح غير المشوش. لتحقيق الخلاص في الآخرة –وهي الحياة الحقيقية- يجب أن يتصرف البشر في ضوء فهم هذه الحقائق.

# انـهيار المادية واختفائـها

### المادية: خرافة عصر كامل

تخيل المفكرون اليونانيون القدماء أن أجسامهم تتكون من أجزاء صغيرة جدًا تسمى الذرات، كما تخيلوا أن تلك الذرات بشكل عامل هي المكون الرئيسي للكون ولكل الكائنات الحية، وأن تلك الذرات ليس لها توجيه أو مقصد معين ولا تتعرض لأي تداخل واعي. بناءً على هذا الإعتقاد، كان يُعتقد أن استمرار تلك المادة هو أمر خالدٌ وأبدي، وأنه لا يوجد ما يسمي بما وراء المادة. كانت الأحداث الخارقة التي تتداخل في سلوك أي بنية لتغير هيأتها بالكامل بالنسبة لمتبنو المنهج المادي هي محض خرافاتٍ غير مقبولة، كما استندت كل المباديء والبديهيات التي توصلوا إليها إلى أن فرضيتهم بشأن المادة هي حقيقة مطلقة لا يمكن مراجعتها.
بناءً على الطرح القائل بأن المادة أبدية ولانهائية، يجب أن يكون الكون أبديًا ولانهائيًا أيضًا، هذا المبدأ كان بمثابة القاعدة الأساسية لفكرة الإلحاد. فإذا كان الكون موجودًا منذ زمن لانهائي وسيستمر لزمنٍ لا نهائي، فمن المستحيل أن يكون هناك خالق لهذا الكون.

وفقًا للمنهج المادي، فإن الكون لا نهاية له ولذلك فلا يوجد خالق له ولا يوجد أي غرض خُلِق من أجله. يرى الماديون أيضًا أن التوازن والتجانس الموجود في الكون هو نتيجة الصدفة البحتة، حيث أنه ذلك الإفتراض بني على أن كل شيء قد تكون بالأساس نتيجة لتجمع الذرات الغير واعية بشكلٍ عشوائي، وأن حجم التعقيد أو مدى الإتزان والنظام الضخم في الكون هو أمر لا يهم، كل ما حدث هو أمر غير مخطط وغير واعي وبلا غرض محدد.

عهدت عقول الماديين دائمًا منذ العصور اليونانية القديمة على الإيمان بتلك الفكرة، ونظرًا لرفض المادية لمبدأ "الخلق" أو "الغرض من الحياة" في الكون، عهدوا أيضًا على إنكار وجود خالق لهذا الكون. لنكون أكثر دقةٍ بشأن هذا الأمر، لقد كانت الفسلفة المادية تقوم بالأساس على رفض وجود إله. الكثير من الأيديولوجيات والأنظمة الفكرية والحركات التي رفضت الإيمان بوجود الله قامت بالأساس على المنهج المادي. يمكننا القول بطريقة أو بأخرى أن المادية بشكل عام كانت الأكثر تأثيرًا في المنهج الإلحادي.

يصف ستانلي سوبوتكا –أستاذ الفيزياء بجامعة فيرجينيا الأمريكية- انحراف المنهج المادي قائلًا:
إذا كنا نؤمن بهذا المبدأ (المادية)، فسنخلص إلى أن كل شيء في الكون، بما في ذلك نحن أنفسنا والحياة التي نعيشها، خاضعون بالكامل لقوانين الفيزياء، ستكون تلك القوانين هي ما يحكم رغباتنا وآمالنا ومعتقداتنا وأهدافنا ومقاصدنا، ستكون المادة والطاقة هي مقصدنا الأساسي وسيكونا الهدف الرئيسي وراء رغباتنا وطموحنا. على وجه التحديد، هذا يعني أن حياتنا يجب أن تكون مركزة على اقتناء السلع المادية، لكي يكون لدينا أقصى قدر من الرضا والسعادة الماديّين، أي يجب علينا بذل كل طاقاتنا في ذلك، ولا يجب أن يكون هناك أي هدف آخر. في هذه الحالة، لن يكون لدينا خيار، لأننا سنكون خاضعين للقوانين الفيزيائية بشكل كامل، قد نشعر أننا محاصرون بتلك المعتقدات، ولكننا لن نتمكن من التخلص منها، فهم يسيطرون علينا. يمكننا اختصار فلسفة المادية في جملة "أنا مجرد جسد". (1)

في العصور القديمة في اليونان، رأى أتباع المادية أن فكرة اعتناق الأديان تتعارض منطقيًا مع العلم. لهذا السبب، عهد الماديون عبر العصور المختلف إلى محاولة إعطاء الانطباع بأن الإيمان بالله والعلم لا يمكن أن يجتمعا معًا، إلا إنه في حقيقة الأمر، دائمًا ما أيّد العلم وجود الله بالأدلة العلمية، كما ظهرت الكثير من الاكتشافات التي تدحض فكرة المادية التي هدفت بالأساس إلى محاربة فكرة الإيمان بالخالق، بما في ذلك الداروينية بالتأكيد، فضَعف المادية يصيب الداروينية بشكل أساسي لأنها أساس هذا المنهج.
على مدار التاريخ، زعم الماديون أن أي كيان في هذا الكون هو عبارة عن مجموعة من الذرات، وأن العقل البشري ما هو إلا شبكة من الخلايا العصبية. لم يستطيعوا تفسير طبيعة الفكر البشر، وحاولوا تفسير العمليات التي يقوم بها العقل بأنها تفاعلات إلكتروكيميائية تحدث بين الخلايا العصبية. لا يجد هؤلاء الماديون أي مشكلة في أن يصفوا أنفسهم بالحيوانات أو الآلات، كما أنكروا أن هناك كيانات واعية أوجدت هذا النظام بأكمله زعمًا منهم أنهم جاءوا إلى هذا الكون عن طريق الصدفة، إلا أن كل تلك الأمور اكتُشِف مؤخرًا أنها محض كذب وتلفيق لإنكار وجود الله.

يقول ستيفن م. بار أستاذ فيزياء الكم للجسيمات من معهد باترول للأبحاث بجامعة ديلاوير أن هؤلاء الذين يؤمنون بأن المادة هي الحقيقة الوحيدة المطلقة هم مثل الوثنيين الذين عاشوا في الماضي تمامًا، حيث يصف هؤلاء الماديون البشر بوصف منقوص كما فعل الوثنيون، حيث أنكروا وجود الروح وتعاملوا مع كل شيء على المستوى المادي فقط، فكما ربط الوثنيون قديمًا كل شيء يحدث في الحياة بمدارات الكواكب والنجوم، يزعم الماديون أن كل شيء يحدث لهم هو مرتبط بانحسار وتدفق الهرمونات داخل عقولهم، إلا أن الوثنيين عبدوا الحيوانات وجعلوا منها آلهة فيما قام الماديون بوصف أنفسهم بالحيوانات. (2)

وصف أميت جوسوامي أستاذ الفيزياء بمعهد العلوم النظرية بجامعة أوريجون الأسس المنطقية التي يتبناها الماديون قائلًا:
يفترض بنا أن نقتنع بأننا مجرد آلات وأن كل تصرفاتنا وأفعالنا هي نتيجة للمحفزات والمؤثرات الخارجية وقدرتنا المسبقة على التكيف، وأننا ليس لنا خيار وليس علينا مسئولية، باختصار، ليست لنا إرادة حرة. (3)

الحقيقة هي أن الله هو من خلق البشر، وأن البشر لم يُخلَقوا بلا هدف أو بلا مسئولية كما يزعم هؤلاء. التناقض في هذا المبدأ واضح جدًا، فالإنسان ليس مجرد آلة غير قادرة على التفكير، بل خلقه الله بمسئولية محددة يُحاسب عليها وعلى كل أعماله في الآخرة. عمل

الماديون بشكل أساسي على صرف الناس عن تلك الحقيقة عبر التاريخ، حتى منذ العصور اليونانية القديمة. منذ بداية القرن التاسع عشر، بدأ المنهج المادي في الإنتشار ليترسخ في المجتمعات كأحد الأنظمة الفكرية المنتشرة. في القرن التاسع عشر، ظن أغلب علماء الفيزياء الكلاسيكيين أن المكون الرئيسي للمادة هو الذرات وأن تلك الذرات جامدة غير متحركة وغير قابلة للتجزئة، تمامًا ككرات بلياردو صغيرة، وأن الحركة العشوائية لتلك الذرات وتجمعها هو السبب الرئيسي في انتظام الكون ودرجة تعقيده. ووفق وجهة نظرهم، فقد تكون الأرض بكل ما عليها من حياة عن سلسلة من الأحداث الغير واعية أو مخططة، وأن الذرات قد تجمعت بطريقة ما لتشكل هذا العالم بكل فيه من كمال ومثالية، بما في ذلك البشر أنفسهم وعقولهم ووعيهم.

إذا قمنا بترتيب هذه الادعاءات، سنجد أن الماديين قد سعوا لنشر فكرة أن الإنسان لم يخلق وأنه لا يوجد إله للكون بغض النظر عن نتيجة النقاش حول أمر المادة ذاته. الحقيقة هي العكس تمامًا، فما هو واضح للجميع أن الإنسان قد خُلِق بطريقة ونظام مثاليين عن طريق قوة خارقة ذات ذكاء غير محدود. لا يوجد أية عمليات غير واعية ترتب عليها نشأة باقي الأنظمة كما يزعم الماديون، فكل شيء في هذه الحياة هو عبارة عن نظام بالغ التعقيد لدرجة أنه يصعب على العقل البشري استيعابها في بعض الأحيان، دقة التفاصيل تظهر تمامًا عدم وجود أي دور للصدفة في الأمر، بل إن الأرض ذاتها مليئة بما يثبت نظرية الخلق.

على الرغم من كل تلك الحقائق، واصل الماديون إصرارهم على ادعاءاتهم بأن كل شيء قد بُنِيَ نتيجة لتجمع الذرات بطريقة غير واعية. لذا، دعونا نطرح سؤالًا هامًا، من أين جاءت تلك الذرات التي شكلت الكون كله بالأساس؟ نحن نعلم حاليًا أن الذرات جوفاء التكوين وليست مصمتة وهذه حقيقة علمية مثبتة. يمكننا أن نشرح الأمر كالتالي: إذا تخيلنا أن حجم نواة أحد الذرات والتي تتكون من مجموعة من البروتونات والنيوترونات يبلغ قطرها 1 مليمتر (حجم رأس الدبوس) وهو حجم يبلغ ملايين الأضعاف من حجم النواة الحقيقية، فستكون الإلكترونات التي تدور حول تلك النواة على مسافة تبعد 100 متر. (4)، مع هذا الحجم الكبير بين النواة والإلكترونات، كل ما يوجد في هذه المساحة هو مجرد فراغ، هذه المائة متر التي تحدثنا عنها ستكون فارغة حرفيًا. لهذا السبب يعتبر الكثير من العلماء مع الذرات على أنها عبارة عن شحنات من الفراغ، فيصف الفيزيائي البريطاني السير آرثر إدينغتون المادة على أنها تتكون بالأساس من مساحات فارغة. ولوصف أكثر دقة، تبلغ نسبة الفراغ في المادة 99999999 . 99%. (5)

فريد آلن وولف، عالم فيزياء الجسيمات في جامعة كاليفورنيا يصف حقيقة الذرة كالتالي:

«إذا فكرت في حقيقة الذرة بشكل عام، ستدرك أن الحياة على هذا الكوكب هي بمثابة مفاجأة كبيرة حقًا إذا اكتشفت حجم الفراغ الموجود في الكون. في الحقيقة، نسبة 99% من الكون تتكون من لا شيء! وباعتبار أن الكون مازال يتمدد بمعدلات تثير القلق، فإنه يزداد فراغًا أكثر مما كان. لذلك، عندما تبحث في حقيقة الأمر، تجد نفسك في ذهول شديد، عندما ننظر في العالم المتناهي الصغر لما دون الذرة، يكون الأمر أكثر إدهاشًا، عند هذا المستوى يبلغ حجم الفراغ أقصى درجاته لأكثر مما نتخيل». (6)

في بدايات القرن العشرين، كان من المعروف أن جزءًا كبيرًا من الذرة هو عبارة عن فراغ، والتي كانت تعتبر أصغر وحدة ومكونًا لكل الأشياء، وأن ذلك الفراغ يحتوي على النواة والإلكترونات التي تدور حولها. على الرغم من ذلك، لم يكن هناك الكثير من المعلومات حول المادة سوى الخطوط العريضة بشأنها كالذرة ومكوناتها الرئيسية فقط، إلا أن المعلومات حول ما يوجد في تلك النواة لم تكن معروفة لدى العلماء.

في ستينات القرن الماضي، تم التوصل لأحد أعظم الاكتشافات العلمية على الإطلاق. تم اكتشاف جزيئات صغيرة تسمى جزيئات الكوارك. هذه الكوارك هي السبب الرئيسي لحمل البروتون لشحنة موجبة ولكون النيوترون متعادل الشحنة، كما كشفت الأبحاث وجود عالم بالغ التعقيد عند حجم يبلغ 0 . 0000001 فقط من حجم الذرة. كلما تعمق الماديون أكثر وأكثر في الذرة، كلما وجودوا المزيد من التفاصيل الهائلة، كل تلك التفاصيل داخل أصغر وحدة من وحدات بناء المادة. لهذا السبب، قرروا تطوير نظريتهم ولكن في اتجاه آخر هذه المرة. فإذا افترضنا ان العالم بأكمله تكون بشكل عشوائي وغير واعي، فلن يكون عليهم تفسير طبيعة الذرة فقط، بل تفسير ذلك العالم المعقد داخل الذرة، وتفسير حركة الجسيمات الصغيرة داخل الذرة وكيف نشأت تلك الحركة. فكرة أن المادة هي الحقيقة الوحيدة في الكون تبناها الماديون على مدار فترات طويلة حتى اكتشاف فيزياء الكم.

## فيزياء الكم: الاكتشاف الذي هدم المادية علميًا

«يمتليء عالم الفيزياء بما يكفي لإثبات وجود ما يسمى بالروح، فبداية بحثي عن تلك الروح كان من خلال ميكانيكا الكم، أو فيزياء الكم والتي تشير إلى احتمال وجود أسس روحانية لعالمنا المادي». (7) فريد آلن وولف، عالم فيزياء الجسيمات بجامعة كاليفورنيا.

طبقا لفرضية إسحاق نيوتن، فإن الضوء يتألف من أجسام صغيرة تنتقل في خطوط مستقيمة خلال الفراغ، وسمّى النظرية نظرية الجسيمات الضوئية. لاقت قواعد فيزياء نيوتن التقليدية ومنها تلك النظرية قبولًا واسعًا حتى اكتشاف فيزياء الكم. إلا أن العالم الفيزيائي الشهير ماكسويل في القرن التاسع عشر قد تبنى نظرية تقول بأن الضوء هو عبارة عن موجات، لتؤكد نظرية الكم فيما بعد صحة هذا الطرح وتحسم هذا الجدل الشهير في عالم الفيزياء.

عام 1905، توصل ألبرت أينشتاين إلى أن الضوء يحمل حزم صغيرة من الطاقة، تلك الحزم أطلق عليها اسم "الفوتونات". على الرغم من وصف الفوتونات بأنها عبارة عن جسيمات، إلا أنه لوحظ أن تلك الفوتونات تتحرك حركةً موجية كما وصفها ماكسويل قبل ذلك. لذلك، اعتُبر الضوء من الظواهر الإنتقالية بين الموجات والجسيمات (8)، وهو ما يتناقض مع ما طرحته فيزياء نيوتن. بعد فرضية أينشتاين، جاء الفيزيائي الألماني ماكس بلانك ليبهر العلم بنتائج تؤكد أن الضوء يتصرف كما لو كان جسيمات أو موجات بشكل متغير. بناءً على تلك الفكرة والتي أسماها بنظرية الكم، فإن الطاقة في الحزم الضوئية تنتشر في الفراغ بشكل حزم مركزة من الطاقة ويكون انبعاثها على شكل كمات أي دفعات، وليس انبعاثًا مباشرًا أو ثابتًا.

في فيزياء الكم، يكون للضوء صفات جزيئية وصفات موجية، حيث تصاحب حركة الفوتون (الجزيئية) في الفضاء موجة تعطي الصفة الموجية للضوء. بمعنى آخر، يمكن القول بأن الضوء يتحرك كموجة في الفضاء، إلا أنه يكتسب صفة مادية عندما يصطدم بعائق ما، كما يمكن القول بأنه يكون في صورة طاقة حتى يصطدم بعائق، حينها يتصرف كجزيئات مادية دقيقة للغاية، كما لو كان يتكون من أجسام مادية كحبات الرمل.

بعد بلانك، تم تفسير هذه النظرية وتفصيلها بواسطة الكثير من العلماء كآينشتاين ونيلز بور ولويس دي براولي وإروين شرودنجر وفيرنر هايزنبيرج وبول أدريان موريس ديراك وولفجانج باولي، وقد حصل كل هؤلاء على جائزة نوبل نظرًا لما حققوه من إنجازات علمية. يتحدث عالم الفيزياء أميت جوسوامي عن هذا الإكتشاف بشأن طبيعة الضوء قائلاً: «عندما النظر إلى الضوء كموجة، فذلك يعني إمكانية وجوده في وسطين (مكانين) في الوقت ذاته، لأنها عندما يمر بين شقوق على سطح واحد على سبيل المثال ويحدث له حيود، فإنه عند تصوير تلك العملية بالفيديو، يظهر الأمر وكأنه الضوء قد إنتقل بشكل متقطع، وكأنه سيل من الجزيئات، لهذا السبب، يجب أن يوصف الضوء بصفة موجية وصفة جزيئية. يبدو الأمر متناقضاً، أليس كذلك؟ هذا يجعل مفاهيم الفيزياء القديمة معرضة للخطر، وكذلك فكرة الموضوعية، أي هل تعتمد طبيعة الضوء على كيفية ملاحظتنا له؟» (9).

لم يعد العلماء الآن يعتقدون بأن المادة تتكون من جزيئات جامدة عشوائية. لم تعتمد فيزياء الكم على المادية، لأنها وجدت أن جوهر المادة به أشياء غير مادية. في حين أن آينشتاين وفيليب لينارد وآرثر هولي كومبتون بحثوا في البناء الجسيمي للضوء، بدأ دي براولي بالبحث في بنائها الموجي.

كان ما اكتشفه دي براولي أمرًا استثنائيًا، حيث لاحظ أثناء أبحاثه أن الجسيمات دون الذرية لها صفة موجية أيضاً، فالجزيئات كالإلكترون والبروتون وُجد أن لها طول موجي أيضًا، أو يمكننا القول، أنه بداخل الذرة -التي وصفها الماديون بأنها مادية بشكل مطلق- تم اكتشاف وجود موجات للطاقة غير مادية، على عكس ما يؤمن به الماديون تمامًا، مثل الضوء تمامًا، هذه الجزيئات الدقيقة داخل الذرة تكتسب صفقة موجية في حالات ما وتكتسب صفة مادية في بعض الحالات الاستثنائية، أي أن فكرة "المادة المطلقة" في الذرة لا تتواجد سوى في بعض الحالات فقط فيما تختفي في حالات أخرى.

هذا الاكتشاف الكبير أظهر أن الكثير مما تخيلناه عن هذا العالم ما هو إلا مجرد ظلال بسيطة، فيمكن القول بأن فكرة المادية البحتة قد غادرت علم الفيزياء بشكل تام لتتجه إلى الميتافيزيقيا. (10)

وصف الفيزيائي ريتشارد فاينمان هذه الحقيقة العلمية المثيرة للاهتمام عن التشابه بين الجسيمات دون الذرية والضوء قائلاً:
الآن أصبحنا نعرف كيف تتصرف كل من الإلكترونات والضوء، ولكن ماذا يمكن أن نسمي ذلك؟ إذا قلنا أنها تتصرف كجسيمات مادية سيكون وصفًا خاطئًا، وإذا قلنا أنها تتصرف كموجات سيكون وصفًا خاطئًا أيضًا. يمكن القول بأن لها صفة خاصة جدًا، وأفضل وصف يعبر عن هذه الصفة هو الكمية الميكانيكية. إنها تتصرف بطريقة خاصة لا تشبه أي شئ آخر، حيث لا تعمل الذرة على الإطلاق مثل وزن معلق من زنبرك مثلًا، ولا تعمل أيضًا بالطريقة التي تدور بها الكواكب حول الشمس في النظام الشمسي، كما أنها لا تشبه سحابة تحيط بالنواة، في الحقيقة، لا يمكن تشبيهها بأي نظام آخر. يمكن القول فقط بأن الإلكترونات في هذه الحالة تتصرف تمامًا كالفوتونات، ويمكن وصف صفات كلاهما بالمجنونة، ولكنهما متشابهان تمامًا. لكن إذا أردنا الحديث بدقة عن الطريقة التي تتصرف بها الفوتونات والإلكترونات فهذا أمر صعب للغاية، لأنه سيكون علينا وصف شئ مختلف تمامًا عما نعرفه، لا يوجد شئ كهذا على الإطلاق. (11)
يمكننا القول ختامًا أن فيزياء الكم تقول بأن العالم المادي هو مجرد وهم. (12) البروفيسور هانز بيتر دور رئيس معهد ماكس بلانك للفيزياء يلخص تلك الحقيقة قائلاً: «بغض النظر عن طبيعة أي مادة، فهي لا تتكون من المادة فقط.» (13)

بحث أشهر علماء الفيزياء في عشرينيات القرن الماضي مثل بول ديراك ونيلز بور وآينشتاين وهايزنبيرغ عن تفسيرات للنتائج التي توصلت لها تجارب الكم. في نهاية المطاف، قام مجموعة من العلماء في مؤتمر سولفاي الخامس للفيزياء ببروكسل عام 1927 وتتكون من بور وماكس بورن وبول ديراك وفيرنر هايزنبيرغ وولفغانغ باولي بالوصول إلى ما يسمى اتفاق كوبنهاجن لميكانيكا الكم، حيث جاءت التسمية نسبة لعمل بور - قائد المجموعة العلمية - في كوبنهاجن، فيما افترض التفسير أن ميكانيكا الكم لا تسفر عن وصف الظواهر الطبيعية بشكل موضوعي ولكن تتعامل فقط مع احتمالات الرصد والقياس. ومن وجهة نظر بور، فإن تلك التخمينات التي قد نفكر فيها تختلف تمامًا عن الواقع الخارجي.

باختصار، يمكن القول بأن عالمنا الداخلي يختلف تمامًا عن العالم الخارجي الحقيقي، وهو ما تناوله الكثير من علماء الفيزياء بداية من أرسطو وحتى يومنا هذا. تخلى علماء الفيزياء عن أفكارهم القديمة واتفقوا على أن مبدأ الكم هو بمثابة كل ما نعرفه عن الفيزياء. (14) كما أن العالم المادي ليس موجودًا سوى في عقولنا فقط، أو بمعنى آخر، لا يمكننا التعامل مع تلك النظريات المادية بشكل مباشر في العالم الخارجي.

يصف عالم الأعصاب وأستاذ الطب النفسي بجامعة كاليفورنيا جيفري م. شوارتز نتائج اتفاق كوبنهاجن قائلًا: «أتفق مع ما قاله جون أرشيبالد عندما قال ' لا تعد أي ظاهرة كظاهرة حقيقية إلا بملاحظتها.» (15) يمكننا القول باختصار أن كل التفسيرات التقليدية لميكانيكا الكم تعتمد على وجود الإدراك. (16)

أضاف أميت جوسوامي على هذه الفكرة قائلاً: «يفترض أن نطرح سؤالاً يقول، هل يظل القمر موجوداً في مكانه عندما لا ننظر إليه؟ إذا افترضنا أن القمر يمثل الكم (لأنه يتكون بشكل كامل من جزيئات كمية)، ستصبح إجابة هذا السؤال لا.»

يقول عالم الفيزياء ديفيد ميرمين:

«ربما أهم فرضية نسمع بها في طفولتنا هي أن العالم المادي موجود بمكوناته الجزيئية. على سبيل المثل، عندما ننظر إلى القمر في أي وقت فإننا نجده وفق المسار المتوقع والمحسوب له بالضبط، فنستنتج بشكل طبيعي أن القمر موجود دائماً في الزمكان، حتى عندما لا ننظر إليه، إلا أن فيزياء الكم ترفض هذه الإجابة، حيث أننا عندما لا ننظر إلى القمر، تقل إحتمالية وجود القمر، ولو بمقدار ضئيل جداً. يبدو منطقيًا التكيّف مع الافتراض الميتافيزيقي بأنه لا يوجد أي كائن في الزمكان بدون كيان واعٍ ينظر إليه».

تحدث جيفري م. شوارتز أيضًا عند الحقيقة التي أظهرتها فيزياء الكم في كتابه الذي يحمل اسم "العقل والمخ - The Mind and the Brain" قائلًا:«دور الملاحظة في فيزياء الكم لا يمكن غير واضح بشدة. في الفيزياء الكلاسيكية (فيزياء نيوتن)، كانت الأنظمة والأشياء التي تخضع للملاحظة ذات وجود مستقل بغض النظر عن من يقوم بمراقبتها وفحصها. إلا أن الأمر مختلف في فيزياء الكم، فالكميات الفيزياء لا يكون لها قيمة حقيقية سوى بملاحظتها فقط».

كما قام شوارتز بتلخيص آراء علماء الفيزياء حول هذا الموضوع: يقول جاكوب برونوفسكي في كتابه " تطور الإنسان - The Ascent of Man": «من أهداف العلوم المادية إعطاء صورة دقيقة للعالم المادي، وكان أحد إنجازات الفيزياء في القرن العشرين إثبات أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه».

قال هايزنبيرج أن الواقع الجزيئي «تبخر الآن». كما كتب عام 1958 واعترف بأن «قوانين الطبيعة التي نقوم بصياغتها رياضيًا في نظرية الكم لم يعد يتم تطبيقها على الجزيئات نفسها بل على ما نعرفه عن الجسيمات الأولية." وقال نيلز بور: "من الخطأ الاعتقاد بأن مهمة الفيزياء هي البحث في الكيفية التي تكون عليها الطبيعة، إنما تتعلق بما يمكننا أن نقوله عن الطبيعة». (19)
يصف عالم الفيزياء فريد آلن وولف هذه الحقيقة متحدثًا في الفيلم الوثائقي "What the Bleep Do We Know?":

«ما يُكوّن المواد ليست موادًا أخرى، بل أفكار ومفاهيم ومعلومات....». (20)

بعد التجارب الدقيقة المذهلة التي يمكن للعقل البشري أن يستنبطها على مدار 80 عامًا، لا يوجد الآن أي آراء معارضة لفيزياء الكم والتي أُثبِتت علميًا بصورة حاسمة. لا يمكن أن يعترض أحد على الاستنتاجات التي بنيت على التجارب، حيث قام العلماء باختبار نظرية الكم بمئات الطرق المختلفة. (21) وقد فاز العديد من العلماء -ولا زالوا- على جائزة نوبل بسبب فيزياء الكم.

المادة هي المفهوم الأساسي الذي تقوم عليه فيزياء نيوتن، وكانت تعتبر ذات يوم بأنها الحقيقة المطلقة بلا قيود. أيّد الماديون الاعتقاد القديم بأن المادة هي وحدة البناء الأساسية للوجود، لكنهم أصابتهم الحيرة بسبب اقتراح فيزياء الكم ل"عدم وجود المادة". عليهم الآن أن يفسروا جميع قوانين الفيزياء في إطار الميتافيزيقيا. كانت الصدمة التي لحقت بالماديين في بدايات القرن العشرين كبيرة للغاية. يصف العالمان المتخصصان في فيزياء الكم برايس ديويت ونيل جراهام فيقولان:

«كان لنظرية الكم تأثيرًا جوهريًا على فكر الإنسان أكثر من أي تطور آخر في العلم الحديث. تخلص فيزيائيو القرن الماضي من التفكير القديم، ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى تبني ميتافيزيقيا جديدة. لقد عانى العلماء خسارة قاسية، ألا وهي سيطرة علمهم على الواقع». (22)

# الخواص الموجية للإلكترون والإثبات العلمي

تعتبر التجربة الأبرز لإثبات الطبيعة الموجية للجسيمات الذرية المسماة بالإلكترونات هي تجربة شقي يونغ. أجريت التجربة لمشاهدة كيف يتصرف كلاً من الضوء والإلكترونات تماماً مثل الضوء، وأنهما متشابهان في امتلاكهما لهذه الخاصية وهو أمر مثير للدهشة.

لكي تفهم التجربة بشكل أسهل، نفترض أنها أُجريت على حبات من الرمل بدلًا من الإلكترونات.

أولًا، نحضر مصدر لحبيبات الرمل –على سبيل المثال منفاخ للرمل- ونضعه وراء جدار به فتحتان، ونضع في الجانب الآخر من الجدار شاشة لاستقبال حبيبات الرمل التي تمر من خلال الفتحتين. كل حبة رمل يدفعها المنفاخ تنتقل من خلال الفتحة وتصطدم بالشاشة.
بعد مرور حبّات الرمل من الفتحتين واصطدامهم بالشاشة، نرى مجموعتين من النقاط على الشاشة: الأولى تكونت من حبّات الرمل التي مرّت عبر الفتحة الأولى، والثانية تكونت من حبّات الرمل التي مرّت عبر الفتحة الأخرى. إنه أمر متوقع تمامًا.

الآن، فلتتخيل أننا قمنا بإجراء تجربة مماثلة ولكن بطريقة مختلفة. سنقوم باستبدال الوسط بين المصدر والشاشة بحوض ماء، ونستخدم جهاز يهتز بدلًا من مصدر حبّات الرمل ونضعه في الماء بحيث يولّد موجات تنتشر في جميع الاتجاهات.

على عكس حبّات الرمل، هذه الموجات ليس لها مكان محدد فهي تنتشر في جميع أنحاء الحوض. ونتيجة لذلك، فإن الموجات التي تمر عبر الفتحتين تتفرق بمجرد مرورها، وتتداخل مع بعضها البعض.

عند تداخل موجتين، إذا اجتمعت قمة موجة مع قاع الأخرى، فإن الموجتين تعادلان بعضهما، وبالتالي يختفي تأثير الموجة. يعتبر تداخل الموجات هو أحد الخصائص الأساسية للموجات.

عندما تم إجراء التجربة نفسها باستخدام الإلكترونات بدلًا من مجموعة الجسيمات التي تصطدم بالشاشة مثل حبّات الرمل، وُجِد أن الإلكترونات تتداخل مع بعضها البعض. باعتبار أننا كنا نعتقد أن الإلكترونات عبارة عن جسيمات فقط، فإن هذه النتيجة غير متوقعة تمامًا. بما أننا لاحظنا أن الإلكترونات لها خصائص موجية مثل التداخل، فيمكننا القول بأن الإلكترونات ليست جسيمات. ويمكننا القول بأنها ليست موجات كذلك لأنها اصطدمت بالشاشة في مجموعات منفصلة مثل الجسيمات.

ولكن بملاحظة الإلكترونات، يمكننا القول بأنها عبارة عن جسيمات عند خروجها من المصدر وعند اصطدامها بالشاشة، ولكنها تكون كالموجات في المسافة بينهما. إنه أمر غير بديهيّ إطلاقًا. (23)

هدم هذا الدليل التجريبي مفهوم المادّية الذي ينص على أن أيّ جسيم لا بد وأن يكون له وجود ماديّ في أي مكان في الفضاء. أي أنه وفقًا للمنهج المادّي، فإن الإلكترون يجب أن يتبع مسار واحد خلال الفضاء، ولا يمكنه المرور من خلال الفتحتين مثل الموجة والتي ليس لها مكان محدد. ولكن توقعات المادّيين لم تتطابق مع الواقع التجريبي.

الموجة المشار إليها هنا تختلف عن الموجة الفيزيائية (الميكانيكية) مثل تلك التي تحدث في الماء. موجات الإلكترونات لا تتواجد في الفضاء ثلاثيّ الأبعاد في عالمنا الماديّ.

يصف الفيزيائي فريد آلن وولف مفهوم الموجة في السؤال التالي:

عندما يقوم علماء فيزياء الكم بتحديد احتمال وقوع حدثٍ ما، فإنهم يقومون بحساب عدد. هذا العدد هو حاصل ضرب دالّتين حسابيتين يطلق عليهما دوالّ موجات الكم. ما نتصوره عن هذه الموجات هو أنها موجات حقيقية تتحرك خلال الزمان والمكان. ومع ذلك، فهي ليست موجات حقيقية، بل إنها موجات تخيلية بحتة. هذه الموجات ليست عبارة عن حقول مثل الحقول المغناطيسية أو حقول الجاذبية. هذه الموجات ليست لها كتلة ولا طاقة، ولا يمكن قياسها، فهي تتواجد في خيالنا وعقولنا. وهذا يعني أنها غير موجودة مثل الأشياء المادية الحقيقية التي نستطيع ملاحظتها، وهو ما يمكن أن تفسره قوانين الديناميكا، أو بمعنى آخر، عندما تبدأ حلقة زمنية ما، فإن ما نشير إليه بالعالم الخارجي ينشأ في عقولنا وفي ما نؤمن بكونه واقعًا مشتركًا موضوعيًا.

ووفقًا لوولف، الحقيقة العلمية المؤكدة فيما يتعلق بالإلكترونات لا يمكن استيعابها عن طريق المفاهيم الماديّة و الرياضيّة المعروفة. على أية حال، فنحن لسنا على اتصال مباشر مع الواقع خارج عالمنا. من المستحيل بالنسبة لنا أن نخطو خطوة أبعد مما ندركه.

يمكننا تكرار تجربة شِقيّ يونغ مع كل جسيمات الذرة ولن تتغير النتائج، لأن قوانين ميكانيكا الكم تحكم الكون بأكمله. عندما تتجمع المليارات من الذرات لتُكوّن جسم كبير الحجم أو إنسان، فإن احتمال ملاحظة تأثير تداخل الذرات ينخفض بشكل كبير. ولكن هذا لا يعني أن قوانين فيزياء الكم توقفت عن العمل. فقط، لا يمكننا ملاحظة العملية، إلا إن هذه القوانين تنطبق على أية مادة.

وفقًا لعالِم الرياضيات في جامعة واشنطن توماس ماكفرلين، فإن وجود موضوعي، بغض النظر ملاحظتنا له أو عدمها، هو محض وهم.

إن ما أثبتته ميكانيكا الكم علميًا هو أن العالم الجزيئي موجود علي هيئة موجية مركزة. وفقًا لعلماء الفيزياء، فالمشكلة الرئيسية التي تخدع الناس هي أن العالم الذي نلاحظه وندركه تفاصيله مقنعة وواضحة بشكل كبير، ولكننا لا ندرك العالم الخارجي. لا يمكننا أبدًا رؤية الواقع الخارجي، والذي يُعتبر أصل العالم بالنسبة للمادّيين.

تعرض حياتنا اليومية صورة متناقضة للغاية مع الحقائق الخارجية. لذلك، تزيد التساؤلات حول ما الذي يجب إعتباره صحيحاً: الواقعي المادّي أم ما يظهر أمامنا بشكل جلي وواضح.

يقول توماس جيه. ماكفرلين بأننا يمكننا الحصول على الإجابة عن طريق المقارنة.

يمكننا أن نتصور أن العلماء المعاصرين عادوا بالزمان 3000 سنة والتقوا بالناس الذين يتخيلون أن الأرض مسطحة. لذا قام العلماء بكل أدب بإخبارهم بأنهم مخطئون وأن الأرض كروية في الواقع.

عندئذٍ سيسأل هؤلاء الناس العلماء: "كيف جئتم بهذه الفكرة المجنونة؟". في ظل تلك الظروف وبمستوى العلم الذي وصل له الناس في ذلك الوقت، لن يكون العلماء قادرون على تقديم دليل واحد لإثبات أطروحتهم. على النقيض، فهؤلاء الناس قادرون تمامًا على تفسير أن الأرض مسطحة على أساس التجارب والأدلة التي جمعوها. هم يستخدمون مفهوم الهندسة المستوية لقياس الأراضي، ولرسم خرائط الطرق، ولا يجدون شيئًا من ذلك يتعارض مع تجاربهم اليومية. وعندما ينظرون إلى البحر أو إلى امتداد واسع من الأرض فإنهم لا يرون أي انحناء، لذا فهم يدعون بأنه لا يوجد أي دليل يثبت أن الأرض كروية. فكرة أن "الأرض كروية" لا تزال وهمًا بالنسبة لهم، وبالتالي يعود العلماء بآلة الزمن لوقتنا الحالي دون أن يثبتوا أي شيء.

وفقًا لماكفرلين، فالسبب أن هؤلاء المسافرين عبر الزمن لم يستطيعوا إقناع أي أحد بأن الأرض كروية هو أننا نحن البشر حجمنا صغير جدًا بالمقارنة مع الكرة الأرضية. وبما أن التجربة انحصرت في منطقة جغرافية صغيرة جدًا فإن الأرض تبدو مسطحة، بالرغم من أنها

ليست كذلك في الواقع. أي أن الاستواء الذي يلاحظونه على الأرض ليس حقيقياً على الإطلاق لأن الأرض ليست مستوية، وإنما هو استواء وهميّ بسبب حجم الأرض الهائل.

من أجل إثبات أن الأرض كروية، نحن بحاجة لأن نتجاوز رؤيتنا المحدودة للأرض. على سبيل المثال، يمكننا الطيران حول الكرة الأرضية في طائرة، أو الذهاب إلى الفضاء في صاروخ. ولكن برؤيتنا المحدودة التي نرى بها الأرض يوميًا، فليس لدينا دليل يثبت أن استواء الأرض الذي نراه ما هو إلا وهم، وكذلك لن يكون هناك أي دليل يمنعنا من الاعتقاد بأن الأرض مسطحة.

بعد أن ذكر ماكفرلين هذا المثال، أكمل حديثه قائلًا:

«إذا انخدع الناس عن أحد الحقائق في الماضي، كيف يمكننا أن نتأكد من أننا لسنا منخدعين الآن؟ من المثال رأينا أن اتساق مفهومنا مع الواقع مع تجاربنا العادية لا يعني بالضرورة أنها صحيحة. بما أن تجاربنا محدودة بالتأكيد، فربما يكون فكرتنا عن العالم الموضوعي هي مجرد وهم، مثله مثل وهم فكرة أن الأرض مسطحة».

## انهيار المادية وفكرة المادة المطلقة

من الاستنتاجات التي كشفت عنها ميكانيكا الكم هو أن المادة ليست مطلقة وأبدية، كما يزعم الماديّون. كذلك، فالمادة ليست خالدة إلى الأبد، والمواد التي نراها من حولنا ليست مجرد مجموعة من الذرات. وفقًا لفيزياء الكم، فإن المادة قد تغيرت طبيعتها بطريقة لم يتخيلها الماديّون، وقد ثبُت علميًا أن أساس المادة هو أحد صور الطاقة. أمام الحقائق التي كشفت فيزياء الكم عنها، فإن المادّية قد انهارت علميًا.

يُلخِّص العالِمان بول ديفيز وجون جريبين كيف قضت الفيزياء الحديثة على المادّية تمامًا:

من المفارقات أن الفيزياء التي اعتمدت عليها المادّية في نشأتها، قد تكون هي سبب زوالها أيضًا. هدمت الفيزياء الحديثة -خلال القرن الحالي- المبادئ الأساسية للاعتقاد الماديّ في سلسلة من التطورات المذهلة. أولًا جاءت النظرية النسبية، والتي هدمت افتراضات نيوتن حول الزمان والمكان. ثم جاءت نظرية الكم، والتي غيرت منظورنا تجاه المادّة تمامًا. (28)

يصف فريد آلن وولف كيف تخلى العلماء الآن عن فكرة المادية:

"البعض مِنّا –بما فيهم الكثير من العلماء- لا يتّفقون مع المادية الجزيئية الجديدة. نحن نؤمن بكل قلوبنا أن شيئًا أعمق من المادّية هو المسئول عن هذا الكون." (29)

ما هي نتيجة انهيار المادّية؟ ذلك الرأي العنيد بأن المادة هي الحقيقة المطلقة الوحيدة هو أحد أكثر الحِيل التي تحول دون إيمان الناس بالله. فبدلًا من النظر إلى العالم الخارجي باعتباره مزيجًا من تصوراتهم، فإنهم يتصرفون كما لو كانت لهم خبرة مباشرة بكل شيء يرونه. كما تصف المادّية المادّة بأنها بلا هدف، فهم يطبّقون ذلك على أنفسهم أيضًا ويتخيلون أن وجودهم على الأرض أو مغادرتهم لها بلا هدف أيضًا. يتوقعون أن يظهر الله لهم ككيان ماديّ (حاشا لله ذلك) وذلك لأنهم لا يرون البراهين التي تؤكد على وجود الله ولا يؤمنون بها. لا يؤمن الماديّون بان أيّ كيان قد خُلِق، ولهذا لا يؤمنون بوجود الخالق.

يسعى الماديّون لإنكار الوجود المُطْلَق لله وإنكار أنه الخالق، مستخدمين المادّية كحجّة لهم. بانهيار المادية انهارت حُجّتهم، وتبّين بالدليل وجود الله تعالى.

يُعبّر عالِم الفيزياء الجزيئية ستيفان م. بار عن هذا فيقول:

«لقد اصطحبنا العلم في تلك المغامرة، وأخذنا إلى شواطئ غريبة، وأرانا مناظر طبيعية غريبة ورائعة، متسلحًا بالتليسكوبات ومُسرّعات الجسيمات لا بالسلاح، ومتحدثًا بالعلامات والرموز الرياضية المعقدة. ولكن بينما نتفحص الأفق قرب نهاية الرحلة، بدأنا ندرك المعالم المعتادة القديمة لأسلافنا واحدة تلو الأخرى. البحث عن الحقيقة دائمًا ما يؤدّي بنا في النهاية إلى العودة إلى الله». (30)

الاعتقاد بأننا نرى المواد كما هي موجودة في العالم، هو مجرد تخمين غير مؤكد. لا يوجد دليل على ذلك في عالمنا الذي ندركه من خلال تصوراتنا. من المستحيل على الإطلاق أن نتصل بشكل مباشر بالعالم الماديّ الحقيقي الخارجي. الكون ليس خالدًا ولا أبديًا، بل كانت له بداية وستكون له نهاية.

كل هذا يؤدي بنا إلى نتيجة واحدة: كل شيء في الكون مهما كان صغيرًا فهو مخلوق. هذا الخلق يتطلب وجود قوة سامية، وهو الخالق. هذا الخالق هو الله سبحانه وتعالى، رب العالمين. لم يُخلق أي شيء في الكون عبثًا، بل كلٌ مخلوق لهدف محدد.

إن استمرار الماديين في محاربة هذه الحقيقة بلا جدوى، لأن الفيزياء الحديثة قد أسفرت عن نتائج تثبت خطأهم تمامًا.
في الآيات القرآنية، يقول الله تعالى: «وَما خَلَقنَا السَّماءَ وَالأَرضَ وَما بَينَهُما لاعِبينَ ﴿١٦﴾ لَو أَرَدنا أَن نَتَّخِذَ لَهوًا لَاتَّخَذناهُ مِن لَدُنّا إِن كُنّا فاعِلينَ ﴿١٧﴾ بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى الباطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيلُ مِمّا تَصِفونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ وَمَن عِندَهُ لا يَستَكبِرونَ عَن عِبادَتِهِ وَلا يَستَحسِرونَ». ﴿١٩﴾ (سورة الأنبياء، الآيات 16- 19)

# لقاءات مع عدنان أوكطار

كل البشر يشاهدون التلفاز داخل عقولهم

عدنان أوكطار: بعض الناس لا يستطيعون فهم طبيعة المكان والزمان، النسبة الأكبر لا يستطيعون إدراك الأمر، فكل شخص ينظر إلى شئ ما يجد صورة ما في عقله لهذا الشئ. على سبيل المثل، عندما يشاهد الناس التلفاز فإن ما يشاهدونه من صور تتكون بداخل عقولهم، وليس في ذلك التلفاز. التلفاز هو عبارة عن جزء أسود وجزء شفاف، لأنه لا يوجد ضوء هناك في الخارج، إنما هي موجات ذات أطوال مختلفة، وكذلك لا توجد ألوان بالخارج. ماذا إذًا يمكن للناس مشاهدته على التلفاز بما أنه أسود وشفاف؟ الإجابة هي أن المادة تكون شفافة بسبب تركيبها الذري، أي أن الإلكترونات والنيترونات والبروتونات والذرات تكون متباعدة عن بعضها البعض، لأسباب تقنية. ولكن عقولنا لا تتصورها شفافة، بل إنها ترى جسمًا، وترى ألوانًا حمراء وخضراء وزرقاء وبنفسجية عن طريق اختلاف الأطوال الموجية. السبب يكمن في اختلاف الأطوال الموجية. كذلك الصوت، فلا يوجد صوت بالخارج، لا يوجد صوت بالتلفاز الذي تشاهده. هذا الأمر لا يختلف عليه حتى غير المؤمنين بالأديان، كما يتفق عليه العلماء المسلمين. إنها حقيقة علمية واضحة، ولا يستطيع أحد إنكارها.

يقول العلماء أن البشر دائمًا ما خافوا من معرفة شيئين: حدود شعورهم، وحقيقة المادة. يمكننا القول أيضًا أن البشر لم يكونوا ليعرفوا حقيقة هذا العالم لولا تقدم علم الفيزياء، حيث أثبت لهم هذا العلم واقعًا مختلفًا تمامًا، فأدركوا أن المادة لم تكن كما تخيلوا على الإطلاق. لقد تخيل البشر سابقًا أن الشمس كيان مشع، إلا أن الحقيقة أن لون الشمس الحقيقي هو الأسود الداكن كما أن درجة حرارتها ليس كما تخيل الجميع، فالبعض تحدث عن أن حرارة الشمس تبلغ ملايين الدرجات إلا إن هذا ليس سوى مجرد خيال. من هذا المبدأ، قد يتخيل أحدهم أنها باردة ومتجمدة، أو هكذا يعتقدون.

البارد والساخن، الحلو والمر.. كل تلك المعاني تنبع نتيجة الإدراك الحسي والذي يحدده الدماغ، لقد وهبنا الله تعالى تلك القدرة على الإدراك بشكل متنوع. على سبيل المثال، ما قد يبدو مُراً بالنسبة للبعض ربما يصفه آخر بالحامض. المرضى على سبيل المثال لا يستطيعون تذوق الطعام بالدرجة التي يتذوقه بها الأصحاء، فقد يشعر بعضهم أن السكر مرُ الطعم، على الرغم من أننا جميعاً نجده حلو المذاق، هكذا يفسر المخ الطعم بالنسبة له. ربما تغيب تلك المعلومة عن الكثيرين، وربما يخاف الكثيرون من إدراك ذلك لسبب ما.

من لقاء بتاريخ 3 نوفمبر 2010

www.a9.com.tr / en.harunyahya.tv

# لقاءات مع عدنان أوكطار

حقيقة المادة هي أكثر ما يرعب الماديين وأتباع داروين.

عدنان أوكطار: تعتبر حقيقة المادة أحد أقوى الأدلة في مواجهة الماديّة، فقد ارتعد "لينين" على سبيل المثال خوفاً عندما علم بذلك الأمر، فقال "لا تدخلوا في أي حديث حول المادة مع من يؤمنون بالخلق، لأنكم إن فعلتم فستغرقون دون أثر، لا تجادلوهم أبدًا في هذا الشأن".

إن حقيقة المادة هي أكثر ما أخاف لينين، وأخاف الماديين بشكل عام، بالإضافة إلى حقيقة إدراك المادة بواسطة المخ، فحقيقة أننا نرى كل ذلك العالم وندرك ما فيه بلا حدود من خلال جزء صغير في الجسم لتلك الدرجة. لم يجبر كل ذلك اللينينية والماركسية على الإيمان بوجود الروح. فمن يستطيع مشاهدة تلك الصور بتلك الألوان الزاهية، ومن يستطيع أن يسمع تلك الأصوات، ومن يستطيع أن يشعر من خلال اللمس والتذوق؟ ربما تكون تلك الأسئلة أحد الأسباب الأولية لانهيار اللينينية والماركسية. السبب الأول بالتأكيد هو نظرية الانفجار الكبير، وهذا هو السبب الثاني، أما الثالث فهو انهيار الداروينية.

تنص نظرية الانفجار الكبير على وجود بداية ما لكل من الزمان والمادة، بيما جاءت الحقائق التي ذكرناها كضربة كبيرة بالنسبة لهم. ثانيًا، حقيقة المادة والروح، لأنهم لا يستطيعون تفسير الروح. يستطيع البشر الرؤية، والإدراك، والتمييز بين الألون والشعور بالضوء، وهو ما يتم تجميعه وتكوينه داخل المخ وليس خارجه. لا يستطيع الماديون تفسير هذه الحقيقة بشكل علمي، لأنها حقيقة ميتافيزيقية خارقة، فهي ليست بالشئ الذي يمكن دراسته معمليًا لأنه لا يستطيع أحدهم أن يدخل إلى أعماق العقل. دعونا نتحدث عن الصوت كمثال، لدينا نحن كبشر حاسة سمع قادرة على تنقية الصوت أكثر من أي أداة إلكترونية، كذلك، لدينا بداخل ذلك العقل قدرة على رؤية وإدراك الصور بشكل واضح ونقي يفوق أفضل أجهزة التلفاز وأجودها والتي لم تصل أبدا لتلك الدرجة التي يصل إليها العقل البشري حيث تظل حتى الآن تلك الصور في التلفاز ثنائية الأبعاد، ولم يتمكنوا من تصميم أجهزة ثلاثية الأبعاد بشكل كامل، فحتى إن فعلوا ذلك، فستتكون من آلاف المكونات الإلكترونية وستحتاج إلى آلاف المهندسين لتصميمها، إلا أنهم لن يستطيعوا أن يصلوا لتلك الدرجة، فيبقى الأمر في النهاية ما هو إلا مجرد صورة، ومن الذي سيتمكن من رؤية تلك الصورة بالنهاية؟ هذا سؤال منفصل، إذا قاموا بصنع الصورة فلن يستطيعوا صنع من يشاهد الصورة، لن يستطيعوا أن يصنعوا روحًا بمعنى أدق.

لقد خلق الله الإنسان ومنحه القدرة على الرؤية وإدراك الصور، كما منحنا القدرة على رؤية الأشياء بأبعادها الثلاثة وهو ما يفوق أية صور يعرضها التلفاز بكثير. ربما جودة أجهزة التلفاز الحالية تجعل البعض يشعرون بالانبهار من جودة تلك الصور إلى الدرجة التي قد يظن فيها البعض عند مشاهدة التلفاز أنه يشاهد الحدث بالفعل، إلا إننا يجب أن نسأل، ما هي المسافة التي يمكننا أن نتحقق فيها من أن ما نراه هو صور متلفزة وليست حقيقية؟ إذا ابتعدت عن التلفاز لمترين على الأكثر فستدرك الأمر، إلا أننا في بعض الأحيان لا ندرك أننا فقط نشاهد التلفاز داخل عقولنا، قد تغيب تلك الحقيقية بشكل جزئي عن البعض، في حين يفهم البعض الآخر هذا الأمر تمامًا، فيما يتجاهل الآخرون الأمر، إلا أن من يفهمون هذا الأمر يكون الأمر ذا أثر مختلف بالنسبة لهم. إن ظاهرة تكون صور التلفاز بداخل المخ ربما تكون ظاهرة ضخمة استثنائية للغاية، وقد يبدأ الناس في فهم هذا السر بعد عام 2012، وحينها سيفهمون المزيد بشأن المادة وسيدركون حقيقتها، إن شاء الله.

من لقاء بتاريخ 29 سبتمبر 2011

www.a9.com.tr / en.harunyahya.tv

## أتباع داروين والماديون يتظاهرون بعدم فهم الأدلة العلمية بشأن حقيقة المادة

عدنان أوكطار: أتباع داروين والماديون يرون ويسمعون ولكن لا يدركون، إنهم يستثنون هذا الجزء من المعادلة ويعتبرونه غير مهم. هناك من الناس من يكتفي بمجرد الرؤية أو السمع فقط، وهناك من يفكر فيما يسمعه ويراه، هذا الشخص هو على صواب بالتأكيد.

لا يفكر أتباع داروين بشأن المادة على الإطلاق، ويزعمون أنهم يفهمون حقيقة الأمر، وأن الصور تتكون بداخل المخ. على سبيل المثال، فمن يقرأ شيئا ما من جهاز الكمبيوتر، فهو يقرأ ذلك النص داخل عقله، وكذلك من يشاهد شيئًا عبر الإنترنت أيضًا، فإن تلك الصور تتكون داخل العقل، فنحن لا يمكن أن نشاهد جهاز الكمبيوتر نفسه، لأنه في حقيقة الأمر ما هو إلا جسم مظلم وشفاف، إلا أن المخ يقوم بوظيفة ترجمة تلك الإشارات داخل المخ إلى صور ملونة، فما يعرض على تلك الشاشات هو في حقيقة الأمر بلا ألوان.

ثانياً، يمكن القول بأن ما يوجد على تلك الشاشة شفاف أيضًا. ثالثًا، لا يوجد ضوء بها، فهي عبارة عن ظلام دامس في حقيقة الأمر. لذلك، يمكننا القول بأن أجهزة التلفاز دون الإدراك والحواس هي بلا فائدة. الكمبيوتر الحقيقي هو ما خلقه الله بداخلنا، إنه العقل. هل يدرك من يؤمنون بالتطور تلك الحقيقة؟ نعم يدركونها، ولكن هل يفكرون فيها؟ الإجابة هي لا. ونظراً لكونهم يفكرون ويبحثون علميًا، فلا يمكنهم إنكار تلك الحقائق، فهل يوجد أي شخص يؤمن بالتطور ويقول أن هذه المعلومات غير صحيحة، إنهم يعترفون بها، ولكن لا يرغبون في التفكير بشأنها.

إذا أراد الشخص أن يصبح من أتباع نظرية التطور, فسيكون عليه ألا يفكر بشأن أي شئ لا يناسبه، فما التطور إلا محض كذب، بل وهو دعوة لعدم التفكير أيضًا، تلك هي الداروينية. أعتقد أنه على الجميع أن يغيروا قاموسهم وأن يستبدلوا تعريف الداروينية بعدم التفكير والكذب، يجب أن يعلموا أن الداروينية هي فن الكذب الشامل وهي فن رفض التفكير، ثم بعد ذلك يمكنهم أن يتحدثوا بما يعرفوه عن الداروينية، حيث أن هذا هو المعنى الأوضح للداروينية. إذا سألني أحدها ما الذي تكذب الداروينية بشأنه، فسأجيب على الأقل بـ3000 جزئية، فالداروينية هي منهج وثني يقوم بالأساس على استغلال الكذب والتلفيق.

ربما لا تحتوي الوثنية ذاتها سوى على ثلاث أو خمس كذبات على الأكثر، ربما يمكن اختصارها في إيمانهم بأن الأوثان هي من خلقت كل شئ، إلا إن أتباع الداروينية يكذبون آلاف الكذبات، فهو منهج يقوم بالأساس على الكذب ويتغذى عليه، ولا يمكن أن يستمر سوى عن طريق الكذب الذي لا يشبعون منه على الإطلاق. الحقيقية هي أن الداروينية لا يمكن أن تنجو دون كذب، لذلك تجد أن أغلب من يؤمنون بها من الكذابين بالأساس، لذلك يستطيعوا الاندماج مع هذا المنهج.

من لقاء بتاريخ 14 أغسطس 2010

www.a9.com.tr / en.harunyahya.tv

# العالَم الخارجي وراء فيزياء الكمّ

## الضوء: صورة من صور الطاقة

يوضح اكتشاف ماكس بلانك أن الضوء يملك خصائص كل من الموجة والجسيم. بعد ماكس بلانك، جاءت تجارب وملاحظات عديدة لتؤكد أن تلك الحقيقة لا تقبل الجدل. يمكن فهم هذا التعريف بشكل أفضل عن طريق فهم نوع آخر من الموجات، وهي موجات الماء. هذه الموجات لا تتكون من الماء، ولكنها عبارة عن طاقة تنتقل خلال المياه. إذا تحركت موجة من أحد أطراف حمام السباحة إلى الطرف المقابل، فهذا لا يعني أن المياه في الطرف الأول انتقلت إلى الطرف الثاني. يظل الماء في مكانه، ولكن الموجة نفسها هي التي تتحرك وتنقل الطاقة. عندما تحرك يدك في حوض مملوء بالماء ستنتج موجة صغيرة، لأنك تنقل طاقة إلى الماء. هذه الطاقة تظهر على شكل موجة في الماء.

بالمثل، فإن جميع الموجات هي عبارة عن انتقال للطاقة في وسط ما، مثل الماء.

أما موجات الضوء فهي أكثر تعقيدًا من موجات الماء، كما أنها لا تحتاج إلى وسط من أجل أن تنتقل، فالضوء يمكن أن ينتقل في الفراغ. (31) يعتمد الضوء على المادة في المرحلة الأولية فقط، فبمجرد انبعاث الضوء، يمكن أن يتحرك بشكل مستقل دون أن يتكون من مادة. أي أنه يمكن أن نجد طاقة ضوئية بدون أية مادة.

يعرف الضوء وكذلك الحرارة بأنهما صورتان من صور الطاقة المعروفة باسم الإشعاع الكهرومغناطيسي. كل الأشكال المختلفة للإشعاع الكهرومغناطيسي يمكن أن تنتقل في صورة موجات من الطاقة في الفضاء. مرة أخرى، يمكننا مقارنة هذه الموجات تشبه الموجات الناشئة من إلقاء حجر في بِركة، ولو كان التشابه بسيطًا. فبينما تختلف موجات الماء من حيث عرض الموجة وسعة اهتزازتها، يختلف الإشعاع الكهرومغناطيسي من حيث طول الموجة.

هناك تباين شاسع بين الأطوال الموجية للإشعاع الكهرومغناطيسي، فالبعض قد يكون طوله الموجي عدّة كيلومترات، والبعض الآخر قد يكون طوله الموجي أصغر من جزء من تريليون جزء من السنتيمتر. لذا يقسّم العلماء هذه الأطوال الموجية المختلفة في فئات، مما يعني أنها أشكال مختلفة تمامًا من الطاقة. على سبيل المثال، الأشعة ذات الطول الموجي القصير، أي يقدر بحوالي جزء من تريليون جزء من السنتيمتر تُعرَف باسم "أشعة جاما"، وتنقل طاقة عالية جدًا. بينما الأشعة ذات طول موجي يبلغ عدّة كيلومترات تُعرف باسم "موجات الراديو" وتنقل طاقة قليلة جدًا. لهذا السبب، تُعتبر أشعة جاما قاتلة بالنسبة لنا، بينما أشعة الراديو لا تؤثر على جسم الإنسان إطلاقًا إذا ما مرّت خلاله.

يتفاوت طول الموجة بشكل غير عاديّ، فأقصر طول للموجة يُعدّ أصغر $10^{25}$ مرة من الأطول. رقميًا، يمكننا التعبير عن هذا العدد بواحد متبوعًا ب 25 صفرًا، أي يكتب هكذا (10,000,000,000,000,000,000,000,000). دعونا نعقد بعض المقارنات لنفهم هذا الرقم بشكل أفضل. على سبيل المثال، عدد الثواني التي مرّت خلال أربع مليارات سنة من وجود الأرض هو $10^{17}$ ثانية فقط. فلوّ أردنا الوصول إلى العدد $10^{25}$ من الثواني، سنحتاج حوالي 100 مليون ضعفًا لعمر الأرض! إذا حاولنا وضع $10^{25}$ من بطاقات اللعب فوق بعضها، فستصل أبعد من مجرّة درب التبّانة، وسيصل طولها إلى حوالي نصف طول الكون الذي ندركه.

على الرغم من أن الأطوال الموجية في الكون قد وُزِّعت في هذا الطيف الواسع، من المثير للاهتمام أن تعلم أن ضوء الشمس يقتصر على نطاق ضيق جدًا من هذا الطيف، إذ أن 70 بالمئة من الأطوال الموجية المختلفة المنبعثة من الشمس تقع ضمن نطاق ضيق يتراوح بين 0.3 ميكرون و1.5 ميكرون، والميكرون هو جزء من ألف جزء من المليمتر.

خلال هذا النطاق يوجد ثلاثة أنواع من الضوء وهم الضوء المرئي، والأشعة تحت الحمراء، والأشعة فوق البنفسجية.

لكنّ هذه الأنواع الثلاثة تمثل وحدة واحدة من الطيف الكهرومغناطيسي. أي أننا إذا وضعنا ضوء الشمس كله معًا فإنه سيمثل ورقة واحدة من $10^{25}$ ورقة لعب. اقتصار أشعة الشمس على هذا النطاق هو أمر مهم، إذ أن هذه الأنواع الثلاثة وحدها، هي من أهم أسباب الحياة على الأرض.

الضوء الذي تستقبله العين البشرية لتكوّن صورة يُمثّل نطاقًا محدودًا من نطاق واسع من الترددات الموجية. الأطوال الموجية التي تستقبلها الشبكية تتراوح من 39 إلى 75 جزءًا من المليون جزء من السنتيمتر. يقول أستاذ علم النفس العصبي ريتشارد ل. غريغوري: "إذا نظرت إليها بهذه الطريقة، فستجد أننا مكفوفي البصر تقريبًا". (32)

إذا وضعت هذا في اعتبارك، يمكنك أن تدرك كيف أن الضوء الذي تراه لا يمثل سوى جزء صغير جدًا من الضوء الموجود، فشبكية العين تدرك صورًا مكونة من نطاق صغير من الضوء. بينما نطاق الترددات الموجية لا يزال غير معروف بالنسبة لنا.

الضوء الذي يمكننا رؤيته في هذا النطاق الضيق من الترددات ينقل لنا كل ما نراه من العالم الخارجي.

تعتبر الخاصية الرئيسية للضوء هي تأثيره على المادة. بشكل عام، تمتلك الأجسام قصورًا ذاتيًا، أي أنها تقاوم القوى الواقعة عليها لتحريكها من حالة السكون. متى قمت بدفع جسم ما أو بسحبه، نشعر بمقاومة ذلك الجسم للحركة. هذا ما سمّاه نيوتن الفعل وردّ الفعل. الضوء أيضًا

يؤثر على المادة، ولكنّه ليست له خاصية القصور الذاتي. يمكننا رؤية الضوء يتفاعل مع الأشياء، على سبيل المثال يمكن لشعاع من الليزر أن يقطع المعادن، أو يُستخدم لتصحيح الإبصار عن طريق توجيهه إلى الشبكية. ولكننا لا يمكننا إدراك رد فعل المادّة على الضوء إطلاقًا. يشير الفيزيائيون إلى الضوء بأنه ليس له كتلة ساكنة. (33)

الكتلة الساكنة هي كتلة الجسم في حالة السكون، أي عندما يكون الجسم ثابتًا. ولكن الضوء لا يكون في حالة سكون أبدًا، فهو في حالة حركة مستمرة. لذلك فالضوء هو صورة من صور الطاقة ليس لها كتلة، ولهذا السبب لا تظهر خواص المادة عليها.

يصف فريد آلن وولف هذه الحالة قائلا: "عندما نرى الضوء، نحن لا نرى أي ضوء، بل نرى تأثير وقوع الضوء على المادة، وبالتالي نرى الأجسام الحسية التي ندركها. يمكننا أن نرى جسمًا متحركًا. أما الضوء فهو أمر ليس من عالمنا هذا... (34)

## أين هو الضوء في الواقع؟

هل الضوء هو سبب رؤيتنا للعالم من حولنا؟ وهل هو الطريقة التي من خلالها تُكوّن عقولنا صورًا للعالم؟ هل الضوء هو سبب وجود الأجسام المادّية عندما يتواجد، والتي تختفي بالنسبة لنا تمامًا في الظلام؟ ولو لم يوجد الضوء، هل سيختفي وجود العالم من حولنا؟

فكرة أن العالم الخارجي الذي نراه موجود فقط بسبب وجود الضوء المرئي، هي ما نعتقده بالفعل. في الواقع لا يوجد ضوء في العالم الخارجي المظلم الذي لا نستطيع رؤيته، لا توجد مصابيح ولا يوجد ضوء مثل ضوء الشمس الذي نعرفه. الضوء وحده ينير العالم الذي نعيش فيه والذي تتصوره عقولنا.

الشمس وغيرها من مصادر الضوء تُشِع جسيمات كهرومغناطيسية (وهي الفوتونات) بأطوال موجية مختلفة. تنتشر هذه الجسيمات خلال الكون حسب تكوينها. على سبيل المثال، يمر خلال جسمك العديد من الجُسيمات المُشِعّة التي لا يمكن إيقافها إلا بدرع من الرصاص. بعض هذه الجُسيمات يكون ثقيلًا للغاية ومشحونًا بطاقة عالية لدرجة أنها يمكنها تدمير أي جزيئات تصادفها، وتستمر في طريقها دون تغيير في مسارها. هذا هو السبب الأساسي في أن الإشعاع يسبب الإصابة بالسرطان. تستخدم أجهزة الأشعة السينية إشعاعاً أضعف، وتقوم بتحويل موجات الراديو التي تُشعها إلى ضوء مرئي عبر فيلم حساس للضوء، وبالتالي يمكن للعين البشرية رؤيتها. أي أنّ الضوء يُعتبر موجودًا طالما تدركه العين البشرية ويفسره المخ. ولكن الضوء لا يوجد في الفضاء بالشكل الذي ندركه.

لا تضر موجات الراديو بالأنسجة البشرية عندما تمر خلالها، هذه الموجات لا يمكننا إدراكها بحواسنا، ولكن أجهزة الراديو في منزلك أو في سيارتك تحولها إلى موجات صوتية تستطيع أذننا سماعها. التشويش والضوضاء التي تسمعها بين القنوات أو عند عدم إذاعة أي برنامج هي في الواقع صوت الخلفية الإشعاعية الكونية وهي عبارة عن الإشعاعات المنبعثة من النجوم بما فيهم الشمس منذ بداية الكون. هذا التشويش الذي نشير إليه بأنه صوت هو في الواقع عبارة عن موجات حولتها أجهزة الراديو إلى موجات أخرى تستطيع آذاننا سماعها، تتبعها إشارات ترسلها الأعصاب السمعية لدينا إلى المخ، فنستطيع بذلك تمييز هذه الأصوات.

يمكننا القول أن الموجات نفسها ليست موجودة في الواقع، لأنها ليس لها وجود بالمعنى الماديّ، وإنما لابد من تحويلها إلى صورة يمكن لآذاننا سماعها، ويمكن للمخ تفسيرها. ينطبق الأمر نفسه على جهاز التليفزيون، حيث تقوم شاشة الجهاز بتحويل موجات ضوئية مختلفة غير مرئية بالنسبة لنا إلى صورة أخرى يمكننا إدراكها.

الفوتونات التي هي مصدر هذا الإدراك الذي نسميه بالضوء هي عبارة عن جزيئات ضوئية ترتد عند اصطدامها بأي ذرة، وتُحدِث القليل من الضرر لنقطة الاصطدام. تحمل الأشعة فوق البنفسجية شحنات كبيرة من الطاقة والتي يمكنها التأثير على الجلد البشري وقد تؤدّي أحيانًا إلى تدمير الشفرة الوراثية لبعض الخلايا، لأن الفوتونات في هذه الموجات تهتز بترددات عالية. هذا هو السبب في أن التعرض المفرط لأشعة الشمس يمكن أن يؤدي للإصابة بالسرطان.

الفوتونات التي تُعرف بالأشعة تحت الحمراء تفقد جزءًا من طاقتها للجزيئات التي تصطدم بها وتزيد من معدّل اهتزازها، وبالتالي ترتفع حرارتها، وهذا هو السبب في أن الأشعة تحت الحمراء تُعرف أيضًا بالأشعة الحرارية. الموقد أو السخان الكهربي يُصدِر كميات كبيرة من الأشعة تحت الحمراء التي يمكن للجلد أن يشعر بحرارتها. ولكن في الواقع، هذه الحرارة هي عبارة عن طاقة تولدت من اصطدام موجات الضوء بالمادة. من المستحيل أن نقول بأنه يوجد ما يسمى بالحرارة من دون وجود كيان ما يدركها.

تقع ترددات بعض الفوتونات بين تردد الأشعة فوق البنفسجية وتردد الأشعة تحت الحمراء. عندما تصطدم هذه الأشعة بالشبكية في الجزء الخلفي من عينيك، تقوم خلايا العين بتحويلها إلى إشارة كهربائية. في الواقع، تعتبر الفوتونات جسيمات مادّية ولكن عقولنا تدركها في صورة "الضوء". لو كانت خلايا العين تدرك الفوتونات في صورة "جسيمات حرارية"، لما كان لدينا بعض المفاهيم مثل الضوء، واللون، والظلام، ولكننا إذا ما نظرنا إلى أجسام مادّية، كنا سنشعر إذا ما كانت ساخنة أو باردة. أي أن الطريقة التي يبدو العالم الخارجي لنا بها تتوقف على طريقة إدراك حواسنا لهذا العالم. ففي الواقع لا توجد مادة تسمى بالضوء، وكذلك لا توجد مادة تسمّى بالحرارة.
إنما نحن محاطون بجزيئات ذات ترددات وأطوال موجية مختلفة، وتقوم مراكز الإدراك في المخ بجعل الأجسام مرئية بالنسبة لنا.

تقوم خلايا الإدراك بتحويل للفوتونات التي تسقط على الشبكية إلى تيارات كهربية، ثم تقوم الأعصاب بإرسال هذه التيارات إلى المركز البصري في المخ. بعد ذلك، يقوم المركز البصري بتفسير تلك الإشارات الكهربائية ويستطيع تكوين صورة. تعبر كتب الفيزياء عن هذه الخاصية الضوئية كالتالي:
تستخدم كلمة "الضوء" بالمعنى الموضوعي في إشارة إلى الموجات الكهرومغناطيسية أو الفوتونات. وتستخدم الكلمة نفسها أيضًا بمعنى نفسي لتشير إلى الإحساس الذي ينشأ عند سقوط الموجات الكهرومغناطيسية والفوتونات على شبكية العين. يمكننا التعبير عن المفهومين معًا عن طريق وصف الضوء بأنه صورة من صور الطاقة تظهر بسبب التأثيرات البصرية الناتجة عن استقبال شبكية العين له.

العالم الحيوي المشرق الذي نتخيل أنه موجود حولنا، هو بالفعل له وجود مادي، ولكن إدراكنا له هو عبارة عن وهم نصنعه في داخلنا، ولا يمكننا رؤية أصل هذا العالم أبدًا. عندما تنظر إلى البحر في يوم مشمس، فالمنظر الذي تراه هو مظلم بالأساس. في الواقع لا يوجد انعكاس للأشياء على الماء، ولا لون البحر الأزرق، ولا هواء صافٍ واضح الرؤية، ولا سحب بيضاء جميلة. إنما الإشارات الكهربائية التي يتم إرسالها إلى المخ هي التي تمكننا من إدراك هذه الصورة مشرقة وحيوية. فالضوء إلى جانب أن تأثيره على إدراك المخ، هو أيضًا صورة من صور الطاقة. لهذا السبب، فإن الضوء –والذي نعتقد أنه هو سبب إدراكنا للأشياء- ما هو إلا خيال.

بأخذ هذه الحقيقة في الاعتبار، نصل إلى استنتاج مدهش جدًا، أن العينين لا تمتلكان خاصية الإبصار على الإطلاق. إنما العين هي مجرد وحدة في نظام، تقوم بتحويل الفوتونات إلى إشارات كهربائية، ولكنها ليست لها القدرة على الإدراك. ليست العين هي التي تشاهد العالم المشرق الذي نتصوره من حولنا، فالإحساس بالضوء أو اللون لا يتكون في العين نفسها، وهذا ما سنشرحه بالتفصيل في أجزاء هذا الكتاب المتعلقة بالرؤية.

## هل الألوان موجودة داخل مُخّنا فقط؟

إن الضوء الذي ندركه يتكون فقط من إشارات تفسرها القشرة الدماغية البصرية لدينا. إذاً فإن الألوان التي نراها يومياً والتي تنشأ عن الضوء ما هي إلا تفسير يقوم به العقل.

تنشأ الألوان المختلفة التي ندركها، بسبب اختلاف تردد الفوتونات. أي أننا نستطيع التمييز بين لونين كالأحمر والأصفر تبعًا لدرجة اهتزاز الفوتون، فكل لون ينشأ من درجة اهتزاز محددة. فمثلًا، يظهر الورق والثلوج باللون الأبيض وذلك بسبب قدرتهم على عكس موجات الضوء بمختلف تردداتها، بالإضافة إلى أن اللون الأبيض هو عبارة عن مزيج من كافة الألوان. كذلك تظهر أوراق الأشجار في اللون الأخضر، لأنها تعكس الفوتونات ذات التردد المسبّب لظهور اللون الأخضر، بينما تمتص باقي الفوتونات. كمثال آخر، يبدو الزجاج شفافًا، لأن الفوتونات يمكنها أن تمر من خلاله وتصل إلى أعيننا دون أن يمنعها شيء. أما القماش الأسود فيعكس القليل من الضوء الساقط عليه ويمتص غالبية الفوتونات، وبالتالي يصل القليل من الفوتونات إلى أعيننا ونرى قطعة القماش مظلمة أو سوداء.

أما المرآه فتعطينا نسخة مشابهة من أي صورة لأنها عبارة عن سطح أملس عاكس، وعند سقوط أشعة الضوء عليها فإن الأشعة كلها ترتد متوازية كما جاءت.

يبدأ إدراك الألوان في الخلايا المخروطية في شبكية العين، حيث توجد ثلاثة أنواع من الخلايا المخروطية، يلتقط كل نوع منها أشعة ذات أطوال موجية محددة. النوع الأول يستقبل اللون الأزرق، والثاني يستقبل الأزرق، والثالث يستقبل الأخضر. يمكننا إدراك ملايين التدرجات المختلفة من الألوان نتيجة لتعرض هذه الأنواع الثلاث لنسب مختلفة من الضوء. بالرغم من ذلك، فإن وصول الضوء للخلايا المخروطية لا يُعدّ سببًا كافيًا لكي نتمكن من رؤية الألوان.

يوضح جيرمي ناثانز الباحث بكلية الطب في جامعة جونز هوبكنز أن الخلايا المخروطية الموجودة في شبكية العين ليست هي السبب في إدراكنا للألوان فيقول: "كل ما تستطيع الخلية المخروطية القيام به هو التقاط الضوء ومعرفة شدّته، لكنّها ليست مسئولة عن اللون إطلاقًا". (36)

يتم تحويل بيانات الألوان التي تستقبلها الخلايا المخروطية إلى إشارات كهربائية، تبعاً للأصباغ المختلفة التي تمتلكها. تقوم الخلايا العصبية المتصلة بالخلايا المخروطية بنقل تلك الإشارات إلى منطقة مخصصة في المخ، والتي تدرك العالم الذي نراه طوال الوقت.

إذاً هل يوجد أي ألوان في هذه المنطقة؟

هذا المركز الخاص بالإبصار في المخ هو جزء مظلم تماماً مثل باقي أجزاء المخ، فلا يوجد ضوء هناك، وبالتالي لا توجد ألوان كالأحمر أو الأخضر أو الأصفر أو الأبيض. لا يوجد انعكاس للزهور الزاهية، ولا لضوء الشمس، ولا للسماء الزرقاء، ولا للأشجار الخضراء، إذ أن اللون داخل الجمجمة هو أسود قاتم. قد نعتقد أن الضوء يدخل مباشرة إلى هناك من خلال أعيننا، لكنك لن تجد أي أثر للضوء في أي مكان خلف العينين.

تتشكل الألوان من خاصية انعكاس الضوء التي تمتلكها الأجسام. ولكن لو لم يوجد أي ضوء في العالم الخارجي، بلا شك لن يكون هناك أي ألوان. أين إذاً يوجد هذا العالم المليء بالألوان الذي نعتقد أنه بالخارج؟ جميع الألوان هي ناتجة عن تصورنا لها، لكنها ليست موجودة في العالم من حولنا ولا داخل المخ، أي أن الألوان تظهر كذلك لأن عقولنا تفسرها بهذه الصورة.

بيتر راسل الذي درس الرياضيات والفيزياء النظرية في جامعة كامبريدج يصف ذلك فيقول:

"ما يثير دهشة الكثيرين، هو أن العالم "الخارجي" الذي نراه هو ليس كما نتوقعه. دعنا نأخذ اللون الأخضر على سبيل المثال. في العالم المادي، موجات الضوء لها تردد معين، ولكن الضوء نفسه ليس أخضر، ولا النبضات الكهربائية التي تنتقل من العين إلى المخ خضراء. إنما اللون الأخضر نتصوره في عقولنا نتيجة لاختلاف تردد الضوء. الأمر كله يتعلق بالعقل." (37)

أي أن كل الألوان التي نراها وسطوع الصور أيضاً تتكون وفقاً لتفسير العقل لأنواع مختلفة من الإشعاع تتلقاها العين.*

يلخص ريتشارد ل. جريجوري الأستاذ الفخري في علم النفس العصبي بجامعة بريستول في بريطانيا، في كتابه "العين والمخ - *Eye and Brain*" فيقول: "لنتحدث بدقة، الضوء نفسه ليس ملوناً، لكنه يتسبب في نشأة السطوع والألوان، فقط عند وجود العين والجهاز العصبي المناسبين." (38)

عندما يحدث أي ضرر أو تغير في بناء العين، قد يتسبب ذلك في رؤيتنا لنفس الشيء بشكل مختلف تماماً، على الرغم من أن الإشارات التي تنشئها الفوتونات ومركز الإبصار في المخ لا يزال لديها نفس الخصائص. هذا هو السبب في أن الأشخاص ذوي الرؤية السليمة والأشخاص المصابين بعمى الألوان تفسر يتصورون الألوان مختلفة للغاية.

خلاصة القول في هذا الشأن هي أن "العالم الخارجي" الذي ندركه هو عبارة عن ظلام. في الواقع، كلمة "ظلام" لا تبدو دقيقة، فلا يوجد أي لون هناك على الإطلاق. ذلك العالم المشرق ثلاثي الأبعاد الذي نراه في ألوان حيوية هو خادع تمامًا. الفوتونات المنعكسة التي نفسرها كضوء وألوان ما هي إلا عبارة عن ظلام دامس بالأساس. كذلك أجسادنا، بما فيها أعيننا، بالإضافة إلى العالم المادي الذي ندركه كعالم

مشرق ملون ثلاثي الأبعاد، كل ذلك موجود داخل عقولنا التي تفسر ما نراه بهذه الطريقة. ومن المثير للاهتمام أن العين التي تتلقى كل ما نراه، والمخ الذي يفسر تلك الرؤية، هما أيضاً في ظلام دامس، حيث لا يوجد أي ضوء أو لون داخل المخ، المسئول عن تفسيرهما.

دانيال ك. دينيت أستاذ الفلسفة بجامعة تافتس أجرى تجارب عديدة لاختبار الوعي والعقل، يقول في أحد كتبه:
" نفى العلم الحديث وجود اللون في العالم المادي، إلا إن الإشعاع المغناطيسي عديم اللون له أطوال موجية مختلفة."

في نفس الكتاب، يقتبس دينيت من كتاب تمهيدي لروبرت أورنشتاين وتومسون يتحدث عن العقل.

"اللون بذاته لا وجود له في العالم، إنما يتواجد فقط في عين الإنسان وعقله. تعكس الأجسام أطوال موجية مختلفة من الضوء، لكن هذه الموجات الضوئية ليس لها لون." (40)

نظرًا لأن اللون يرتبط بالطريقة التي يدركه بها الشخص، إذاً لا يوجد طريقة نستطيع من خلالها معرفة ما إذا كان العالم الذي نتصوره هو نفس العالم الذي يتصوره باقي الناس أم لا. لا يمكنك التأكد من أن اللون الأحمر الذي يراه شخص ما، هو نفس اللون الذي تراه. بالنسبة لنا، كلمة "ملون" تعبر عن ملايين الألوان المختلفة، بينما قد يرى شخص آخر عدداً محدوداً من الألوان ويعتقد أنه يرى طيف الألوان كاملاً. لا توجد لدينا وسيلة لمقارنة إدراكنا لشيء ما بإدراك أي شخص آخر للشيء نفسه.

نحن نتخيل أننا ننظر إلى نفس الشيء، لكن عند مقارنة تصورنا للأشياء بتصور الآخرين لنفس الأشياء، قد تكون مختلفة تمامًا. نظرًا لأن إدراكنا للعالم الخارجي مقتصر على حواسنا الخمسة، فنحن لا ندري إذا ما كان "اللون الأزرق" يبدو نفسه بالنسبة للأشخاص الآخرين، أو ربما يبدو مذاق القهوة مختلفاً، كما أننا لا يمكننا أن نصف إدراكنا لتلك الأشياء.

يعتبر عمى الألوان أحد أبرز الأدلة على أن الألوان تتشكل في عقولنا فقط. يحدث عمى الألوان غالباً بسبب نشأة اختلاف جيني موروث في شبكية العين. الكثير من الناس من المصابين بعمى الألوان لا يستطيعون التمييز بين الأحمر والأخضر، والسبب في ذلك هو أننا لدينا طرق مختلفة لإدراك مفهوم اللون. فاللون الذي نحن متأكدون أنه أخضر، تراه مجموعة أخرى من الناس رمادياً، وهذا لا يعني أن أحدنا مخطئ لا يمكننا معرفة من منّا على صواب ومن على خطأ، لأننا كأفراد ندرك الألوان بشكل مختلف، ولا توجد طريقة لإجراء مقارنات ومعرفة الحقيقة. تصور اللون الأخضر وكذلك الرمادي كلاهما تجارب شخصية، فالأمر يعتمد على إدراكنا المختلف للأشياء.

يجب علينا أن نعلم أن جميع الخصائص التي ننسبها للأشياء أو للأشخاص الآخرين هي في الواقع عبارة عن تصورات في عقولنا، وليست موجودة بالأساس في العالم من حولنا. نظراً لأننا لا يمكننا الخروج خارج حدود تصوراتنا والوصول إلى الواقع، لا يمكننا أبداً أن ندرك الكينونة الحقيقية للأشياء، ولا للكون ككل.

الفيلسوف الشهير في القرن الثامن عشر والأسقف جورج بيركلي لفت الانتباه إلى هذه الحقيقة حيث قال:
"إذا كان شيء ما يمكن أن يبدو أحمر اللون وساخن بالنسبة لبعض الأشخاص، ويكون على نقيض ذلك بالنسبة لأشخاص آخرين، فهذا يعني أننا نفهم الأشياء بشكل خاطئ، وأن هذه "الأشياء" التي نتصورها موجودة في عقولنا فقط."

في حديث لأحد البرامج الإذاعية، قال الفيلسوف جيرارد أوبراين الذي يعمل بجامعة أديلايد في استراليا:

"عندما ننظر للعالم من حولنا، نرى الأشياء ملونة، فنظن أن تلك الألوان ملتصقة بالأشياء التي نراها في الواقع. لكن هناك سؤال مهم جداً لو كان الأمر كذلك.. يعتقد العديد من الفلاسفة أن الألوان التي نراها هي في الواقع تصورنا الداخلي عن العالم، وأنه لا يوجد ألوان في العالم الحقيقي. لذا فالعالم خارج عقولنا، العالم المستقل عن تجاربنا، هو في الواقع عديم اللون. والسؤال هو، هل التفاح يكون أحمر اللون في الوقت الذي لا تنظر إليه فيه؟ وعندما نفكر في ذلك فإن اعتقادنا بأن الألوان التي نراها موجودة بالفعل في العالم، تبدو وجهة النظر هذه غير علانية، لأننا نعلم أن هناك بعض الحيوانات التي تعيش على سطح هذا الكوكب، ولديها أنظمة لإدراك الألوان مختلفة عن التي لدينا، وتميز ألواناً أقل مما نفعل، وبالتالي فإن هذه الحيوانات ترى العالم بمجموعة ألوان مختلفة عن التي نراه بها.

الآن، لماذا نعتقد أن وجهة نظرنا –بأن الألوان التي نراها موجودة في العالم بالفعل- صحيحة؟ قد تكون هناك طريقتان مختلفتان لإدراك العالم حيث نمتلك أحدهما بينما تمتلك الحيوانات طريقة أخرى مختلفة.

يعتبر تحليل أوبراين لهذا الأمر في غاية الأهمية من حيث التشكيك في السؤال "كيف يبدو الواقع الخارجي؟". لا يوجد أي دليل على أن الكائنات الحية الأخرى تتلقى الضوء وتدرك الألوان بنفس طريقتنا. من المستحيل بالنسبة لنا أن نحصل على أدلة علمية تثبت الحقيقة. وما

دام الحال كذلك، فإن كل ما يمكننا قوله فيما يتعلق بالعالم الخارجي مبنيّ على الحدس والتخمين، لأن تصورنا للعالم الخارجي –بالطريقة التي نعتاد عليها- يعتمد بالأساس على حواسنا الخمسة.

# لقاءات مع عدنان أوكطار

### كل منا يقضي حياته أمام شاشة موجودة في عقله، إلا إن أحداً لم يفكر في الخروج من عقله أبدًا

عدنان أوكطار: لا يدرك الناس حقيقة أنهم يعيشون داخل عقولهم، ويتخيلون أنهم يعيشون خارجها. فبرغم أن لنا أجساد خارج هذا العقل، إلا إن تركيب المادة والذرة يجعلها شفافة تماماً، وهو ما يتفق عليه كل العلماء والأديان وحتى الملحدين. كما أنه لا يوجد ضوء في الخارج، ولا أحد يعرف هذه المعلومة، حيث يتحدث الناس عن تلك الألوان الزاهية التي يرونها وعن الضوء من حولنا وعن المشي في الجو المشمس.

إلا إن من يرى تلك الشمس والجو المشمس لا يستطيع رؤية الشمس الحقيقية، لأنها معتمة. الشمس بالأساس تشع موجات يستقبلها الإنسان في صورة ضوء، إلا أنه لا يوجد ضوء حقيقي في الخارج. إذا سألت أي عالم فستجد أنه يعرف تلك الحقيقية، وكل ذلك هو بسبب تلك المسافة الكبيرة بين النواة وبين البروتون والنيوترون، لذلك فالمادة شفافة بالأساس، إنها تشبه الزجاج. لذلك، يمكن القول بأنه لا يوجد ضوء أو ألوان في الخارج، الأمر كما وصفناه تماماً. لا يوجد شئ ملون في حقيقة الأمر خارجنا، بل إن العقل هو ما يحول الأطوال الموجية إلى ألوان، لذلك، فما يوجد خارجنا هو الموجات، وعندما تصل تلك الموجات إلى العقل تتحول إلى الألوان المعروفة كالأحمر والأخضر والأزرق، إلا إن تلك الألوان لا توجد بالأساس، وهذا أمر مهم للغاية. فقد يعتقد البعض مثلاً أنهم يرون غابة خضراء، إلا أن هذا غير موجود، هذا هو تأويل العقل، وكل تلك الأمور تحدث داخل جزء صغير جداً من العقل لا يتعدى حجمه حبة العدس، إنه صغير جداً. ربما يقول أحدهم أيضاً "لدي قارب جميل" وعندما يبتعدوا، ترى أن ذلك القارب جميل للغاية، إلا أنك إذا قمت بغلق إحدى عينيك وضغطت على الأخرى برفق من الخارج، فسترى أن ذلك القارب يهتز في عينك، فلماذا يحدث ذلك؟ هذا لأننا ليس لدينا القدرة على رؤية ذلك القارب من خارجنا على صورته الحقيقية، فصورته تلك هي داخل العقل، إلا أن صورته الحقيقية هي عبارة عن جسم معتم وشفاف، في حين تتكون صورته داخل عقولنا، وهذا ما نراه.

كل منا يعيش أمام شاشة، تماماً كما يجلس الناس أمام شاشات الكمبيوتر في العمل دون أن يتحركوا، أو كحراس الأمن الذين يجلسون أمام شاشات المراقبة طوال اليوم. هكذا يعيش الناس داخل عقولهم بذات الطريقة. توجد شاشة داخل عقولنا تتكون من اشارات كهربية، ويعيش كل منا أمام تلك الشاشة، وهذا الأمر ليس معتقداً أو فلسفة، هذه حقيقة علمية لا يستطيع أحد إنكارها.

من لقاء بتاريخ 30 ديسمبر 2009

www.a9.com.tr / en.harunyahya.tv

# الحواس الخمس التي تمثل فهمنا للعالم الخارجي

"إذا كان كل ما نعرفه على الإطلاق هو الصور الحسّية التي تظهر في عقولنا، فكيف لنا أن نتأكد أن وجود واقع مادي هو سبب تصوراتنا؟ أليس هذا مجرد افتراض؟ جوابي هو: نعم، إنه مجرد افتراض، ولكنه يبدو الافتراض الأكثر قبولاً."
-بيتر راسل

إن ما نسميه ب"العالم الخارجي" يتكون فعلياً من تبادل الإلكترونات بين الذرات الدقيقة، ومن حركة موجات الراديو في الهواء، ومن الإهتزازات غير المحسوسة للجزيئات. ولكن هل مصادر الطاقة التي تُحوّل الذرات والجزيئات وتولد موجات الراديو، موجودة بالفعل؟ وماذا يثبت وجودها؟ هل ما يثبت وجودها هي الأجسام التي تؤثر عليها؟ هل هي الأجسام التي نراها أو نشمها أو نشعر بها؟ أم موجات الراديو التي نسمعها أو نراها؟ أم أنها الإشارات الكهربائية التي تصل إلى عقولنا عبر حواسنا الخمسة؟

ماذا قد يحدث لو اختفت تلك الإشارات الكهربائية؟ هل سيختفي العالم على الفور؟

إن العالم الخارجي موجود في صورة موجية مركزة. ومع ذلك، فالعالم الذي نتصوره ليس هو العالم الخارجي الحقيقي. لذلك إذا اختفت الإشارات الكهربائية التي تصل إلى عقولنا، فإننا لن ندرك وجود العالم وقتها. هذا لأننا نتعلم كل شيء عن عالمنا بواسطة حواسنا، فالمعلومات التي نعرفها عن العالم الخارجي تأتي في صورة تستطيع حواسنا نقلها. هذه المعلومات التي تصلنا يتم تحويلها إلى إشارات كهربائية يتم تفسيرها في مناطق محددة في المخ. لهذا السبب، فإن الماء الذي نشربه، أو أي فيلم نشاهده، أو أي وردة نشمها، كل ذلك ناتج عن تفسير المخ.

تذكر أنه فعلياً لا يوجد أي ألوان أو أصوات أو صور داخل أدمغتنا، فكل ما يوجد هناك مجرد إشارات كهربائية. إن أي منظر طبيعي تراه كالورود الملونة التي تُدخل علينا السرور، كذلك أي موسيقى تسمعها، أو طعام تجد مذاقه حلواً، كل ذلك يتكون نتيجة لانتقال إشارات كهربائية إلى المخ. لكن هذا لا يعني أن العالم الخارجي غير موجود، فالعالم لن تأتي نهايته إذا توقفت حواسّك الخمس عن إرسال إشارات كهربية للمخ. في هذه الحالة، سينتهي العالم بالنسبة لك فقط، لأنك تدرك وجود العالم من حولك عن طريق تفسير عقلك للإشارات الكهربية المرسلة إليه.

تصف الكاتبة العلمية ريتا كارتر كيف نتصور العالم في كتابها "تخطيط العقل- *Mapping the Mind* " فتقول:

يتكيف كل عضو من أعضاء الحس بصورة محكمة على نوع محدد من المحفزات، كالجزيئات، أو الموجات، أو الاهتزازات. ولكن الإجابة لا تكمن هنا، لأنه برغم اختلاف تلك الأعضاء، إلا أنهم يقومون جميعاً بنفس العمل، أي ترجمة أحد أنواع المحفزات التي يستقبلها إلى نبضات كهربائية. تلك النبضات هي عبارة عن طاقة كهربائية، أي أنها ليس لها لون أو ما شابه. أي أن أعضاء الحس تقوم بترجمة المدخلات الحسية بمختلف أنواعها إلى نوع واحد، ألا وهو الإشارات الكهربائية.

بعد ذلك، تصل جميع المحفزات الحسية إلى المخ على هيئة نبضات كهربائية أنشأتها الخلايا العصبية وهي ذات مسار محدد. هذا هو كل ما يحدث، فلا يوجد محوّل عكسي لإعادة الإشارات الكهربائية في مرحلة ما إلى موجات ضوئية أو جزيئات. ما يفرّق بين تيار كهربائي وآخر، فيجعل أحدهما صورة والآخر رائحة، هو نوع الخلايا العصبية التي يتم تحفيزها.

هذا الأمر مذهل حقاً، فأي إحساس أو صورة أو طعم أو رائحة نستقبلها تتكون من نفس الشيء، ألا وهو إشارات كهربائية. الأجزاء المعينة في المخ التي تتأثر بهذه الإشارات تفسرها إلى طعام لذيذ، أو منظر طبيعي خلاب، أو موسيقى. لكن ثمّة كيان مختلف يشعر بهذه الأشياء ويراها. المخ والإشارات الكهربائية أنفسهم لا يمكنهم تذوق الطعام أو رؤية اللون، أو شم رائحة الزهور. إنما هي الروح –وهي مختلفة عن المخ- هي التي تدرك وتقيم ما تستقبله حواسنا، وهذا ما يفشل العلماء الماديون استيعابه.

يصف الدكتور جيفري م. شوارتز كيف ينشأ الإدراك بشكل مستقل عن المخ فيقول: "كل موقف تمر به لديه شعور معين، بل وقد يكون شعوراً فريداً، فعندما تقضم شطيرة من الهامبرغر تجد طعمها مختلفاً عن شريحة من اللحم. كما أن أي شعور بالمذاق، يختلف تماماً عن سماعك لمقطوعة موسيقية، أو رؤيتك لعاصفة برقيّة".

المكان الذي ينشئ اللون الأحمر في القشرة البصرية بعيد لا علاقة له بتفسير شعورنا باللون الأحمر، أو سبب أن شعورك باللون الأحمر يختلف عن تذوقك لطعام ما، أو سماعك مقطوعة لبيتهوفن، خصوصاً أن كل تلك الأمور تؤدي إلى إرسال إشارات عصبية إلى القشرة الدماغية المسئولة عن الشعور. حتى التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي لا يتيح لنا معرفة أي شيء غير الأساس المادي للإدراك أو الوعي، فلا يعطي تصوراً قريباً يشرح ما يحدث بداخلك. كذلك لا يمكننا من خلاله أن نعرف شعور شخص ما باللون الأحمر. كيف يمكننا أيضاً معرفة إذا ما كان شعور هذا الشخص مشابهاً لشعور باقي البشر؟ ولماذا لا تستطيع دراسة الجزيئية لآليات عمل المخ تقديم إجابة على هذه الأسئلة؟ (45)

وصف بيتر راسل هذه المشكلة وقال:
"في كل مرة نحاول التمسك بالجانب المادي لا نأتي بأية نتائج، وكل الأفكار التي كانت لدينا عن المادّية أُثبِت خطأها. لكن إيماننا بالعالم المادي لا زال راسخاً –ومدعماً بقوة من قِبَل خبراتنا- لدرجة أننا نتمسك باعتقادنا بأنه يجب أن يكون هناك جوهر مادّي. الأمر مشابه لعلماء الفلك في القرون الوُسطى الذين اعتقدوا ولم يشككوا في افتراضهم بان الأرض هي مركز الكون، كذلك نحن لا نشكك في افتراضنا بأن العالم الخارجي هو ماديّ في طبيعته. لقد اندهشت للغاية عندما أدركت أن الجواب قد يكون موجوداً أمام أعيننا. قد لا يوجد أي شيء في العالم فعلاً، لا جانب مادي. قد يكون الجانب العقلي فقط هو الموجود". (46)

لا يمكن أن تجيب الأبحاث المتعلقة بالمخ عن الأسئلة المتعلقة بمن أو ماذا يدرك المخ، لأن ما يبحث عنه العلماء هو في الواقع شيء مختلف جداً عن الهيئة المادية للبشر، إنه شيء موجود في هويتهم.

تؤكد الكاتبة الأمريكية مارلين فيرجسون على أهمية البحث في مجال العلم والفلسفة، تكهن الفلاسفة القدامى منذ وقت الإغريق عن كيفية حدوث الإدراك لدى الإنسان، فجاءت تعبيرات مثل "الشبح في الماكينة" و"الرجل الصغير بداخل الرجل الصغير" وغيرها. أين يوجد الكيان الذي يستخدم العقل؟
من المسئول الحقيقي عن المعرفة والإدراك؟ أو كما يقول القديس فرنسيس الأسيزي "ما نبحث عنه، هو الذي يبحث". (47)

الوعي هو خاصية تنتمي إلى الروح فقط، أنعم الله بها على البشر. من خلال الروح، يكون الإنسان كياناً قادراً على التفكير والإدراك، واتخاذ القرارات. العقل والوعي هما خاصيتان يمتلكهما الإنسان بسبب نعمة الروح.

يقول الله –سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (سورة الشورى، الآية 52)

هذا الموضوع سيتم توضيحه تفصيلاً في الفصول القادمة من هذا الكتاب.

## من الذي يرى الصور في الدماغ؟

بعد أن يقع الضوء المنعكس من جسم بالخارج على شبكية العين، تنتقل الإشارات إلى ما يصل إلى 30 مركزاً بصرياً مختلفاً في الدماغ من أجل معالجتها. عندما يمر الضوء خلال عدسة العين، تتكون صورة مقلوبة ثنائية الأبعاد على طبقة من الخلايا الشبكية في الجزء الخلفي من العين. بعد إجراء عمليات كيميائية مختلفة، تقوم الخلايا العصوية، والخلايا المخروطية بتحويل تلك الصورة إلى نبضات كهربائية، والتي تنتقل عن طريق العصب البصري إلى مركز الإبصار في الجزء الخلفي من الدماغ. ثم يقوم الدماغ تجميع هذه الإشارات إلى صور ثلاثية الأبعاد ذات معنى.

يقول كريج هاميلتون:"كيفية حدوث ذلك هو مثال على ما يعرف ب"مشكلة الربط"، وهي لغز لم يستطع أحد إيجاد حل مقنع لها حتى الآن. رغم ذلك، من المهم أن نعرف أن كل عين من العينين ترى جزءاً مختلفاً من الصورة، ويقوم الدماغ بجمع الصورتين معاً إلى صورة واحدة. (48)

هذا التفسير يعطينا وصفاً عاماً للطريقة التي ترى العين بها، حيث تمثل العين المرحلة الأولى في تشكيل الصورة، والتي قد يوجد أصلها في العالم الخارجي، نحن لا نعلم. يُنسَخ العالم الموجود بالخارج داخلنا في منطقة صغيرة جداً في الدماغ، وذلك بسبب الضوء الذي يمر خلال أعيننا، وعن طريق الإشارات الكهربائية التي تنتقل إلى الدماغ. عندما ننظر حولنا، فإن الصور التي نراها –حتى ولو كانت صورة السماء التي لا حدود لها- تتكون في منطقة صغيرة جداً في الدماغ. من المستحيل أن نعرف إذا ما كانت الصورة الأصلية تطابق التي نراها أم لا.

يلخص بيتر راسل ذلك فيقول:
"عندما أرى شجرة، أشعر بأنني أراها مباشرة. لكن العلم يخبرنا أن شيئاً مختلف تماماً يحدث. الضوء الذي يدخل العين يحفز عمليات كيميائية في الشبكية، فتنتج نبضات كهروكيميائية والتي تنتقل عبر الألياف العصبية إلى الدماغ. ثم يقوم الدماغ بتحليل البيانات التي يتلقاها، ويكوّن صورة عمّا هو في الخارج، وبالتالي أشعر برؤية الشجرة، لكنني لا أرى الشجرة نفسها في الواقع، وإنما أرى الصورة التي تظهر في العقل فقط، ينطبق هذا على كل شيء تراه، كل شيء تعرفه وتدركه وتتخيله، أي لون أو صوت أو إحساس أو تفكير، أو شعور. كل هذا يعتبر ناتجاً عن الوعي". (49)

كل هذا يؤدي بنا لفهم أمر هام، وهو أننا طوال حياتنا نعتقد بأن العالم موجود خارجنا. على الرغم من ذلك، فالحقيقة هي أننا نتصور العالم الذي نعتقد أنه خارجنا من خلال منطقة صغيرة داخل الدماغ.

بما أننا لا نرى العالم الخارجي الأصلي بشكل مباشر، وبما أن كل شيء هو عبارة عن تصور ينشأ في الدماغ، هل العين هي التي ترى بالفعل؟

خلال حياتنا، نعتقد أننا نرى العالم الواقع خارجنا عن طريق أعيننا. لكن الوصف العلمي للوظائف البصرية التي يقوم بها الدماغ، يوضح أن العين ليست هي التي ترى. العين وملايين الخلايا العصبية في شبكية العين يعملون على نقل رسالة إلى الدماغ لكي تحدث الرؤية. تستطيع العين إدراك الفوتونات التي تقع عليها ثم ترسلها إلى الدماغ عن طريق تحويلها إلى إشارات كهربائية. أي أننا نرى موجات الضوء التي تقع على خلايا شبكية العين -والتي تتكون من الدهون والبروتين والماء- والإشارات الكهربائية التي تنقلها. في الدماغ، كل ما يوجد هو عبارة عن إشارات كهربائية، لن تجد أطفال يلعبون في الحديقة، ولا سماء مشمسة، ولا سفن تسير عبر الأمواج.

هل يوجد مكان ما خارج الدماغ حيث تنشأ كل هذه التصورات، وتتكون الصور التي نراها، والأصوات التي نسمعها، والروائح التي نشمها؟ عندما نقوم بفحص الدماغ بشكل دقيق للغاية، نجد أن الخلايا العصبية تتفاعل مع بعضها البعض، وأن المواد الكيميائية والإشارات الكهربائية تنتقل بينها. ولكن داخل الدماغ ، لا يمكنك أن تجد ألواناً أو أشكالاً أو نصوصاً أو أي شيء ينتمي للعالم الخارجي. لن تجد بداخله أوراقاً خضراء، ولا حشوداً من الناس تتسوق، ولا منازل ولا سيارات ولا أثاث.

كذلك، لن تجد صديقاً أو أماً أو أباً يبتسم لك في أي مكان داخل الدماغ. صورة هذا الكتاب الذي تقرأه لا توجد في أي مكان داخل الدماغ. باختصار، العالم الذي نعتقد أننا نراه حولنا، لا يوجد خارجنا، ولا داخل الدماغ. أما العلماء الذين يزعمون أن الصور موجودة داخل الدماغ، فليجاوبوا على هذا السؤال: إذا كانت الصورة تتكون في الدماغ ، من الذي يرى هذه الصورة إذاً؟

فيلايانور راماشاندران هو مدير مركز الدماغ والإدراك وأستاذ بقسم علم النفس وبرنامج علم الأعصاب في جامعة كاليفورنيا في سان دييجو، يحكي هذا السؤال في كتابه " Phantoms in the Brain" فيقول:

"كان يلمح نظره في الكوب الزجاجي في يده. 'حسناً، هناك صورة مقلوبة لهذا الكوب في عيني، واختلاف شدة الضوء ينشط المستقبِلات البصرية في شبكية عيني، ثم تنتقل الصورة خلال العصب البصري وتعرض على شاشة داخل الدماغ. أليس هكذا أرى هذا الكوب؟ بالطبع سيحتاج الدماغ لأن يجعل الصورة في وضع معتدل مرة أخرى".

رغم أن معرفته بالمستقبلات البصرية وعلم البصريات كانت باهرة، إلا أن وصفه بأن هناك شاشة داخل الدماغ حيث تُعرَض الصور يمثل مغالطة منطقية خطيرة، لأنه إذا أردت أن تعرض صورة كوب على شاشة عصبية داخلية، سوف تحتاج إلى شخص آخر صغير داخل الدماغ لرؤية تلك الصورة. وهذا لن يحل المشكلة كذلك لأنك ستحتاج شخص آخر أصغر حجماً ليكون بداخل رأسه ليرى تلك الصورة، وهكذا إلى ما لا نهاية. سوف ينتهي الحال بك بأعين وصور وأشخاص صغيرين لا نهائيين، دون أن تحل مشكلة الإدراك..." (50)

هنا يلمس راماشاندران نقطة هامة جداً، إذا فرضنا أن هناك صورة داخل الدماغ ، فلا بد من وجود شخص ما ليشاهد هذه الصورة. إذا فكرت بهذه الطريقة ستجد أن هناك عدد لا نهائي من الأشخاص الأصغر حجماً داخل عقل كل منهم ليستطيع رؤية هذه الصورة. (لمزيد من التفاصيل لتفاصيل، انظر كتاب "The Little Man in the Tower" لهارون يحيى)

بما أنه لا يوجد كيان يشاهد الصور داخل الدماغ، إذاً الفرض بأن هناك صورة داخل الدماغ هو فرض غير واقعي وغير منطقي. داخل الدماغ مظلم تماماً، فلا يوجد أي ضوء أو صوت. داخل الدماغ لا توجد ألوان زاهية، أو زهور جميلة، أو مواقد تعطي الشعور بالدفء، أو طيور مغردة.

إذا ما الذي يتكون داخل الدماغ؟ يشرح راماشاندران بشكل علمي فيقول:

"إذا فالخطوة الأولى من فهم كيف يحدث الإدراك هي التخلص من فكرة وجود صور في الدماغ، والبدء في التفكير في وصف رمزي للأجسام والأحداث في العالم الخارجي. خير مثال على الوصف الرمزي، هو فقرة مكتوبة مثل تلك التي في هذه الصفحة. إذا أردت أن تصف لصديقك في الصين كيف تبدو شقتك، لن تحتاج إلى نقل الشقة إلى الصين. كل ما سيكون عليك فعله، هو كتابة خطاب تصف فيه شقتك. بالرغم من أن الحبر والكلمات والفقرات الموجودين في الخطاب ليسوا متشابهين مادياً مع غرفة نومك على الإطلاق، لكن هذا الخطاب هو وصف رمزي لغرفة نومك".

ماذا يُقصد بوصف رمزي في الدماغ؟ بالتأكيد ليست كتابة بالحبر، ولكنها لغة النبضات العصبية. يحتوي الدماغ البشري على عدة مناطق لمعالجة الصور، كل منها تتكون من شبكة معقدة من الخلايا العصبية المتخصصة في استخراج معلومات معينة من الصورة. كل جسم يسبب نمطاً فريداً من النشاط العصبي خلال مجموعة جزئية من هذه المناطق. على سبيل المثال، عند النظر إلى قلم رصاص، أو كتاب، أو وجه شخص ما، يُستحضر نمط مختلف من النشاط العصبي في كل حالة، لتبلغ مراكز الدماغ العليا بما تنظر إليه. أنماط النشاط

العصبي ترمز إلى الأجسام المرئية مثلما تكتب بالحبر على الورقة فترمز إلى غرفة نومك. في محاولتهم لفهم العمليات البصرية، يهدف العلماء إلى فك شيفرة الرموز المستخدمة لإنشاء هذه الأوصاف الرمزية، مثلما يحاول المتخصصون في علم التشفير فك شيفرة مخطوطة غريبة. (51)

ولكن مجرد وجود هذه الخريطة لا يفسر الرؤية، مثلما أشرت من قبل، فلا يوجد رجل صغير داخل المخ يشاهد ما يتم عرضه على القشرة البصرية الدماغية". (52)

يصف ريتشارد غريغوري ذلك فيقول: "من المهم تجنب التفكير بأن العينين تُنتجان صوراً في الدماغ، الصور في الدماغ ستحتاج إلى عين داخلية لتتمكن من رؤيتها، وبالتالي ستحتاج هذه العين إلى عين إضافية لرؤية الصورة التي تنظر إليها، وهكذا إلى الأبد دون الوصول إلى أي شيء مفيد." (53)

يقول البروفيسور أنتونيو داماسيو، رئيس قسم علم الأعصاب في جامعة أيوا: "بكل صراحة، المشكلة الأولى للوعي هي كيف نشاهد فيلم داخل الدماغ؟ (54) وبالتالي يعترف العلماء علناً بالمأزق الذي يقعون فيه بشأن هذا الموضوع. من الواضح أن العلم في القرن الحادي والعشرين لا يجيب على سؤال: "من هو الذي يرى؟" تخلّى العلماء عن فرضية وجود مُراقِب داخل الدماغ، ولكن بالنسبة للعلماء، هذا قد جعل فهمنا لتكوين الصورة أصعب. هناك مكان واحد في الدماغ يقدم لنا العالم بعدد لا يُحصى من التفاصيل الواضحة الخالية من العيوب، وبدون توقف، هذا هو التفسير العلمي والتقني. أين إذاً توجد الصورة؟

تُعلّق سوزان بلاكمور الكاتبة في علم النفس بجامعة أكسفور، فتقول:"يقول كريك أنه يريد أن يجد العوامل المرتبطة بالصورة الحية للعالم الذي نراه أمام أعيننا، أو ما يسميه داماسيو "فيلم داخل الدماغ". لكن إذا كان العالم المرئي وهم كبير، فلن يكونوا قادرين على العثور على ما يبحثون عنه لأن لا يوجد فيلم داخل الدماغ، ولا صورة حية داخل دماغنا، فكلاهما جزء من الوهم. (55)

وِفقاً لبلاكمور، فإن شعورنا بأن لنا خبرة المباشرة في العالم الخارجي هو مجرد وهم. في الواقع، فإن مفهوم الوهم ليس كافياً لتوضيح هذا الموقف بشكل كامل، فالوهم هو شيء نلاحظه عندما نقارن الأحداث التي تحدث في عقولنا بالواقع المادي. على الرغم من ذلك، لا يملك البشر خبرة مباشرة في العالم الخارجي، أو بأيّ واقع مادّي. كل هذه الأشياء ينشئها العقل، والعقل لا يمكنه أن يرى الواقع الخارجي. هذا الواقع خاصٌ بنا وحدنا.

ما دام الأمر كذلك، فإن ما يحدث ليس وهماً، وإنما يمكننا وصفه بشكل أكثر دقة بأنه سراب.

ينشأ العالم الذي نعرفه فقط في حواسنا، فلا يوجد شخص آخر يرى العالم بنفس الطريقة التي نراه بها رغم يشاهد العالم نفسه. ما نراه ليس جزءاً من الدماغ أيضاً، فالدماغ هو جزء من تلك الصورة الوهمية. يُشكِّل إدراكنا عالماً ويظهره لنا خصيصاً. بالفعل هناك واقع بالخارج، عالم مادي، لكن البشر لا يمكنهم بلوغه.

يقول إروين شرودنغر، أحد مكتشفي فيزياء الكم: "الصورة التي يراها كل شخص عن العالم هي من تصور عقله، ولا يمكن إثبات أنها لها أي وجود آخر."

عندما نتخيل صورة كتاب في عقولنا، فإننا نجد ذلك مشابهاً للصورة التي نراها عندما ننظر إلى الكتاب بأعيننا فعلياً، وهذا دليل على أننا يمكننا الحصول على صورة شيء ما من خلال عقولنا فقط عن طريق التفكير فيه، لكن لابد أن يكون هذا الشيء موجود في العالم.
أخصائي علم النفس في جامعة واشنطن مايكل بوسنر وأخصائي الأمراض العصبية ماركوس ريتشل يقولان عن تلك الآلية الاستثنائية للعقل:

افتح عينيك، سترى مشهداً أمامك دون أي عناء، اغلق عينيك وفكّر في هذا المنظر وسوف تستجمع صورة له، لكنها بالتأكيد لن تكون حية ومتكاملة مثل المشهد الأصلي الذي رأيته بعينيك، لكنها تحتوي على الخصائص الأساسية للمشهد. في كلتا الحالتين، تتشكل صورة المشهد في العقل. الصورة التي تكونت من تجربة بصرية حقيقية يُطلَق عليها "الإدراك" لتمييزها عن الصورة المُتخيَّلة. يتشكل الإدراك نتيجة سقوط الضوء على شبكية العين والتي ترسل إشارات تُعالَج في الدماغ. ولكن كيف نستطيع إنشاء صورة برغم عدم سقوط الضوء على الشبكية لِتُرسل هذه الإشارات؟ (57)

ما يُنشئ جسم ما في عقولنا –في حالة عدم نظرنا للجسم- هي الآلية ذاتها التي تُنشئه في عقولنا عندما نتخيل أن الجسم الأصلي موجود. وبالتالي، فإن وجود الصور التي نراها للعالم الخارجي هو مجرد وهم. كل شيء نراه –كالعالم المشرق أمامنا، أو أصدقائنا، أو الناس من حولنا أو حتى أجسادنا نحن- هي جزء من هذا الحلم. ما نعتقد أنه مصدر لكل ذلك –أي أصل ذلك في العالم الخارجي- لا بد أنه مجهول بالنسبة لنا.

هذا "العالم الخيالي" يتضمن مكان العمل، والبيوت، والناس من حولنا، والسيارات، والطعاك الذي نأكله، والأفلام التي نشاهدها. باختصار يتضمن هذا العالم الخيالي كل شيء في حياتنا. عندما نعود للمنزل، نشعر بأننا دخلنا مسكننا الحقيقي. والحقيقة أننا نشاهد نسخة مطابقة لمنزلنا، الذي لم نكن نتخيل أنه مجرد صورة. مجددًا، كل شيء نراه في بيوتنا، في الواقع نحن نتصوره بعقولنا. كل ما في حياتنا يجري داخل منطقة صغيرة في الدماغ.

إن معظم أطباء الأعصاب وعلماء النفس الذين بحثوا ودققوا في هذا الموضوع أتوا ببساطة إلى هذا الاستنتاج. إلا إنهم يتجنبون إجابة سؤال "من الذي يقوم بالإدراك؟" يبحثون داخل الدماغ عن كيان مادي يرى كل هذه الأشياء. يناقشون هذه الأسئلة في الكتب والمقالات والمؤتمرات، ويستشهدون بعلماء آخرين، والذين كانوا غير قادرين على التوصل لحل هذه القضية ويزعمون أنهم أيضاً غير قادرين على حلها. لكن الحقيقة أن جميع الحقائق العلمية تشير إلى أن البشر يمتلكون الروح، وهي التي تدرك وترى وتحس. "كيان الرؤية" وهو ما يبحث عنه العلماء في الدماغ، هي الروح. كل شيء ينتمي لما نشير إليه ب"العالم الخارجي"، يتكون من صوراً تراها الروح.

هذه الرؤية تلغي المادية تماماً، والتي يؤمن بعض علماؤها بوجود كيان مادي للرؤية. بالنسبة للماديين، الذي يزعمون أن كل شيء يتكون من كيانات مادية، يعتبر وجود الروح أمر غير مقبول. لهذا السبب، سيظل سؤال: "من الذي يقوم بالإدراك؟" بلا إجابة بالنسبة للماديين.

إنه الله الذي أعطى البشر أرواحهم، هو الله الذي جعل الروح تسمع وترى وتحس. إنه الله سبحانه وتعالى الذي أنشأ عالماً واضحاً مفصلاً حيوياً مشرقاً بلا عيوب في خيالنا فقط، وهو الذي يعطي الروح الانطباع بأنها تشاهد كل تلك الأشياء في الواقع. إنه الله الذي خلق كل شيء من العدم.

يقول الله في القرآن الكريم:

""ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾" (سورة السجدة، الآيات 6-9)

## لا وجود للأصوات إلا في عقولنا

عملية السمع تشبه عملية الرؤية، فالمعلومات التي تصلنا كصوت هي مجرد إشارات كهربائية، تماماً مثل الصور. تجمع الأذن الخارجية موجات الصوت من حولنا وترسلها إلى الأذن الوُسطى، والتي تقوم بتقوية الاهتزازات وإرسالها إلى الأذن الداخلية والتي تقوم بتحويل هذه الاهتزازات إلى إشارات كهربائية اعتماداً على ترددها وتركيزها ثم ترسلها إلى الدماغ.

في الدماغ، يتم إرسال هذه الإشارات إلى مركز السمع حيث يتم معالجتها وتحليلها. وهذه هي آلية حدوث السمع.

من النقاط الهامة جداً أن الأصوات التي نسمعها –مثلها مثل الصور- لا توجد في أي مكان بالخارج. بيتر راسل –المعروف بعمله ودراسته للوعي البشري- يصف هذا الشأن فيقول:

> "ينطبق الشيء نفسه على الصوت. عندما قال الأسقف بيركلي أن لا شيء موجود خارج تصوراتنا، وأتبع ذلك بنقاش قوي حول ما إذا كان سقوط شجرة سيصدر صوتاً أم لا إذا لم يكن أحد موجود ليستمع إليه. في ذلك الوقت، لم يكن معروفاً كيفية انتقال الصوت خلال الهواء، ولا آلية عمل الأذن والمخ. اليوم، نحن نعرف الكثير عن ذلك، وإجابة السؤال بكل وضوح هي "لا"، فلا يوجد أي

صوت في الواقع المادي، فقط موجات تنتقل في الهواء. الصوت موجود في عقل الكائن المدرك فقط، سواء كان هذا الكائن إنساناً أو طائراً، أو غزالة أو نملة." (58)

بالنسبة لنا، فإن الصوت الخارجي موجود فقط طالما نحن ندركه. ولكن من النقاط الهامة للغاية أن الأصوات –مثل الصور المرئية- لا توجد داخل الدماغ. كل ما تجده في الدماغ عبارة عن إشارات كهربائية. كل الأصوات التي نعتبرها حقيقية هي ناتجة عن هذه الإشارات الكهربائية الموجودة في الدماغ. عندما تتحدث مع صديق، ترى صورة ثلاثية الأبعاد في القشرة الدماغية لديك، كما تسمع صوته بطريقة تمكنك من معرفة المسافة بينكما، فإذا كان صديقك بعيداً، تعلم من خلال صوته أنه موجود على مسافة بعيدة عنك. إلا أن هذه الأصوات ليست بعيدة ولا قريبة منك، فهي ليست موجودة إلا في صورة إشارة كهربائية، كما أنها ليست موجودة بداخل الدماغ أيضاً. في الواقع، هناك صمت عميق داخل الدماغ.

مهما كان الذي أنت فيه مزدحماً وصاخباً، لا يوجد أي صوت داخل الدماغ. النبضات المنقولة عبر الإشارات الكهربائية هي التي تخبرنا بوجود عالم خارجي مزدحم وصاخب. في الواقع، لا يمكننا التواصل مباشرة مع ذلك العالم الخارجي المزدحم الصاخب، ولا يمكننا إعادة إنشاءه في عقولنا، إذ أن الصوت عبارة عن شيء ندركه.

يشرح بيتر راسل ذلك فيقول:
"أسمع موسيقى الكمان، لكن الصوت الذي أسمعه هو عبارة عن خاصية تظهر في العقل. ليس هناك أي صوت في العالم الخارجي، فقط يوجد جزيئات الهواء المهتزّة. (59)

بالتالي، عندما نسمع الأصوات، نقوم بنفس الخطأ الذي نقوم به فيما يتعلق برؤيتنا للصور، فنعتقد أن الأصوات تأتي من العالم الخارجي، لكن الأصوات التي ندركها هي جزء من العالم الخيالي الذي ندركه. تماماً مثل الصور، والطعم، والرائحة، والإحساس الذين ينتمون إلى هذا العالم الخيالي، يمثل الصوت جزءاً من عالم الإدراك. نحن نعتقد أن الضوضاء الناتجة من بيئة مزدحمة، أو صوت أحد الأصدقاء ينادي علينا، أو صوت الموسيقى التي نستمع إليها موجودة في العالم الخارجي، إلا أنها تنتمي فقط إلى عالمنا الإدراكي.

ليس لدينا أية وسيلة لمعرفة إذا ما كان ما ندركه يتطابق مع الواقع الخارجي، لأننا لا يمكننا الخروج عن إدراكنا، والتواصل مباشرة مع العالم المادي.

## الروائح والطُعوم تنشأ في عقولنا فقط

يمكنك أن تفترض أن الرائحة الشهية لأحد الأطعمة تأتي من الطعام نفسه، فنحن نعتقد أن الآخرين يشمّون نفس الرائحة التي نشمها، ونعتقد أن لدينا نفس الإحساس. لكن كل هذا مجرد تخمين. ما يصل إلينا بالفعل هي جزيئات الرائحة، والتي يتم تحويلها إلى إشارات كهربائية. كما هو الحال مع الصورة والصوت، ما نشير إليه ب"الرائحة" هي خليط معقد من الإشارات الكهربائية، إذ أن جزيئات الرائحة نفسها لا تصل إلى الدماغ أبداً.

يصف العالِم الشهير جورج بيركلي –الذي أشرنا إليه سابقاً- هذه الحقيقة فيقول:
"في البداية، اعتقد الناس أن الألوان والروائح موجودة في الواقع، لكن بعدها تم رفض هذه الآراء، وأصبحنا ننظر إليها أنها موجودة بناءً على حواسنا فقط." (60)

في الأحلام، عندما لا تكون جزيئات الرائحة موجودة فعلياً، يمكننا إدراك الرائحة وكأنها حقيقية تماماً. فمثلما يمكنك تخيل صور واضحة للغاية، وسماع أصوات واضحة أثناء الحلم، يمكنك كذلك إدراك الروائح بالطريقة نفسها. بالتالي، يمكنك معرفة أن الرائحة لا تحتاج إلى وجود ماديّ من أجل إدراكها.

ينطبق الأمر نفسه على إدراك الطعم. تقوم مُستقبِلات التذوق بتحويل المُحفِّزات المختلفة التي تصلها إلى إشارات كهربائية، مثلما تفعل أعضاء الحواس الأخرى. وبالتالي، عندما تأكل قطعة كعك لذيذة ، فإنك لا تتذوق طعمها الحقيقي. مثلما لا تستطيع رؤية شكلها الحقيقي، أو شم رائحتها الحقيقة، فأنت لا تتذوق طعمها الحقيقي. إنما "الطعم" الذي تُدركه هو ناتج عن الإشارات الكهربائية المُرسَلة إلى الدماغ.

نحن نشعر بطعم المأكولات المختلفة في عالمنا التخيلي، حيث أن الإدراك الذي ينشأ في عقولنا هو ما يجعلنا نحكم على رائحة بأنها جميلة، أوطعم بأنه لذيذ. لكن هذه المعلومات تعود لنا كلياً، فنحن نستطيع إدراك هذه الخصائص في عقولنا، وليست لدينا أية خبرة بالعالم الخارجي.

## حاسة اللمس ما هي إلا إشارات كهربائية تنتقل إلى الدماغ

يبدو العالم الخارجي الذي ندركه واقعياً تماماً. على الرغم من الحقيقة العلمية بأننا نعيش في عالم من صنع إدراكنا، ينخدع معظم الناس بسبب مدى كمال هذا الإدراك. أحد أكثر العوامل التي تخدع الناس هي حاسة اللمس. قد يحمل الناس شكوكاً إزاء حقيقة ما يرون، أو ما يشمون، أو ما يتذوقون، لكن قدرتهم على لمس الأشياء قد تضللهم وتجعلهم يعتقدون أنهم يتواصلون بشكل مباشر مع العالم الخارجي. ولكن في الحقيقة، تُنقل المعلومات عن الجسم الذي يتم لمسه إلى الدماغ على هيئة إشارات كهربائية، مما يلغي كل تلك الأفكار السابقة حول هذا الموضوع. كما هو الحال مع جميع حواسنا الأخرى، تنشأ حاسة اللمس في الدماغ، فشعورك بلمس جسم ما يعتمد على المعلومات التي يتلقاها الدماغ عن هذا الجسم.

بالرغم من لمسك لجسم ما، لن تستطيع الشعور به إذا لم يكن الدماغ يدركه، يوضح بيتر راسل ذلك فيقول:

فكرتنا عن المادة التي تبدو صلبة هي أنها خاصية تظهر في الوعي، مثلها مثل اللون الأخضر. إنها نموذج لما هو "في الخارج"، ولكن مثلها مثل باقي النماذج الأخرى، فهي تختلف عما هو في الخارج بالفعل. (61)

مفهوم الواقع الذي يؤكده بيتر راسل هو دقيق للغاية. عندما تلمس سطح خارجي، فإن كل علاقتك به هي عبارة عن تنافر الإلكترونات في أصابع يدك مع إلكترونات هذا السطح. أي أنك في الواقع لا تستطيع حتى لمسه، نحن ليس لدينا اتصال مباشر مع الأجسام الخارجية. برغم ذلك، فإن الإحساس الذي ينشأ يعطينا انطباعاً بأننا ندرك طبيعتها الحقيقية. ربما ندرك أن جذع الشجرة صلب، أن القطن لين. ربما ندرك طبيعتهما المختلفة، لكن هذه العملية تحدث على مستوى الجزيئات عن طريق تنافر الإلكترونات. الإحساس بصلابة الجزء العلوي للمكتب، أو بفراء ناعم، أو بسطح حائط من الطوب الخشن، يصل لنا فقط عبر الإشارات الكهربائية. الإحساس الذي ينشأ في داخلنا مختلف تماماً عن العالم الخارجي، لذلك لا يمكننا لمس أصل أية مادة موجودة بالخارج. كل ما يصل إلينا هي تصورات للعالم الخارجي، وليس لدينا أية طريقة لمعرفة كيف يبدو العالم الخارجي.

يقول أندرو ب. نيوبيرغ، الأستاذ المشارك بقسم الأشعة والطب النفسي بجامعة بنسلفانيا:
"كان هناك فلاسفة في الماضي قالوا: 'انظر، أنا أركل الصخرة، وأقوم بإيذاء إصبع قدمي، هذا حقيقي. أنا أشعر بذلك، إنه حقيقي. إنه حيّ، وهذا يعني أنه حقيقة واقعية.' لكن إدراك هذا الشخص هو الذي يجعله يشعر أنه حقيقي". (62)

على سبيل المثال، عندما تلمس شيئاً ساخناً، إذا كنت تعاني من ضعف الأعصاب المسئولة عن نقل الإحساس بالألم إلى الدماغ، فمن المستحيل بالنسبة لك أن تشعر بأن جلدك يحترق. الإحساس بالاحتراق وما يترتب عليه من شعور بالألم هما عبارة عن تفسيرات يقوم بها الدماغ. بالمثل، قد ينشأ الإحساس عن طريق إنتاج صناعي باستخدام إشارات كهربائية، رغم عدم وجود محفّز خارجي. لذا فإننا نشعر بأن يدنا تحترق، حتى لو لم توجد نيران بالقرب منّا. هذا دليل آخر على أن الإحساس ينشأ فقط في عالمنا الإدراكي. عبّر المفكر الشهير برتراند راسل عن هذه الحقيقة الهامة في القرن العشرين، حيث قال:

"عندما نقوم بلمس الطاولة بأصابع يدينا، يحدث اضطراب كهربائي في الإلكترونات والبروتونات في أطراف أصابعنا بسبب قُرب إلكترونات وبروتونات الطاولة منها، وِفقاً للفيزياء الحديثة. لو حدث نفس هذا الاضطراب في أطراف أصابعنا بطريقة مختلفة، لشعرنا بنفس الشيء حتى ولو لم توجد طاولة". (63)

بالنسبة لعالمنا الإدراكي، فإن الخاصية الأساسية للمادة وهي صلابتها، تختفي وفقاً للعلم. مثلما أن رؤيتنا لشيء ما لا تخبرنا بمظهره المادي الحقيقي، كذلك لمسنا للأشياء لا يخبرنا بصلابتها الحقيقية. ما نلمسه هو عبارة عن إدراك في عقولنا فقط، ولا يمكننا معرفة مظهره الحقيقي الموجود خارجنا. يقول الكاتب العلمي جيه آر مينكِل في مقال نُشر في مجلة "New Scientist ":

عندما تمسك بالمجلة، تشعر بأن لها وجود مستقل في الفضاء ثلاثي الأبعاد. ينطبق الأمر نفسه على الأشياء من حولك، مثل كوب من القهوة، أو جهاز كمبيوتر. كل هذه الأشياء تبدو حقيقية، وتشعر بأنها موجودة بالفعل، لكن كل ذلك هو مجرد خيال. (64)

## المسافة أيضاً هي إدراك ينشأ في عقولنا فقط

عندما يقترب أحد منك من مسافة بعيدة، فإنك تدرك ذلك على الفور، حيث يختلف مظهره وصوته وحجمه بناءً على بُعد المسافة بينكما. بناء على هذه العوامل، يمكننا حساب المسافة بيننا وبين شخص آخر. ولكن في الواقع، لا توجد أية مسافة بيننا وبين الآخرين، ففكرة أننا نرى الآخرين على بُعد مسافة مِنّا هي بسبب قيام عقولنا ببعض الحسابات. أي أن شعورنا بالمسافة هو مجرد تصور ينشأ في عقولنا.

إدراكنا لما نسميه بالعالم الخارجي مقنع ومثير للإعجاب لدرجة أننا نحتاج إلى التفكير بإمعان حتى ندرك أن كل ذلك عبارة عن تصورات، المسافة والعُمق واللون والظل والضوء هي عوامل تجعل الصور أكثر إقناعاً ومصداقية. كل هذه العوامل سُخرّت بطريقة مثالية لتعطينا الإحساس بالصور الملونة الحيوية ثلاثية الأبعاد التي تنشا في عقولنا. عندما تُضاف تفاصيل لا حصر لها إلى الصورة، تكون النتيجة هي العالم الذي نعيش فيه طوال حياتنا، والذي نعتقد أنه حقيقي، إلا إنه مجرد نسخة تنشأ حسب إدراك عقولنا.

الإدراك الحسّي الذي نشير إليه ب"المسافة" هو نوع من الإحساس ثلاثي الأبعاد. بعض العوامل مثل الظل، جهة النظر، والحركة، تنشِّط إحساساً لدينا بالعُمق والمسافة في الصور. يحدث إدراك العمق –والذي يعرف بإدراك المكان في علم البصريات- لدينا من خلال أنظمة معقدة للغاية. لوصف هذا النظام يمكننا القول بأن الصورة التي تصل إلى كل عين على حِدة هي مجرد صورة ثنائية الأبعاد، أي تتكون من طول وعرض فقط. تصل أبعاد الصورة بعد ذلك إلى شبكية العين، وبسبب أن كل عين ترى صورة مختلفة عن الأخرى يتكون لدينا الإحساس بالعمق والبُعد. إن الصورتين اللتين تراهما العينان تختلفان بعض الشيء من حيث الزاوية والإضاءة، ومن ثَمّ يجمع العقل بين هاتين الصورتين في صورة واحدة تعطينا إحساساً بالعُمق والبُعد.

المسافة هو مجرد إحساس ينشأ لدينا، ففي الواقع لا توجد مسافة بيننا وبين شخص ما نعتقد أنه يقترب نحونا من بعيد. إن إحساسنا بالمسافة هو بسبب تفسير عقولنا للصور التي تستقبلها أعيننا. نحن نعتقد اعتقاداً مطلقاً بأن الشخص الذي نراه أمامنا على بُعد مسافة منا، لذلك نصيح بصوت عالٍ لكي يسمعنا. في الواقع، هذا الشخص هو بالضبط في نفس المكان الذي نحن فيه. في الواقع، نحن لا نتحرك نحو ذلك الشخص، ولا هو يقترب أو يبتعد عنّا، لكن كل ذلك ناتج عن إدراك عقولنا للصور.

على سبيل المثال، عندما نرى طائرة تطير في السماء نتخيل أنها تبُعد عنا عدّة كيلومترات. لكن في الواقع، هي موجودة داخل مخّنا. عندما ننظر إلى الطائرة نتخيل أنها تبُعد عنا عدّة كيلومترات نتيجة الضوضاء التي تُصدِرها، والضوء الذي تعكسه والذي يصل إلى أعيننا. لو كانت عقولنا تدرك الأبعاد وتردد الموجة كوحدة واحدة لكان الوضع مختلفاً، ولرأينا الطائرة على بُعد مسافة مختلفة، ولاقتنعنا بهذا الواقع.

يستطيع البشر رؤية الكثير من التفاصيل بفضل امتلاكهم الإحساس بالعمق، فيمكنهم رؤية الكتاب الذي يقرأونه قريباً، ويرون التلفاز أبعد قليلاً، والنافذة أبعد منه، والشمس أبعد بكثير. نحن نرى كل كائن أو جسم بجهة نظر مختلفة تماماً، كما نتصور المسافة اللازمة للوصول للمكان الذي رأيناه فيه. هكذا ننظر إلى أي شيء، إحساسنا بالعمق، وجهة النظر والظل في مجالنا البصري يجعلنا مقتنعين تمام الاقتناع أننا نرى العالم الخارجي الحقيقي. لكن في الواقع كل شيء نراه هو ناتج عن إشارات كهربائية تُرسَل إلى الدماغ. لا توجد مسافة بينك وبين الشمس، والتي تعتقد أنها تبعد عنك ب93 مليون ميلاً، ولا مسافة بينها وبين أي أحد آخر. كل ما نلاحظه هو جزء من الصورة التي تنشأ في عقلنا.

تكوّن الإحساس بالعُمق على شبكية العين، يُشبه محاولة الرسّامين بإضفاء شعور واقعي بالعمق على صورة ثنائية الأبعاد. هناك أساليب معروفة لإنشاء شعور بالعُمق، مثل ترتيب الأجسام أمام بعضها البعض، ونقطة التلاشي، والتباين في النسيج، واختلاف الأبعاد والطول، والحركة –أي كلما كان الجسم أقرب، كلما بدت حركته أسرع-. الأساليب التي يستخدمها الفنانون تنطبق كذلك على الصور التي تنشأ في عقولنا، فشبكية العين تستقبل صورة ثنائية الأبعاد بما فيها من ضوء وعمق وظل باستخدام نفس الطريقة. كلما ازدادت دقة الصورة كلما بدت أكثر واقعية، وكلما انخدعنا بها. هكذا نعتقد أن البعد الثالث –العمق- موجود بالفعل.

في الواقع، كل الصور التي نراها توجد على مستوى واحد، الأمر يشبه فيلم معروض على شاشة مسطحة. المركز البصري داخل الدماغ هو جزء صغير جداً. كل ما نراه بعيداً في الصور مثل النجوم والشمس والقمر والطائرات المحلقة في الهواء والطيور، كل ذلك موجود في ذلك الجزء الصغير. أي أنه ليست هناك مسافة بين الكتاب الذي تحمله والطائرة التي تحلق على بُعد عدة كيلومترات، فكلاهما في مكان واحد، داخل المركز البصري في الدماغ.

هذا دليل عظيم على الخلق، وعلى إبداع الخالق الذي ليس به أية عيوب. يخلق الله كل هذه الصور المثالية بما فيها من تفاصيل هائلة في عقل كل إنسان في نفس الوقت بلا انقطاع. لا يوجد أي نقص في تلك الصور يجعلنا نشك في أننا نرى عالماً ثلاثي الأبعاد. تتجلى عظمة الله وقوته وإبداعه في كل تفصيلة داخل تلك الصور. إنه الله سبحانه وتعالى، رب كل شيء، وخالق كل شيء، والذي يجعل كل إنسان يدرك العالم بشكل فردي.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

"اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّـهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا " (سورة الطلاق، الآية 12)

"أَوَلَم يَرَوا أَنَّ اللَّـهَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ قادِرٌ عَلى أَن يَخلُقَ مِثلَهُم وَجَعَلَ لَهُم أَجَلاً لا رَيبَ فيهِ فَأَبَى الظّالِمونَ إِلّا كُفوراً " (سورة الإسراء، الآية 99)

## ما هي "الواقع" بالنسبة لنا؟

"نحن نؤمن بوجود الأشياء فقط لأننا نراها ونلمسها، ولأنها تتجسد لنا من خلال تصوراتنا، لكن تصوراتنا هي مجرد أفكار في عقولنا. وبالتالي فإن الأجسام التي ندركها من خلال تصوراتنا هي ليست أكثر من مجرد أفكار موجودة في عقولنا فقط. هذا يعني أننا ننخدع في نظرتنا للكون وللأشياء الموجودة خارج عقولنا". (65)
-جورج بيركلي

إن رؤيتنا للأجسام أو سماعنا لصوتها أو قيامنا بلمسها، لا يعطينا سوى القليل من المعلومات حول طبيعة العالم المادي الموجود خارجنا. بالنسبة لنا، تصورنا للأجسام هو دليلنا الوحيد على وجودها المادي. وبرغم ذلك، لا يوجد أي صوت ولا صورة ولا طعم ولا رائحة في مركز الإدراك الموجود في المخ، والذي تنشأ فيه كل تلك الحواس. داخل المخ، هناك ظلام دامس وصمت تام، لا يوجد مراقب صغير الحجم داخل المخ ليشم الروائح أو يرى الصور. لذلك تعتبر فكرة أن الأصوات والصور تتكون داخل المخ فكرة غير منطقية، إنها فكرة مستحيلة علمياً. وبالرغم من ذلك، فنحن نتصور عالماً مدهشاً ملوناً خالياً من العيوب، عن طريق هذه المنطقة المظلمة الصامتة.
يبدو العالم الذي نتصوره واقعي ومقنع للغاية، بالرغم من تكونه داخل المخ فقط. الصورة التي نراها للعالم الخارجي أكثر وضوحاً من التلفزيونات وشاشات الأفلام ثلاثية الأبعاد المتطورة، كما أن جودة تلك الصورة أعلى بكثير من أفضل كاميرات العالم، تلك الصورة تنشأ داخل المخ. كذلك الأصوات التي تنشأ داخل المخ هي أفضل بكثير وأكثر جودة من أنظمة الصوت الأكثر تطوراً، والتي لا يستطيع البعض تمييزها عن الصوت الحقيقي. تنشأ الروائح كالعطور وأريج الورود أيضاً داخل المخ، وكذلك الإحساس بالحرارة والبرودة، بطريقة دقيقة للغاية. هذا العالم نحن ندركه بشكل مستمر دون انقطاع، وذلك بمشيئة الله. على سبيل المثال، عندما تتجول في مركز تجاري مزدحم، سترى أطفالاً يركضون وأشخاصاً مختلفين يتسوقون وأرفف بها مواد غذائية ويمكن أن ترى قطط ضالة في بعض الأحيان، كما تشعر

بالهواء الدافئ وتشم الرائحة الصادرة من قاعة الطعام، كل ذلك في نفس الوقت. هذا الزحام الذي تراه من حولك، وكل التفاصيل التي تلاحظها، كل ذلك يتكون على شاشة وهمية داخل الدماغ.

أنت بالفعل تستطيع أن ترى وتشعر بالصور التي تراها من خلال حواسك. كل ذلك هو جزء من خبرتك أنت، وكل ذلك ما هو إلا إدراك ينشأ في عقلك.

هل النسخة الأصلية من هذا العالم هي نفس التي تدركها أنت، بنفس التفاصيل؟ لا يمكننا معرفة ذلك، فمن المستحيل بالنسبة لنا أن نعلم إذا ما كان هناك أشخاص كثيرون حولنا بالفعل أم لا، أو إذا ما كانت رائحة الزهور العطرة تفوح في الهواء المحيط بنا. ما نراه هي الصورة التي يدركها عقلنا، فالعالم الخارجي بالنسبة لنا يقتصر على ما نستطيع نحن رؤيته وإدراكه. لو لم تقم حواسنا بإرسال إشارات كهربائية للمخ، لاختفى العالم الخارجي بالنسبة لنا، بالرغم من أنه وجود هذا العالم فعلياً بالخارج.

يمكننا معرفة ما يصل إلينا فقط، ما هو ناتج عن إدراك عقولنا.

يصف جيرارد أوبراين مفهوم العالم الخارجي، والعالم الإدراكي، فيقول:

"لا يمكننا التأكد ما إذا كان العالم الذي ندركه والذي أنشأته عقولنا هو نفس العالم الواقعي أم لا. لو قلنا أن خبرتنا في العالم هي من إنشاء عقولنا، كما يقول العديد من المنظرين، فستكون هناك مشكلة في التوافق بين خبرتنا في العالم، وحقيقته المستقلة عن خبرتنا. وإذا اعتقدنا أن هناك تفاوت كبير بين خبرتنا في العالم وبين العالم الحقيقي، فسيبدو عالمنا الذي ندركه من خلال خبرتنا أنه ضرباً من الوهم". (66)

إذا كان الأمر كذلك، ما هو الواقع بالنسبة لنا إذاً؟

إن ما نسميه ب"الواقع" هو عالم له وجود ماديّ خارج عقولنا وحواسنا. الناس لديهم اعتقاد راسخ بوجود هذا العالم، سواء كانوا يرونه أم لا. على سبيل المثال، أي شخص يكون متأكداً بما لا يدع مجالاً للشك أنه عند استيقاظه في الصباح، فإنه يكون في غرفته، كما يعتقد بعد ذلك أنه يجلس في مكتبه، وأن أجهزة الكمبيوتر التي أمامه لها وجود مستقل، وأن كل شيء سيكون موجوداً في مكانه عندما يعود في الصباح التالي. يعتقد الناس أنهم سيجدون منازلهم في مكانها عندما يعودون من الخارج، وأن أصدقاءهم وعائلاتهم ومعارفهم وأقاربهم موجودون حتى لو لم يروهم أو يتحدثوا إليهم. هذه التجارب تتكرر يومياً بنفس الطريقة بما لا يدع مجالاً للشك في حقيقتها، إنها مقنعة تماماً.

بالرغم من ذلك، كل هذه الأشياء هي في عقولنا في الواقع، فكل ما نراه هو نسخة وهمية من العالم المادي الخارجي، والذي نحن على يقين من وجوده. إن حواسنا وحدها هي السبب في رؤيتنا للعالم.

سوزان بلاكمور تعطي تعريفاً لذلك العالم الموجود داخل عقولنا فتقول:

"إن عقولنا مثل المسرح. ها أنا داخل المسرح في مكان ما داخل رأسي، وأنظر من خلال عيناي. لكن هذا المسرح له حواس متعددة، وبالتالي أستطيع إدراك الملمس، والرائحة، والصوت، كما يمكنني التخيل أيضاً وبالتالي استحضار الصور والأصوات وكأنني لدي عين أخرى أو أذن أخرى داخل رأسي. كل ذلك هو جزء من وعيي، وأنا كالجمهور الذي يختبر ذلك." (67)

العالم الذي ندركه هو مجرد نسخة من العالم الخارجي. على سبيل المثال، الحديقة التي تتنزه فيها بما فيها من ألوان زاهية ما هي إلا نسخة تنشأ داخل الدماغ، مصدرها مجرد إشارات كهربائية. كذلك أصوات الناس من حولنا، أو أصوات الطيور المغردة، هي نسخ مكررة تنشأ داخل الدماغ ومصدرها إشارات كهربائية. الأمر ذاته ينطبق على رائحة وطعم إحدى ثمار الفواكه التي نأكلها، فهي عبارة عن نسخة من رائحتها أو طعمها تنشأ داخل الدماغ أيضاً، فمن المستحيل بالنسبة لنا أن نأكل الفاكهة الأصلية. كل تلك الخصائص التي تمتلكها الفاكهة والتي تدركها عقولنا مصدرها إشارات كهربائية.

أنت كذلك لم تشعر أبداً بالحرارة الحقيقية للشمس، ولا بحرارة البحر المعتدلة، ولا ببرودة مكعب من الثلج، لأنك لا تتعرض لأي من ذلك مباشرة، أما ذلك التأثير الذي تشعر به فهو ناتج عن إشارات كهربائية.

لا يختلف الأمر بالنسبة للمسافة، فكوب الماء الذي أمامك ليس بعيداً عنك على الإطلاق، وليس موجوداً أمامك، إنما هو في عقلك.

عندما نشعر بأننا نلمس سطحاً من الزجاج، لا يكون ذلك حقيقي، فعقلنا هو المسئول عن تفسير الإحساس باللمس ليست أصابع يدينا. وبالتالي، من المستحيل أن يستطيع أي أحد أن يلمس الزجاج الحقيقي. عندما تمسك بكوب زجاجي وتشرب الماء، ذلك الماء الذي تشربه هو مجرد إحساس ينشأ داخل المخ.

في الفيلم الوثائقي "*What the Bleep Do We Know?* " يتحدث جو ديسبنزا، الحاصل على درجة الدكتوراة في المعالجة بتقويم العمود الفقري يدوياً من جامعة لايف في أتلانتا بولاية جورجيا الأمريكية فيقول: "لا يستطيع عقلك التمييز بين ما يحدث بالخارج وما يحدث بداخله". كما يقول فريد آلن وولف: "لا يوجد عالم خارجي مستقل عما تدركه أنت من خلال عقلك".

إن الحياة التي نحياها هي مزيج من نسخ مكررة للأشياء، إذ أننا لا نستطيع التمييز بين إدراكنا للأشياء وبين واقعها. أنت تعتقد أن الشخص الذي أمامك يرى نفس ما تراه أنت، كلاكما يعتقد ذلك، وتظنان أنكما ترون العالم الحقيقي. لكن في الواقع، هذا الشخص الآخر والذي يتفق معك في الأشياء التي تراها وتسمعها، هو بالنسبة لك عبارة عن صورة يدركها عقلك. كما أنك لا يمكنك أن تعرف الفرق بين ما تدركه أنت وما يدركه هو. من المستحيل بالنسبة لنا أن نصف ماذا يعني اللون الأخضر بالنسبة لنا، أو أن نصف مثلاً كيف تبدو رائحة الليمون.

إذاً ما هو الواقع بالنسبة لنا؟ في هذا الصدد يطرح جو ديسبنزا الأسئلة التالية قائلاً:

"أظهرت التجارب العلمية أننا إذا قمنا بتصوير مقطعي بالإصدار البوزيتروني لمخ أي جسم مادي وطلبنا منه النظر إلى شيء ما، سنجد أن مناطق معينة داخل الدماغ تضيء. وإذا طلبنا منه بعد ذلك أن يغلق عينيه ويتخيل ذلك الجسم، ستضيء نفس المناطق في الدماغ كما لو كان ينظر إلى الجسم الحقيقي. دفع ذلك العلماء للتفكير في ذلك الأمر وطرح بعض الأسئلة. من إذاً المسئول عن الرؤية؟ هل هو المخ؟ هل هما العينان؟ وما هو الواقع؟ هل هو ما يدركه المخ أم ما تراه أعيننا؟ من المهم أن نعرف أن المخ لا يستطيع التمييز بين ما يراه فعلياً وما يتذكره، لأنه في الحالتين تتفعل نفس الإشارات العصبية. إذا فالسؤال هو: ما هو الواقع؟" (69)

في الفيلم الوثائقي "*What the Bleep Do We Know?* " تقول جيه. زي. نايت بأن الواقع ينشأ عن الوعي.

كل إنسان منّا يعيش في عالم خاص به مبنيّ على تصوراته. لا يمكن لأحد أن يعرف كيف يبدو العالم الحقيقي، وبرغم ذلك فإننا نصف ما نراه بالواقع. إذا كان الأمر كذلك، هل الواقع إذًا مجرد وهم؟ هل يتكون الواقع مما يمكننا إدراكه فقط؟ هل وجودنا المادي، وحياتنا ما هما إلا وهم في عقولنا؟

كل ذلك هو محض وهم، فنحن نعيش في عالم وهمي، وهو موجود فقط في عقولنا. نحن نتخيل أننا ننظر إلى العالم الحقيقي بالخارج، لكن عالم آخر تماماً موجود داخل عقولنا، ومن المستحيل بالنسبة لنا أن نخرج عن حدوده.

يشرح الفيلسوف جيف هازلهرست كيف أن العلم ليس لديه تفسير لواقعية العالم التي تنشأ في المخ فيقول:

"تظهر صعوبات أخرى بسبب أن حواسنا أيضاً تخدعنا. لقد عرف الفلاسفة منذ آلاف السنين أن ما تدركه عقولنا ناتج عما تلتقطه حواسنا. إن العالم الذي نراه ونلمسه ونتذوقه من خلال حواسنا مختلف عن العالم الحقيقي. كذلك إحساسنا بالألوان هو مثال آخر، إذ أن المخ يدرك ترددات معينة من الضوء. إذا أردنا وصف الواقع، فلابد أن يستند ذلك الوصف على الأشياء الحقيقية التي تُسبب حواسّنا، ليس ما تدركه حواسنا. لذلك فإن العلم، الذي يعتمد على التجربة، ليس مناسباً لوصف الواقع نفسه." (71)

يقول بيتر راسل:
"قد يثير دهشتك أن استنتاجات الفيزياء الحديثة تختلف تماماً عن خبراتنا. . . . لكن الأكثر دهشة أن صورة الواقع التي تنشأ في عقولنا هي مجرد فهمنا لحقيقة الواقع. عندما نتحدّث عن العالم الماديّ، نعتقد أننا نشير إلى الواقع، أو كما نطلق عليه" العالم

الخارجي". في الواقع، نحن نصف رؤيتنا للواقع فقط. الأشياء المادية التي نختبرها و"العالم الحقيقي" الذي نعرفه بأكمله، هم مجرد صور أنشئت في عقولنا، أي أنهم جزء من فهمنا للواقع. قد يبدو الأمر متناقضاً، لكن المادة هي شيء من إنشاء عقولنا". (72)

وبالتالي، فإن الواقع ليس هو "العالم الخارجي" الذي ليس لنا اتصال مباشر به. وبما أن كل شيء عبارة عن صورة تتكون من خلال الإشارات الكهربائية داخل المخ، لا يمكن أن يكون الواقع هو هذا العالم الموجود داخل المخ أيضاً. هذا العالم هو وهم تام، ونحن ننخدع من خلال مراقبتنا له. "الواقع" ليس موجوداً بالخارج، ولا هو الصور الموجودة داخل المخ.

يلخّص فريد آلن وولف اعتيادنا على العالم الوهمي الذي نعيش فيه، وكيف يتجنب الناس مفهوم "الواقع الحقيقي"، ويقول:

"نسعى بلا وعي لإبقاء هذا السر بداخلنا. . . بعبارة أخرى، نحن دون وعي نختار أن نعيش في هذا الوهم بأن كل شيء هو مثلما نراه. هذه ليست مجرد حقيقة أساسية بالنسبة لي ولكم، إنه سر وجود الكون. . . ويحدث ذلك فقط لأننا نصدّق تلك الخدعة. لو استطعنا أن نتوقف عن تصديق ذلك لدقيقة واحدة، أو لثانية واحدة، أو حتى مللي ثانية واحدة، سوف نرى تلك الخدعة بوضوح.

في مرحلةٍ ما من حياتنا، بطريقة ما سنكشف هذا السر. . . لكننا لن نصاب بالدهشة، لأنه سيبدو منطقياً، لكننا نخدع أنفسنا وبالتالي لا نراه.

. . . والكثير منّا يظل منخدعاً بهذا الوهم حتى اللحظة الأخيرة في حياته. نحن نعيش مقتنعين بفكرة أن هناك فاصل يفصلنا عن العالم الخارجي، وأننا نعيش في سلام مع عالمنا الداخلي الخيالي. لا يستطيع أي أحد أو شيء أن يدخل إلى عالمنا الموجود في عقولنا. كل حاسة من حواسنّا تؤكد لنا أن هذا صحيح، وأننا وحيدون. نحن نتجاهل أية معلومات أو أفكار أو تصورات أو حكايات تخالف التصورات التي لدينا بأن هناك فاصل بين عالمنا الإدراكي الداخلي، والعالم الخارجي. نشكك في من يقول لنا غير ذلك، وننصرف عنه، ونشعر بأنه ساذج". (73)

ليس من السهل على الإطلاق بالنسبة لأي ماديّ أن يتقبّل حقيقة أن العالم الذي ينشأ داخل عقولنا ليس حقيقي. لقد أكّد العلم الحديث على ذلك، ولكن كما قال فريد آلن وولف، هذه الحقيقة العظيمة يتم تجاهلها. حقيقة أننا نعيش في عالم وهمي ليست مقبولة بالنسبة للعقلية المادّية هذه الحقيقة التي ينكرها الماديّون، والتي يبحث العلماء عنها تنتمي إلى الروح البشرية.

الروح البشرية هي الكيان المُطْلَق في هذا العالم، وسوف تعيش إلى الأبد في الآخرة. إنه الله سبحانه وتعالى هو من أنعم على الإنسان بالروح. المادّة في العالم الخارجي، وأجساد البشر، والعالم الذي ينشأ في عقولهم، سوف تأتي نهايتهم يوماً ما. لكن الروح التي وهبها الله للإنسان مُطْلقة وأبدية.

"إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾" (سورة ص، الآيات 71 – 72)

# لقاءات مع عدنان أوكطار

نحن ندرك حقيقة المادة في حدود ما يمكننا رؤيته، والله وحده هو من يعلم حقيقة حالة المادة

عدنان أوكطار: الحياة قصيرة، والاختبار قصير. لو تصرف الناس بعقلانية، سنرى حكم الإسلام في جميع أنحاء العالم في تلك الحياة القصيرة. إن ما يُهمنا هي الآخرة. لقد خلق الله نظاماً غاية في الروعة. على سبيل المثال، عندما كنت في المرحلة المتوسطة من المدرسة، لم أكن أعرف أن القلم هو علامة تقود إلى الإيمان. لقد ظننت أن الإنسان هو من اخترعه. بعد ذلك أدركت أنني أرى القلم عن طريق عقلي، ثمّة قوة ما تجعل عقلي قادراً على رؤيته. قد يتساءل البعض أين يوجد القلم. معظمنا سيجيب أنه بالخارج، فنحن لدينا اعتقاد بأن القلم موجود خارجنا. لا أحد يعلم الحالة الحقيقية للقلم بالخارج، فنحن نقر بما نعرفه بسبب إيماننا بذلك، لأن الله أخبرنا في القرآن بأنه موجود. يمكننا رؤية صورة القلم فقط داخل عقولنا. الأمر يعتمد على مجموعة معلومات نعرفها، لا أكثر. يتناول الداروينيون هذا الموضوع لكنهم لا يتحدثون عن أي شيء سوى عن المعلومات التي يتم إرسالها للمخ. يتحدثون عن الظروف المعملية القياسية، فتسألهم أين يوجد هذا المعمل بالخارج، فيجيبون بأنه موجود في المكان الذي يرونه من خلاله داخل المخ. هل رأى أي أحد معملاً بالخارج؟ لا، لكننا نؤمن بوجوده بالخارج.

لا أحد على الإطلاق لديه أي علم بطبيعة المادة في الخارج. بسبب معرفتنا للفيزياء، نحن نعتقد أن هناك مادة شفافة خالية من الضوء في مظهرها وفي تكوينها. ونعتقد أيضاً أن هناك جسم أسود، وأنه يصبح شفافاً إذا تعرض للضوء. نحن نؤمن بوجود مادة شفافة غير ملونة بالخارج. ولكن من الجانب العلمي، فإن كل ما ندركه هو صورة من ذلك، الصورة التي يتيح لنا الله إدراكها، صورة ثلاثية الأبعاد.

تمتلئ أعيننا بالأوعية الدموية. هناك مادّة سائلة لزجة في العين. لكن إذا نظرت إلى وضوح الصورة التي نراها، ستجد أنك لن تستطيع الحصول على مثل تلك الصورة حتى لو استخدمت أحدث العدسات والكاميرات. نحن نسمّي ما نراه داخل عقولنا ب"الحياة"، فعقولنا تلك هي التي تعطينا الإحساس بالعُمق والمسافة، سواء من خلال الرؤية أو السمع. عندما تسمع تسجيلاً صوتياً لا تستطيع تحديد الاتجاه الذي يصدر منه الصوت، بينما يمكنك ذلك، عندما يتكون ذلك الصوت داخل أذنيك.

من لقاء بتاريخ 13 مارس 2012

www.a9.com.tr / www.harunyahya.tv

## الواقعية في الأحلام

في أحلامنا، نحن لا نتحدث مع أي أحد، ولا نرى أحداً، حتى أن أعيننا تكون مغلقة. كذلك نحن لا نركض، ولا نمشي، ولا توجد وحوش تطاردنا وتخيفنا، ولا حدائق خضراء تنتشر من حولنا. لا توجد ناطحات سحاب نخشى السقوط منها، ولا يوجد أي أشخاص. برغم رؤيتنا لكل هذه الصور، نحن نظل وحدنا نائمين على أسرّتنا. وبرغم سماعنا لأصوات صاخبة، فإننا ننام في غرفة يملؤها صمت تام.

في الوقت الذي نتخيل فيه أننا نركض بسرعة كبيرة، نكون ساكنين في مكاننا دون أية حركة. وعندما نتخيل أننا في نقاش حاد مع أحد الأشخاص، لا نتكلم ولا نفتح أفواهنا إطلاقاً. لكننا نتخيل كل تلك الأشياء أثناء أحلامنا بصورة قريبة من الواقع، فالناس الذين يحيطون بنا، وكل شيء نراه من حولنا في الأحلام يبدون واقعيين لدرجة أننا لا نتخيل أبداً أن كل ذلك مجرد حلم.

أحياناً نحلم بأن سيارة صدمتنا، ونشعر بآلام نتيجة ذلك، كما نشعر بالخوف كلما اقتربت السيارة وأسرعت نحونا ولحظة اصطدامها بنا، ولا يكون لدينا أي شك في واقعية ذلك الشعور. كذلك الحال بالنسبة لدرجة حرارة الجو، وتصرفات الناس الذين نراهم، والملابس التي نرتديها، فجميعهم يبدون واقعيين تماماً. ورغم ذلك، نحن لم نشهد أياً من ذلك في الواقع. لم يصلنا أي ضوء أو صوت، لم نرى أو نشم أي شيء. أي أن ما نشير إليه ب"العالم الخارجي" لا يكون موجوداً، فكل ذلك يحدث فقط في عقولنا لكننا لا نعي ذلك عند حدوثه. حتى ولو أخبرنا أحدهم داخل الحلم بأننا نحلم، فنحن نستبعد إمكانية حدوث ذلك تماماً ونظل مقتنعين بأن ما نشهده حقيقي تماماً. الأشياء التي نراها، أو نشمها، أو نلمسها، أو نشعر بها في أحلامنا هي بالنسبة لنا واقع مؤكد. لذلك، فإن مخاوفنا، وسعادتنا، وكل ما نشعر به في أحلامنا يكون حقيقياً أيضاً. كل ما نمر به في الحلم يبدو وكأنه واقع يحدث لنا، لذلك لا يوجد دليل لدينا يجعلنا نعتقد أننا في مجرد حلم.

الأحلام هي خير مثال لإثبات أن العالم الخارجي بالنسبة لنا هو مجرد إدراك. فمثلما يعتقد أي شخص في الحلم أن ما يمر به حقيقي، من الصعب أن نقتنع بأن ما نطلق عليه "العالم الحقيقي" هو في عقولنا فقط، فالصور التي نراها ونعتقد أنها "الحياة الحقيقية" هي بالضبط نفس الصور التي نراها في أحلامنا، كلاهما ينشأ في عقولنا. وفي كلتا الحالتين، نكون متأكدين تماماً بأننا ما نشاهده حقيقي تماماً . لكننا قد يكون لدينا دليل على أن الأحلام ليست حقيقية، فعندما نستيقظ من نومنا نقول "لقد كان كل ذلك مجرد حلم". إذًا كيف يمكننا إثبات أننا لسنا في حلم الآن؟

يقول الله تعالى عن تلك الحقيقة في القرآن الكريم:

"وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَـٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾" (سورة يس، الآيات 51-52)

إن اللحظة التي سنستيقظ فيها من الحلم الذي نعيشه ستأتي عندما نترك الحياة الدنيا. وبالتالي ينبغي علينا أن نعيش في نعرف أن هذا العالم هو مجرد وهم، شيء ينشأ في عقولنا، وأن نتصرف بناءً على ذلك.

يقارن بيتر راسل بين الواقعية في الأحلام وبينها في العالم نعيشه فيقول:

"إن إدراكنا للعالم يبدو لنا بشكل مقنع للغاية بأنه خارجنا، إلا إنه ليس كذلك فهو كالأحلام. في أحلامنا، يمكننا الرؤية والسمع وإدراك غيرهما من الحواس، نستطيع التفكير، ونشعر بالخوف والغضب والسعادة والمودة. في أحلامنا نستطيع رؤية الآخرين والتحدث والتفاعل معهم. تبدو الأحلام بالنسبة لنا كأنها واقع خارجي من حولنا، ونظل كذلك حتى نتيقّظ وندرك أن كل ذلك كان مجرد حلم، كل ذلك كان من إنشاء عقولنا.

عندما نقول "لقد كان كل ذلك مجرد حلم" فإننا نعني أن ما شهدناه لم يكن واقعًا ماديًا، وإنما كان مبنيًا على ذكريات وآمال ومخاوف وعوامل أخرى. إن رؤيتنا للعالم في حالة اليقظة تكون مبنية على ما تلتقطه حواسنا من الأجسام المادية المحيطة بنا، وهذا ما يعطينا شعوراً بالواقعية ليس موجوداً في الأحلام. لكن الحقيقة هي أن الواقع الذي نعيشه في يقظتنا ينشأ في عقولنا أيضًا مثل الأحلام". (74)

وصف رينيه ديكارت ذلك قائلًا:

"أحلم بأني أقوم بأمر ما، أو بأني ذاهب إلى مكان ما، ولكن عندما أستيقظ أجد أني لم أفعل أي شيء ولم أذهب إلى أي مكان، إنما أن راقد في سريري في سلام. من يضمن لي أنني لست أحلم الآن، أو أن حياتي بأكملها ليست حلماً؟" (75)

إنه من المستحيل أن نضمن أن الناس من حولنا والحياة التي نشهدها في هذه اللحظة ليست حلماً. يمكننا أن نلمس قطعة من الثلج في الحلم ونشعر بأنها باردة وشفافة تماماً كما لو كانت حقيقية. وعندما نشم رائحة وردة، نجد نفس الرائحة الفريدة لتلك الوردة. السبب في ذلك أن العمليات التي تحدث في المخ عندما نشم وردة أثناء يقظتنا هي نفسها التي تحدث عندما نكون في حلم.

نظراً لذلك، من المستحيل أن نعرف متى نشاهد صوراً حقيقية أو نشم رائحة حقيقية لإحدى الورود. في الواقع، إننا لا نشم الرائحة الحقيقية للوردة في أيٍ من الحالتين، كما أنه لا توجد صورة أو رائحة في مكان ما داخل رؤوسنا.

إذاً، كلتا الحالتين لا يمثلان واقعاً، حيث يقول جيرالد أوبراين:

"نعم، إننا نائمون في أسرّتنا وأعيننا مغلقة، لكننا نرى صوراً تبدو واقعية ومقنعة بالنسبة للكثيرين. العالم الذي نعيش فيه في يقظتنا، حيث نحاط بالكثير من الناس والأشياء، في أحلامنا نشعر بأننا في نفس العالم، نشعر بأن تلك الأحلام حقيقية. ربما يخبرنا هذا بمدى قدرة عقولنا على إنشاء كل ذلك في أحلامنا. بالنسبة لبعض الفلاسفة والمنظرين فإن هذا يعني أننا عندما نكون في يقظتنا ننظر إلى العالم حولنا، قد يكون ذلك غير حقيقي أيضاً. ربما الخبرات التي نشهدها في هذا العالم هي من إنشاء عقولنا، واعتقادنا بأننا على اتصال مباشر مع العالم هو أمر خاطئ بالفعل". (76)

لو أن شخص ما يعلم أثناء الحلم أن ما يراه ليس حقيقياً، ما كان ليخاف من سيارة تقترب منه، ولَعلِمَ أن الأموال التي يجنيها سوف تزول، ولن يكون لديه أي جشع لاقتناء الأموال والسلع، لأنه حينها سيعلم أن كل النعم التي يمتلكها سوف تزول عندما يستيقظ من نومه، فلن يتفاخر بها في الحلم. كما أنه لن يبالي بالتصرفات السيئة التي يقوم بها الآخرون لأنه يعلم جيداً أن الناس وتصرفاتهم ليسوا حقيقيين. لن يقوم ذلك الشخص بالسعي وراء أمور دنيوية، ولن يصبح قلقاً بسببها، ولن يقضي حياته اتّباعاً لأهوائه كما لو كانت حياته أبدية، والسبب هو أنه يعلم جيداً أنه سوف يستيقظ، وهو يعلم أن هناك عالم حقيقي غير العالم الموجود في الحلم. لذلك، لن يعطي ذلك الشخص اهتماماً بأي شخص أو شيء لأنه يعلم بأنه يحلم.

الأمر ذاته ينطبق على ما نسميه حياةً حقيقيةً. لو أن شخصاً ما يعرف أن تلك الحياة ليست حقيقية وإنما هي مجرد تصورات تنشأ في عقله، فإنه لن يعطي أي اهتمام لما يمر به في تلك الحياة، كما هو الحال في الأحلام. الآن لو كان هذا الشخص يعلم أن الناس الذين يراهم ليس لهم وجود في الواقع، وأن كل ما يجعله يسعى وراء هذه الحياة هو مجرد وهم، فلن يبذل أي جهد من أجل تحقيق مكاسب زائلة. هذا الشخص يعيش في دنيا فانية عابرة، ويعلم أن حياته الحقيقية سوف تبدأ بعد انتهاء تلك التي يعيشها الآن.

يقول الكاتب ريميز ساسون:

"إن الحياة كعرض سينمائي. قد يندمج الشخص الذي يشاهد فيلماً مع الشخصيات والأحداث التي تجري على الشاشة، قد يصبح سعيداً أو حزيناً بسبب ما يمر به أبطال الفيلم، قد يكتئب أو يصيح أو يضحك. لكنه إذا قرر في لحظة ما أن يتوقف عن مشاهدة الفيلم، فإنه يتخلص من الوهم الذي كان يعيشه بسبب الفيلم. عندما يقوم جهاز العرض بإسقاط الصور على الشاشة، يدرك الشخص الذي يشاهد الفيلم أن ذلك مجرد ضوء وأن ما على الشاشة ليس حقيقياً، يمكنه في أي لحظة أن يتوقف عن مشاهدة الفيلم. هل شاهدت فيلماً من قبل ثم توقف الفيلم بسبب عطل فني أو بسبب انقطاع التيار الكهربائي؟ ماذا يحدث لك عندما تشاهد فيلماً ممتعاً على التلفاز وفجأة يتوقف لعرض الإعلانات التجارية؟ ما يحدث أن الوهم يتوقف، وتعود أنت للعالم الذي تعيش فيه.

عندما تحلم أثناء نومك ويقوم أحدهم بإيقاظك تشعر بأنك انتقلت من عالم إلى عالم آخر. الأمر نفسه يحدث مع ما نسميه واقعاً، من الممكن أن تستيقظ منه". (77)

إن العالم الذي نعيش فيه يتكون من صور وهمية، وكذلك الروائح والحواس الأخرى، تماماً مثل الأحلام. بالتأكيد من الممكن أن يفيق البعض من هذا الحلم ويدرك حقيقته قبل أن تأتي نهاية هذه الحياة. الاستيقاظ من هذا الحلم ومعرفة أن هذا العالم ليس حقيقياً، سيجعلنا ندرك أن العالم الحقيقي هو الآخرة. من يدرك ذلك، سيدرك أن هذه الدنيا زائلة، وأنه بحاجة لنيل رضا الله من أجل النجاة في الآخرة، وبالتالي سيعمل لتحقيق هذه الغاية. من يدرك هذه الحقيقة، ينعم الله عليه بنعم لا تعد ولا تحصى في الدنيا والآخرة.

يوصف بعث الناس يوم القيامة في قول الله تعالى:

"وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾" (سورة ق، الآيات 20-22)

## الخلل الإدراكي في المخ.. وعالم خارجي مختلف

إن حواسنا الخمس هي سبب اقتناعنا بأن ما نراه هو العالم الحقيقي. عند انقطاع الإشارات الكهربائية المسببة لحدوث الإدراك و التي ترسلها تلك الحواس، فإن العالم الخارجي يختفي. هذه الحواس لا يمكنها نقل المعلومات سوى عن طريق الإشارات الكهربائية، وهذه حقيقة علمية. إذا كان هناك عالم خارجي ممتلئ بالمعلومات والأحداث لكن حواسنا لا يمكنها إرسال تلك الإشارات الكهربائية، فلن يمكننا إدراك ذلك العالم.

الخطأ الإدراكي في المخ هو أحد أهم الأدلة التي تثبت ذلك. على سبيل المثال، عندما تنظر إلى غرفة في وضح النهار وتعتقد أنك تراها، فإن الواقع يكون مختلفاً. هناك نقطة صغيرة للغاية أمامك داخل الغرفة لا يمكنك رؤيتها، ومهما نظرت في اتجاه آخر ستظل هناك نقطة لا يمكنك رؤيتها. هذه النقطة تسمى بالنقطة العمياء، وهي موجودة في عينيّ كل إنسان، في مركز الشبكية، في موضع العصب البصري الذي يتصل بالمخ.

السبب في هذا العمى الجزئي هو عدم وجود خلايا الشبكية التي تحتوي على مستقبلات للضوء في المنطقة التي يوجد بها العصب البصري. بالرغم من ذلك، يمكنك رؤية الصور التي أمامك كاملة دون نقصان.السبب في ذلك هو أن المخ يقوم بتعويض ذلك النقص فتصبح تلك النقطة مرئية بسبب قيام المخ بملء تلك النقطة استناداً إلى التفاصيل الموجودة في الخلفية المحيطة بها. لا يتلقى المخ أية تفاصيل عن تلك النقطة، وبالتالي فإن التفاصيل التي ينشئها المخ فهي وهمية تماماً. برغم ذلك، نحن لا نعلم أننا فعلياً لا نرى تلك النقطة. يغطي المخ النقطة العمياء من خلال تقديره لما ينبغي أن يكون هناك. ولكن كيف يقوم المخ بتقدير ذلك؟ هذا السؤال لا يزال يمثل لغزاً للعلماء حتى الآن.

يصف فيلاينور راماشاندران ذلك فيقول:

"قد تحاول تصويب النقط العمياء لديك إلى زاوية مربع على سبيل المثال، عن طريق ملاحظة الزويا الثلاثة الأخريات، هل يقول الجهاز البصري لديك بإنشاء الزاوية المفقودة؟ إذا قمت بهذه التجربة، ستجد أن الزاوية تختفي. يبدو أن المخ الذي يسمح بملء النقطة العمياء لا يستطيع إكمال الزوايا، هناك حدود لما يمكن إكماله". (78)

هل يمكننا الاختيار أثناء عملية الإكمال تلك؟ يجيب راماشاندران على هذا السؤال أيضاً ويقول:

"عندما يقوم المخ باستكمال النقطة العمياء في تصميم سجاد، فلن يكون لديك اختيارات لما يمكن أن يملأ ذلك الفراغ، لا يمكنك أن تغير ما يقوم به عقلك. الخلايا العصبية البصرية هي من تقوم بملء النقطة العمياء، وبمجرد إرسالهم إشارات إلى مراكز المخ تفيد بوجود شكل ما كَخَطٍ مستقيم مثلاً، فلا يمكن التراجع في ذلك". (79)

عندما تنظر إلى طاولة، يستقبل جهاز الإبصار لدينا معلومات عن أطراف الطاولة، ومن ثمّ تتكون صورة في عقولنا تمثّل شكل الطاولة. بعد ذلك يقوم جهاز الإبصار بتحديد لون الطاولة وتركيبها، وهما عنصران أساسيان من العناصر التي يعتمد عليها ملء النقطة العمياء. بعد الحصول على هذه المعلومات، يقوم المخ بتكوين الصورة التي أمامه كاملة. لا يحتاج المخ لفحص كل تفاصيل الصورة والدخول في حسابات طويلة، إنما يقوم بإنشاء الصور بناء على التخمين. (80)

أي أن المخ ينشئ صوراً وهمية والتي نعتقد أنها موجودة بالفعل. الصورة الموجودة في النقطة العمياء هي ليست الصورة الحقيقية لما نراه أمامنا، لكننا لا نعلم ذلك. كما أننا ليس لدينا دليل على أن الصورة بأكملها حقيقية. تلك الصورة الموجودة في النقطة العمياء -والتي لا توجد في الواقع- تبدو واقعية تماماً لدرجة أننا لا ندرك أين تقع تلك النقطة في الصور التي نراها كل يوم في حياتنا. نظراً لكون الأمر ذلك فإننا لن نستطيع معرفة ما إذا كانت الصور التي نراها وهماً أم لا. نحن نعتقد أنها حقيقية، ولكن هذا ليس دليلاً كافياً.

ثمّة خلل آخر في الإدراك يوضح ذلك أيضاً، وهو عمى الألوان القشري. في حالة تلف المنطقة (V4) في المخ –والتي لها دور في معالجة الألوان- فإن الشخص يرى العالم ملوناً بأطياف من اللون الرمادي، فيبدو كل شيء بالنسبة له كأنه فيلم بالأبيض والأسود. بالرغم من ذلك، لا يواجه هذا الشخص أية مشاكل في قراءة الصحف أو التعرف على وجوه الناس وحركاتهم أو تحديد الاتجاهات. (81) أما إذا حدث تلف المنطقة الصدغية البصرية الوسطى (MT)، سيستطيع المريض القراءة وتمييز الألوان، لكنه لن يستطيع تحديد الاتجاهات أو سرعة حركة الأجسام.

كتب راماشاندران عن ذلك قائلاً:

"عند حدوث تلف في منطقة أو أكثر في المخ، فإنك تواجه حالات ذهنية متناقضة كمن يعانون من أمراض عصبية. لتوضيح ذلك، سأعطيك مثالاً من أشهر الأمثلة في علم الأعصاب. نفترض أن هناك امرأة سويسرية تُدعى إنغريد تعاني من عمى الحركة. كانت إنغريد تعاني تلفاً في المنطقة الزمنية الوسطى (MT) داخل المخ. كان إبصارها طبيعياً إلى حد ما، حيث كانت تستطيع تحديد أشكال الأجسام المختلفة، والتعرف على الناس، وقراءة الكتب دون أن تعاني أية مشكلة. لكنها إذا نظرت إلى شخص يركض أو إلى سيارة تتحرك على الطريق، فإنها ترى مجموعة صور متقطعة بدلاً من رؤية حركة مستمرة. كانت إنغريد تشعر بالخوف عند عبر الشارع لأنها لم تكن تستطيع تقدير سرعة السيارات القادمة، بالرغم من تعرفها على نوع السيارة و لونها وحتى لوحة الترخيص المعلقة عليها. قالت إنغريد بأنها عندما كانت تتحدث مع أحد ما وجهاً لوجه كانت تشعر بأنها تتحدث معه على الهاتف لأنها لم تستطيع ملاحظة تغير تعبيرات الوجه أثناء حديثها مع أحد الأشخاص. حتى أنها كانت تعاني عندما تصنع كوباً من القهوة، لأنها كانت تشعر بأن القهوة ستفيض عن الكوب وتنسكب على الأرض، لأنها لم تستطع تحديد سرعة امتلاء الكوب بالقهوة، فلم تكن تعرف متى تبطئ وهي تسكب القهوة حتى لا تفيض عن الكوب. كل هذه القدرات تبدو سهلة جداً بالنسبة لك ولي لدرجة أننا نعتبرهم أمراً مسلّم به. فقط عند حدوث خلل ما في المنطقة المسئولة عن إدراك الحركة، ندرك وقتها أن الرؤية أمر معقد للغاية.

تعتبر الهلوسة مثالاً آخر على الخلل الإدراكي. قد تحدث الهلوسة لأسباب عديدة منها الاضطرابات العقلية والأمراض الحموية المختلفة وتعاطي المخدرات والشيخوخة. والهلوسة هي إحساس الشخص بشيء غير موجود، أي أنه قد يرى أشياءً أو يسمع أصواتاً غير موجودة. الشخص الذي يعاني من الهلوسة يكون واعياً يقظاً تماماً عندما يصاب بالهلوسة، ويشعر أن ما يراه مقنعاً للغاية.

هذه الأعراض التي ذكرناها ما هي إلا عدد قليل من اضطرابات المخ، والتي بسببها يحس الناس بوجود أشياء غير حقيقية. يرى بعض الناس الألوان بشكل مختلف تماماً عما يراها غيرهم، فيبدو العالم الملون بألوان زاهية بالنسبة لهم ملوناً بالأبيض والأسود فقط. لو أننا لنا تجربة مباشرة مع العالم الخارجي، ولو أن العالم الذي ندركه ليس عبارة عن إشارات كهربائية مرسلة إلى المخ، فلماذا يدرك هؤلاء الناس الألوان بشكل مختلف؟

لو أن هناك عالم خارجي واحد، فلماذا لا يدرك الناس كلهم هذا العالم بنفس الطريقة؟ ولماذا لا يرون جميعاً نفس الشيء؟

يعتقد معظمنا أننا لدينا إدراك كامل للعالم الخارجي، وأنه لا يوجد أي عيب في إدراكنا، لكننا يجب أن نعلم أن الشخص الذي يعاني من الهلوسة يعتقد بأن ما يراه حقيقياً أيضاً. يعتقد الناس أن الصور الوهمية التي يرونها حقيقية. لكننا لا يمكننا القول بأن ما ندركه عن العالم الخارجي هو موجود بالفعل، أو أن الآخرين يرونه بنفس الطريقة أم لا. لا يستطيع العلم الذي نملكه في القرن ال21 أن يختبر ذلك. نحن لدينا علم بما ندركه نحن فقط عن العالم الخارجي، لكننا لا نعلم ما يدركه الآخرون. كذلك لا يمكننا الخروج عن إدراكنا لنعرف كيف يبدو العالم الخارجي في الواقع.

الإشارات الكهربائية التي ترسلها حواسنا هي السبب في رؤيتنا لنسخة من العالم الخارجي. بالرغم من ذلك، هناك كيان ما داخلنا يرى العالم الخارجي، والذي يعطي معنى لما نراه، وهو الذي يشعر بالفرح أو الحزن، ويتحمس لأمر ما، ويستطيع تحليل الأمور والتفكير فيها. لكن أين يوجد هذا الكيان والذي نشير إليه ب"أنا" داخل المخ؟ هل التفاعل بين الخلايا العصبية هو ما يجعلنا نفكر ونشعر بالسعادة؟ هل هو ما يُمكننا من سماع الموسيقى؟ هل هو سبب استمتاعنا برؤية منظر طبيعي أو بتناول طعام شهي؟

بالطبع لا يمكن أن يجب شخص عاقل بنعم على هذه الأسئلة، فهويتنا تقع خارج المخ، وهي الروح.

يقول الله تعالى:

"وَيَسأَلونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِن أَمرِ رَبّي وَما أوتيتُم مِنَ العِلمِ إِلّا قَليلًا" (سورة الإسراء، الآية 85)

## المخ ليس هو مصدر هوية الإنسان

### الدماغ البشري المخلوق بلا عيوب

العالم الحِسّي الذي ندركه بكل ما فيه من تفاصيل هو عالم مصطنع ينشأ نتيجة إشارات كهربائية. لكن المخ يفسر تلك الإشارات ليكوّن صورة شخص نعرفه، أو زهرة جميلة، أو منظر طبيعي ممتد، أو أطفال يلعبون في الشارع، أو قطة صغيرة لطيفة.
علمياً، تلك الإشارات يتك تحليلها في المخ. يزعم الماديون أن العالم الذي ندركه هو نتيجة التواصل بين الخلايا العصبية الموجودة في المخ. يزعم الماديون أيضاً أن الكيان الذي يجعلنا نفكر ونضحك ونفرح ونتعرف على الآخرين ونحلل المعلومات هو عبارة عن مجموعة من الخلايا العصبية، وذلك على حد قول عالم الفيزياء المؤيد للتطور ومكتشف الحمض النووي فرانسيس كريك.

لا يهتم الماديّون بطريقة تفكير الإنسان، وكيف يجعل إدراكهم للعالم معنى، وذلك لأنهم لا يستطيعون تفسير ذلك. هم يعتقدون أنه يجب النظر إلى كل شيء من الناحية المادية. والحقيقة أنهم يزعمون هذا الزعم الباطل ليصدّوا الناس عن الإيمان بالله.

لتوضيح ذلك بمزيد من التفاصيل، يمكننا فهم تكوين مخ الإنسان بشكل عام والذي يعتبر أحد التراكيب الأكثر تعقيداً في العالم.

يمتلك الطفل حديث الولادة حوالي 100 مليار خلية عصبية، وهو أكبر عدد يمكن أن يمتلكه إنسان، فعدد الخلايا العصبية في مخ الإنسان لا يزيد، بل ينخفض بمرور الوقت.

الخلايا العصبية هي الوحدات التركيبية والوظيفية الأساسية للجهاز العصبي. تتصل كل خلية عصبية بما بين ألف وعشرة آلاف خلية عصبية أخرى، ويعرف المكان الذي تتصل فيه تلك الخلايا ببعضها البعض بالتشابك العصبي، فهو يعتبر نقطة نقل الإشارات العصبية وتبادل المعلومات.

يقول البروفيسور راماشاندران "عدد التباديل والتوافيق الممكنة للنشاط الدماغي يتجاوز عدد الجسيمات الأولية للكون الذي نعرفه". (84)
الخلية العصبية في المخ تمتلك كل المكونات اللازمة للقيام بعملية التمثيل الغذائي، حيث تقوم بهضم البروتين لتأدية جميع المهام اللازمة. تتفرع الخلية العصبية إلى تشعبات تعرف بالزائدة الشجرية أو التغصن. الوظيفة الأهم للزوائد الشجرية هي استقبال الإشارات الكهرومغناطيسية من الخلايا العصبية الأخرى، وإرسالها إلى جسم الخلية. تكون الزوائد الشجرية سميكة نسبياً عند نقطة خروجها من جسم الخلية، ولكن بعد ذلك تتقسّم تدريجياً إلى عشرات أو مئات الفروع الأقل سمكاً. يختلف عدد الزوائد الشجرية في الخلية، اعتماداً على الوظيفة التي تقوم بها الخلية.

المحور العصبي هو أحد الزوائد المتصلة بالخلية العصبية، ووظيفته هي نقل المعلومات إلى الخلايا العصبية الأخرى، هذه المعلومات تكون في صورة تيار كهربائي. يوجد داخل المخ مخازن على المواد الكيميائية العصبية، كما توجد حويصلات تطلق هذه المواد الكيميائية لتنقل المعلومات إلى الخلية التالية في الشبكة العصبية. تقوم الخلايا العصبية بعد ذلك بنقل المعلومات إلى الخلية التالية عن طريق المحاور العصبية. يمكننا القول أن الزوائد الشجرية تستقبل المعلومات المرسلة من خلية أخرى، وأن المحاور العصبية تنقلها إلى خلايا عصبية أخرى. قد يصل طول المحور العصبي إلى متر، وقد يكون أقصر من ذلك.
كم عدد الأنواع المختلفة من الخلايا العصبية توجد في المخ؟ لم يتم التوصل إلى إجابة هذا السؤال بشكل كامل، إلا إنها تقدر ب50 نوعاً. (85) بالرغم من اختلاف الخلايا العصبية في الشكل والحجم وأنواع الاتصال والمحتويات الكيميائية العصبية، إلا إن جميعها تحمل المعلومات بنفس الطريقة، وتتواصل مع بعضها بنفس اللغة، عن طريق الإشارات الكهروكيميائية. المعلومات التي ترسلها إحدى الخلايا العصبية والتي تستقبلها خلية أخرى تكون ف صورة إشارات كهربائية تنتجها ذرات مشحونة أو أيونات، مثل أيونات الصوديوم والبوتاسيوم الموجبة الشحنة، وأيونات الكلوريد سالبة الشحنة. (86) كل خلية عصبية من ال100 مليار خلية تتصل مع ما بين بضعة آلاف إلى مئة ألف خلية عصبية أخرى. بشكل عام، داخل مخ الإنسان البالغ، توجد 100 تريليون نقطة اتصال والتي تعرف بالتشابك العصبي. (87)
يصف كريج هاميلتون ذلك قائلاً:

> "ما هي أكثر الشبكات تعقيداً؟ لو كنت تعتقد أنها شبكة الإنترنت فعليك التفكير مرة أخرى. إنه الدماغ البشري، بما فيه من بيئة كهروكيميائية تضم أكثر من 100 مليار خلية عصبية، وإذا ما قارنت شبكة الإنترنت به فإنها ستبدو ضئيلة للغاية. بما أن كل خلية عصبية تتصل مع حوالي 50 ألف خلية عصبية أخرى، فهذا يعني وجود 100 تريليون اتصال. (88)

في مكان إلتقاء المحور العصبي -الذي ينقل المعلومات إلى خلية عصبية أخرى- والزائدة الشجرية للخلية العصبية الأخرى، يوجد فراغ يبلغ عرضه حوالي واحد على مليون من السنتيمتر. (89) هذا يعني أن المحاور العصبية لا تتلامس مع الزوائد الشجرية بشكل مباشر. يجري الاتصال في أقل من جزء من ألف جزء من الثانية. بعض الخلايا العصبية يتفرع منها عدد قليل من الزوائد الشجرية، بينما البعض الآخر يتفرع منه عدد كبير جداً. إذا حاولنا إحصاء عدد الاتصالات العصبية التي تحدث داخل الدماغ بمعدل واحدة كل ثانية، سيستغرق الأمر منا 3 ملايين سنة، ما يعادل حوالي 42 ألف جيل بشري. (90)

في كتابها "كيمياء العقل- An Alchemy of Mind"، قدمت ديان أكرمان الكاتبة في مجلة "The New Yorker" والحاصلة على الدكتوراه من جامعة كورنيل، تفاصيل عددية عن هذا النظام المعقد، حيث كتبت:

"يبدو الأمر مستحيلاً، لكننا عدد الاتصالات بين خلايا المخ يزيد عن عدد النجوم في الكون، وأقصد بالكون الكون المرئي، إذ أن 96% من الكون الذي يمكننا قياسه غير مرئي، بالنسبة لنا على الأقل. فكّر في ذلك للحظة، وتخيل هذا الفضاء الغير محدود بما فيه من نجوم لا تعد ولا تحصى، ثم تخيل تلك الشبكة الميكروسكوبية داخل المخ. يحتوي المخ العادي على حوالي 100 مليار خلية عصبية، ويستهلك ربع الأكسجين الموجود في الجسم، ويستهلك نسبة كبيرة من السعرات الحرارية، بالرغم من أن وزنه لا يتعدى 1400 جرام. يستهلك المخ نفس الطاقة الكهربائية التي يستهلكها مصباح كهربي ذو قدرة كهربائية تساوي 10 وات. في نقطة في حجم حبة من الرمال في المخ، تعمل حوالي 100 ألف خلية عصبية وتوجد مليار نقطة تشابك عصبي. في القشرة المخية وحدها، تلتقي 30 مليار خلية عصبية في 60 تريليون تشابك عصبي عرض كل منها واحد على مليون من البوصة. (91)

يقول جيرالد إيدلمان الحائز على جائزة نوبل ومدير معهد العلوم العصبية بجامعة روكفلر:

لو قمنا بِعدّ تشابك عصبي واحد كل ثانية، فلن ننتهي من العد لمدة 32 مليون سنة. إذا أخذنا في اعتبارنا عدد الشبكات العصبية الممكنة، فإننا سنتعامل مع أرقام فلكية، سنجد عدداً متبوعًا بمليون صفر على الأقل. (92)

واحدة من أهم الحقائق المذهلة هي أن أي دماغ بشري بكل هذه الإحصائيات الاستثنائية، من المستحيل أن يطابق أي دماغ بشري آخر، حتى في التوائم المتماثلة. هذا النظام المعقد والمدهش قد تم تدبيره بإرادة الله داخل رأس كل إنسان بشكل منفصل، وجميعها لها نفس درجة التعقيد. (93)

تم تصميم أجهزة الكمبيوتر عن طريق محاكاة النظام المثالي الموجود في المخ. كيري بيرنشتاين وهو أحد الخبراء التقنيين في شركة آي بي إم هي واحدة من أكبر الشركات في مجال الكمبيوتر يقول بأنه على الرغم من محاكاة الكمبيوتر للمخ البشري في جوانب عديدة إلا إن تصميم المخ مثالي للغاية لدرجة أنه لا يمكن محاكاة نسخة مماثلة له باستخدام التكنولوجيا المتوفرة في الوقت الحالي. ويضيف:

"توجد دائرة توازي غير عادية داخل مخ الإنسان. يمكن أن تصل الوحدة الواحدة من المعلومات إلى 100 ألف خلية عصبية في نفس الوقت، وهذا يجعل المخ أسرع بمئات آلاف المرات من أسرع جهاز كمبيوتر. من المستحيل تنفيذ ذلك إلكترونياً بالنسبة لنا". (94)

لذلك، فإن مقارنة مخ الإنسان بالكمبيوتر تعتبر سطحية جدًا، ولا تعتبر مقارنة عادلة بالنظر إلى القدرة الفائقة للمخ. يقول جيرالد إيدلمان:

"أولاً، العالم لا يُقدّم إلى المخ مثل شريط الكمبيوتر الذي يحتوي على تسلسل معين من الإشارات. ومع ذلك يقوم المخ بدوره في التعلم وتكوين الذاكرة، في نفس الوقت الذي يقوم فيه بتنظيم وظائف الجسم. قدرة الجهاز العصبي على تصنيف الإشارات المختلفة للبصر والسمع وغيرهما وتقسيمها بنظام وترتيب معين هي قدرة استثنائية بكل تأكيد، ولا يزال لا مثيل لها في أجهزة الكمبيوتر. في الوقت الحالي، نحن لا نفهم بشكل كامل كيفية حدوث هذا التصنيف..." (95)

إن المنظومة الموجودة داخل مخ الإنسان مثالية تماماً، ما أقصده هنا هو تفاعل الخلايا العصبية مع المحاور العصبية والزوائد الشجرية لإرسال واستقبال البيانات خلال هذا النظام المعقد. لكن ما هو مصدر "العالم الخارجي" في المخ؟ وما هي الخصائص التي تجعل الإنسان إنساناً؟ هل من الممكن أن يكون المخ بالخلايا العصبية الموجودة فيه هو مصدر وعي الإنسان وإدراكه؟

يقول البروفيسور فيلاينور راماشاندران:

"بالرغم من أنه كونه أمر شائع لكنه لا يتوقف عن إدهاشي، كيف يعتقد الناس أن ثراء حياتنا العقلية بكل ما نشعر به، وبعاطفتنا وأفكارنا وطموحاتنا وميولنا الدينية، وما يمنحنا هويتنا، ما هو إلّا مجرد نشاط للخلايا العصبية الموجودة في رؤوسنا، داخل المخ". (96)

هذا أمر محير للماديين الذين يبحثون داخل مخ الإنسان عن تلك العناصر التي تجعل الإنسان إنساناً، كالفرح والشكوك والمعتقدات والهوية الشخصية. يزعمون أن المشاعر كالفرح والحزن، والمعتقدات، واتخاذ القرارات، والعاطفة تنبع كلها من الخلايا العصبية. غير أن العلماء

وأطباء الأعصاب الذين يدرسون مخ الإنسان فشلوا في العثور على مصدر أيٍ من ذلك. لهذا السبب قاموا بوضع تعريف جديد لمصدر هوية الإنسان، وهو أن ما يجعل الإنسان إنساناً هو "الوعي".

لكن ما هو الوعي؟ وكيف تناول الماديّون هذا الموضوع؟

## مفهوم "الوعي" الذي لا يستطيع الماديون تفسيره

من الذي يرى حديقة زهور ذات ألوان زاهية في مكان مظلم دون الحاجة إلى العين ولا الشبكية ولا العدسة ولا الأعصاب البصرية؟
ما هو الكيان الذي يتعرف على أصوات الأصدقاء من خلال الإشارات الكهربائية ويشعر بالسعادة لذلك دون الحاجة إلى أذن؟
من الذي يشم رائحة الكعك في المخبز، ويبتهج لذلك؟
من الذي يبتهج عند رؤية زهرة، والذي يشعر بالعاطفة عند رؤية قطة صغيرة، ويمسّد فراءها دون الحاجة إلى ذراع أو يد أو عضلات؟
هل يمكن لنسيج يتكون من مجموعة من الخلايا العصبية ويزن القليل من مئات الجرامات أن يكو سبباً للحياة التي نحياها ولكل ما نشعر به من حزن وفرح وصداقة وولاء وصدق وحماس؟
إذا كان الكيان الذي يدرك كل ذلك ليس هو المخ، إذن من هو؟
هل يوجد "شخص صغير الحجم" داخل مخ كلٍ منا وهو المسئول عن إدراك العالم الخارجي؟
أم أنه هو "المراقب" الذي تشير إليه فيزياء الكم؟
هل هذا المراقب موجود في مكان ما داخل المخ؟
إن لم يكن كذلك، فأين هو؟
يجيب فريد آلن وولف عن هذه الأسئلة قائلاً:

> "نحن نعرف ما يقوم به المراقب من وجهة نظر فيزياء الكم. لكننا لا نعلم ماهية هذا المراقب. هذا لا يعني أننا لم نحاول العصور على إجابة. لقد بحثنا داخل رأس الإنسان، وبحثنا عن شيء يسمى مراقبًا، لكن دون جدوى. لا يوجد أحد في المخ، ولا في المنطقة الطرفية في المخ. لا يوجد ما يسمى بالمراقب. لكننا جميعاً نشعر بوجود مراقب ما يراقب العالم من حولنا". (97)

يدرك العلماء الآن أن المخ ليس هو مصدر إدراكنا، وإنما هو بمثابة وسيلة فقط. علاوة على ذلك، تخلى العلماء بشكل كامل عن فكرة "وجود شخص صغير داخل الدماغ" والتي كانت سائدة قبل قرون. وجد العلماء أن الكيان الذي يشيرون إليه بالمراقب هو مستقل تماماً عن المخ، ويعلمون الآن أن مصدر إدراكنا هو الوعي البشري.
في كتابه "أقرب إلى الحقيقة: تحديّ الاعتقاد الحالي - Closer to Truth: Challenging Current Belief" يقول روبرت لورنس كوهن:

> "لماذا أصبح بعض علماء الفيزياء فجأةً مهتمين بالعقل البشري؟ هل العقل حقيقي كالمادة؟ القليل فقط من تساءلوا ما إذا كان العقل هو "الواقع الحقيقي" والمادة هي وهم خادع. ثمّة نظريتان أساسيتان غيرت نتائجهما مفهومنا عن الواقع إلى الأبد وهما ميكانيكا الكم التي أدخلت عدم التأكد في النطاق دون الذري، ونظرية النسبية التي تُوحِّد الزمان والمكان على النطاق الكبير للكون. لكن هل يمكن لنظريات الفيزياء شرح آليات العقل؟ هل يمكن لسلوك الذرات أن يحدد سلوك الناس؟ هل يمكن لتركيب الكون وصف كيف نفكر ونشعر وندرك؟" (98)

إن حياة الإنسان وإدراكه وأفكاره وكل ما يشعر به من حب وفرح وحزن –أي كل ما يجعل الإنسان إنسانًا- بالتأكيد ليس ناتجاً عن سلوك مجموعة من الذرات. ما يمنح البشر البشرية ويجعلهم قادرين على إدراك العالم الخارجي هو شيء مستقل عن مخ الإنسان. نحن بحاجة إلى تفسير أعمق من المفهوم المادي فيما يخص إدراك الإنسان وقدرته على تحليل الأمور والتفكير والاختيار، وغيرها من الصفات التي يتميز بها البشر. الكلمات التالية لتوماس هكسلي هي دليل هام على أن الماديين يمكنهم أن يروا الحقائق بالرغم من كونهم أنصار التطور أو كما يسميهم البعض "كلاب داروين". (99)

> "القول بأن شيء استثنائي مثل الوعي أن يكون ناتجًا عن نشاط الأنسجة العصبية، هو شيء غير منطقي مثل ظهور الجن عند فرك علاء الدين للمصباح". (100)

من المستحيل لبناء يتكون من الدهون والماء والبروتين أن يكون السبب في هوية الإنسان التي تجعله قادرًا على الإدراك والتفكير والشعور بالفرح والفخر والحماس. مزاعم الماديين قد انهارت تماماً أمام جقيقة أن الإدراك مستقل عن المخ.

السير رودولف بيرلس أحد أبرز علماء الفيزياء في القرن العشرين قال:

> "الافتراض بأنك تستطيع من خلال الفيزياء أن تصف جميع وظائف الإنسان بما فيها المعرفة والواعي هو افتراض غير مقبول. هناك شيء لا يزال مفقوداً". (101)

يشير بيتر راسل إلى أن العالم المادي الذي ندركه هو أمر ناتج عن وعينا فقط فيقول:

"عندما ندرك أن كل ما نعرفه بما في ذلك العالم المادي الذي نعيشه ناتج عن الوعي، تجد أن الحقيقة تناقض تماماً كل ما نراه يومياً. المادة هي من صنع الوعي... وبالتالي فإن الطبيعة الأساسية للواقع الذي نعيشه هي الوعي. المكان والزمان والمادة والطاقة –وكل العالم المبني على إدراكنا- هو من إنشاء وعينا. إن المادة ليست هي أساس هذا العالم الكبير، وإنما هو الوعي". (102)

ما نحاول وصفه بالواقع هو معتمد على الوعي. اللون والصوت والرائحة والطعم والوقت والمادة –باختصار، كل ما ندركه في هذا العالم- هو خصائص الوعي، فبفضل وعينا نستطيع أن نتصور كل ما في الكون.

لكننا لا نستطيع ملاحظة الوعي في العالم الخارجي. يوضح بيتر راسل سبب ذلك فيقول: "السبب في أننا لا نجد الوعي في العالم الذي نراه هو أن الوعي ليس جزءاً من الصورة التي تنشأ في عقولنا". (103)

كما يقول راسل، فإن الوعي وهو سبب إدراكنا للعالم الخارجي ليس جزءاً من العالم الخارجي الذي نلاحظه، وبالتالي فمن المستحيل أن نراه. يشبه راسل الوعي بالضوء المنعكس على شاشة السينما، ففي القصة التي يتم تمثيلها في الفيلم لا يوجد أي دليل على أنها مجرد أشعة ضوئية يتم إسقاطها على الشاشة. الناس يختبرون الصورة الظاهرة على الشاشة فقط، والضوء الذي بدونه لم تكن هناك صورة على الإطلاق لا يلاحظه أحد.

وبنفس الطريقة، فالوعي ليس له وجود ملموس أو مرئي لأنه ليس جزءاً من العالم المادي الذي نلاحظه.
وقد وصفت ديان أكرمان الوعي في الكلمات التالية: "المخ صامت مظلم أبكم، لا يشعر بأي شيء، المخ يمكن أن يلقي بنفسه من فوق جبل أو إلى الفضاء الخارجي. يمكن للمخ أن يتخيل ثمرة تفاح ويشعر بأنها حقيقية. في الواقع، يجد المخ صعوبة بالغة في التفريق بين قمرة تفاح خيالية وأخرى حقيقية. . . . المخ ليس هو العقل. . . العقل بالنسبة لجسم الإنسان هو بمثابة شبح داخل آلة، كما يصفه البعض". (104)

# لقاءات مع عدنان أوكطار

## كل العيون عمياء وكل الآذان صمّاء، إنها الروح التي تسمع وترى

عدنان أوكطار: ... يعتقد الناس انهم يرون من خلال عينيّ كل منهم، لكنها ليست العين التي ترى. فالعين تقوم بما تقوم به الكاميرا. العين لا ترى، إنما هو المركز البصري في المخ هو من يرى، هذا هو العين الحقيقية بالرغم من عدم وجود عين داخل المخ. لا بد من وجود عين هناك، لكن هذه العين تفهم الإشارات الكهربائية وتحولها إلى صورة، لكن لا توجد عين هناك داخل المخ. إنها العين الخفية التي نسميها بالروح. الأمر نفسه بالنسبة للصوت. تصل موجات الصوت إلى آذاننا تمر عبر عظام المطرقة والسندان والرّكاب في صورة اهتزازات. تتحول هذه الاهتزازات إلى طاقة كهربائية ثم تصل إلى المخ. توجد أذن في المخ وهي التي تفهم الإشارات الكهربائية وتحولها إلى صوت. هناك أذن خفية وهي الأذن الحقيقية. إن أُذُنيّ كلٍ منّا صمّاء، فالأذن هي مجرد أداة، أو آلية لنقل الصوت، لكنها لا تسمع. عندما ألمس الطاولة أجدها صلبة، هذا الإحساس يتكون في المخ لكنّي أعتقد أنه موجود في الطاولة نفسها. تنشأ هذه المعلومات داخل المخ عندما أشعر بها في أطراف أصابعي. الإحساس لا يحدث في أطراف الأصابع، إنما ينشأ في المخ. دعنا نتخيل أننا نتناول البطيخ، ونقول "كم هو لذيذ هذا البطيخ". لكن مصدر إدراكنا لهذا الطعم داخل مخّنا، ليس في أفواهنا. يتحدث الناس عن إحساسهم بطعم حلو أو مر او حامض في أفواههم، لكن مصدر إحساسهم بهذا الطعم ليس في أفواههم، إنما هو داخل مخِّهم. كذلك بالنسبة للشم، فنحن لا نشم رائحة أي شيء بأنوفنا رغم اعتقادنا ذلك، فالأنف التي تشم موجودة داخل مخّنا. تصل الغازات إلى الخلايا العصبية في الأنف، ويتم تحويلها إلى صورة طاقة كهربائية ثم تذهب إلى المخ. توجد أنف داخل المخ تشم الروائح، هذه الأنف تترجم الإشارات الكهربائية إلى رائحة. كل من الورد والقرنفل موجودين بالخارج، لكن هناك روح بداخلنا تشم رائحتيهما، وذلك عن طريق الإشارات الكهربائية. معظم الناس لا يدركون ذلك، ربما واحد من بين كل مليون شخص من يعلم ذلك.

من لقاء بتاريخ 30 ديسمبر 2009

## مصدر الوعي: الروح البشرية

حتى الآن، قُمنا بإثبات أن العالم الخارجي الذي ندركه هو عبارة عن عالم وهمي ينشأ في الوعي وأننا لا يمكن أن يكون لنا خبرة مباشرة بالعالم الخارجي. في ضوء هذه الاستنتاجات، فإن فكرة "المادة المطلقة" التي تشير إليها الفلسفة المادية غير صحيحة. إلا أنه لا يزال هناك سؤال يحتاج إلا إجابة. يلخص بيتر راسل السؤال فيقول:

"يسألون كيف لشبكة معقدة من الخلايا العصبية أن تكون سبباً في الوعي. كيف يمكن أن ينشأ شيء غير مادّي مثل الوعي من شيء لا واعٍ مثل العالم المادي؟ هل هو نتيجة نمط معقد من البيانات يتكون خلال شبكة الخلايا العصبية؟ هل هو ناتج الاتساق الكمّي عن الأنيبيبات الدقيقة الموجودة في الخلايا العصبية؟ أم أنه شيء آخر؟

عندما نُميّز بين الواقعين فإن السؤال يختفي، ويُستبدل بنقيضه: كيف تنشأ المادة والمكان والزمان واللون والصوت والشكل -وكل تلك الخصائص التي ندركها- في الوعي؟ كيف يظهر ذلك داخل العقل؟" (105)

هذا السؤال الهام يجب تفسيره. مِمّ يتكون الوعي؟ ما الذي يجعل هذا العالم ينشأ داخل الوعي؟ هذا السؤال لا يزال علماء القرن الحادي والعشرين يبحثون عن إجابته، ويؤلفون حوله كتباً ويعقدون مؤتمرات محاولين الوصول إلى حل، لكن العلماء لسببٍ ما قلِقين من العثور على إجابة هذا السؤال. مئات الكتب والمقالات والتحليلات لعدد كبير من العلماء فشلت في تقديم الإجابة المتوقعة للسؤال بشأن مصدر الوعي.

يعتبر الوعي واحداً من أكبر أسرار القرن الحادي والعشرين. معظم الباحثين والكُتّاب والأساتذة الجامعيين المعنيين بهذا الموضوع بدأوا بحثهم بالقول بأن هذا الموضوع غير مفسر حتى الآن، وانتهوا بالتأكيد على ذلك.

من الأمثلة على ذلك الكلمات التالية التي كتبها جيفري شوارتز حيث قال:

"بالرغم من أن الربط بين النشاط المادي للمخ والنشاط العقليّ يعتبر انتصار عِلميّ لا شك فيه، إلا أنه لم يُرضِ العديد من دارسي المخ، إذ أنه لم يعطي تفسيراً كافياً لأي من علماء الأعصاب أو الفلاسفة عن كيف يمكن أن يؤدي سلوك الخلايا العصبية إلى الشعور بحالة الوعي. هذا اللغز -أي كيفية تحوُّل أنماط نشاط الخلايا العصبية إلى وعي ذاتي- قد قال عنه عالم الأحياء العصبية روبرت دوتي عام 1998 أنه 'لا يزال الغموض الرئيسي بالنسبة للوجود الإنساني". (106)

لكن هل هذا الموضوع من المستحيل تفسيره بالفعل؟ أم أنه يشير إلا حقيقة لا يريد العلماء رؤيتها؟ هل العلماء الذين يدافعون عن فيزياء الكم منذ فترة طويلة تحت تأثُرِهم بالمادية يُعبّرون عن الحقيقة؟ أم أن هناك شيء ما يمنعهم من رؤيتها؟

الوعي بكل تأكيد ليس بالشيء الذي لا يمكن تفسيره. إن الكيان الذي يرى الصور ويسمع الأصوات داخل المخ، ويعي وجوده هو نفسه، هي الروح التي أنعم بها الله على الإنسان. أما العقول التي تؤمن بالمادية فلا تريد قبول هذه الحقيقة، ولا يريدون الإفصاح عنها. لذلك يزعم العلماء المادّيون أن مسألة الوعي "لم تُحسم بعد". إن الوجود المُطْلَق للروح وحقيقة أن الله هو يمنح الروح للبشر يُبطلان كل المزاعم والمعتقدات المادية تماماً. بغض النظر عن زعمهم المستمر بأن هذا الموضوع "لا يمكن تفسيره"، إلا أن الروح هي مصدر الوعي ومصدر هوية الإنسان.

وقد أخبرنا الله في القرآن الكريم أنه خلق جسم الإنسان أولاً ثم نفخ فيه الروح، حيث قال -تعالى-:

" وَإِذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنّي خالِقٌ بَشَرًا مِن صَلصالٍ مِن حَمَإٍ مَسنونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذا سَوَّيتُهُ وَنَفَختُ فيهِ مِن روحي فَقَعوا لَهُ ساجِدينَ ﴿٢٩﴾" (سورة الحجر، الآيات 28-29)

هذه هي الحقيقة الأكثر أهمية التي يجب أن يقبلها ويعترف بها العلماء الباحثين في هذا الموضوع. ويليام تيلر أستاذ علم وهندسة المواد بجامعة ستانفورد هو واحد من العلماء الذين اعترفوا بهذه الحقيقة، حيث يقول: "في النموذج الذي أعمل عليه، المراقب هو الروح، إنها مثل الشبح داخل الآلة". (107)

إنها الروح البشرية التي ترى دون الحاجة إلى عين، وتسمع دون الحاجة إلى أذن، ويمكنها أن تفكر بدون المخ.

# لقاءات مع عدنان أوكطار

## إنه الله خالق كل شيء

عدنان أوكطار: ينفخ بعض الناس في أبواقهم ويقول أحدهم "أنا فعلت ذلك". لكن الله يجعل الأشياء تظهر كصورة في حيز بحجم حبّة العدس داخل المخ. من يقول "أنا فعلت ذلك" يظهر داخل المخ كصورة في حيز بحجم حبة العدس. إن الله هو خالق كل شيء، والبشر ليس بإمكانهم فعل أي شيء. عندما يقول أحدهم "لقد فعلتُ ذلك" فهو يتحدث عن الظاهر، لكن في الواقع، فإن أي شيء يحدث هو بإرادة الله وقدرته. على سبيل المثال، عندما تقول لأحدهم "تعالَ هنا"، فإن الله هو من خلق قدرتك على الكلام، وهو من يحضره إليك. على سبيل المثال، عندما أضع هذا المشروب هنا، ثم أقوم بشربه بعد ذلك، فإن الله هو من خلق طعمه ومظهره ورائحته داخل مُخّك، وهو قادر على أن يجعله بلا طعم، أو بلا رائحة وبالتالي لم تشعر بأي من ذلك. كذلك الأمر بالنسبة لحاستي اللمس، والبصر، فمن دونهما لن نشعر بوجود الأشياء.

بما أن الله ينشئ حاسة اللمس داخل المخ في رأسي، فأنا أعتقد أن أصابع يديّ هي المسئولة عن اللمس، لكنها ليست كذلك، فالإحساس باللمس ينشأ داخل المخ. تنتقل بعض الإشارات من أطراف الأصابع عبر النهايات العصبية لتصل إلى المخ بعد طريق طويل جداً، فينشأ الإحساس باللمس داخل مركز الوعي.

أقول بأنني لمست شيء ما، لكن هذا غير صحيح، فالإحساس باللمس ينشأ داخل المخ لكنني أتخيل أنه في أطراف أصابعي. على سبيل المثال، نحن نجلس هنا، أليسَ كذلك؟ نحن متأكدون من ذلك، لكن كل الحواس تنشأ داخل مخّنا. يبدو الصوت وكأنه قادم من مسافة بعيدة، لكنه ينشأ داخل مخّنا، لأننا لو قطعنا الأعصاب التي تذهب إلى المخ فلن نسمع أي شيء، لكننا سنستعيد القدرة على السمع إذا استعدنا هذه الأعصاب. لكن الكثير من الناس لا يفكرون بهذه الطريقة. من وقت لآخر أتَحدَّثُ عن ذلك، وفي الوقت المناسب سوف أشرح ذلك بطريقة يمكن لأي شخص أن يفهمها.

من لقاء بتاريخ 3 نوفمبر 2010

www.a9.com.tr / en.harunyahya.tv

## الروح البشرية واختفاء المادية

"هناك طريقتان فقط لتعيش حياتك: إما أن تؤمن بأن لا شيء يُعدّ معجزة, أو تؤمن بأن كل شئ معجزة، وأنا أؤمن بالثانية". (108)
ألبرت أينشتاين

إن وجود الروح يلغي مبدأ الإلحاد، الذي كافح الماديون من أجله طويلاً. وجود الروح يلغي المادية ويؤكد على الوجود المُطْلَق لله. مع العلم بوجود الروح وهي كيان مستقل عن الجسم وبأنها ترى وتسمع وتفهم وتشعر بالسعادة عندما تشم رائحة الزهور أو تستمع إلى الموسيقى، فإن هذا يلزم جميع البشر أن يعيشوا في ضوء مسئوليتهم وواجبهم تجاه الله.

إن قبول فكرة وجود الروح سيهدم نظرية التطور، التي تقول بأن كل الكائنات الحية تتطور عن طريق الصدفة، وتتطور من بعضها البعض، وبأن الإنسان والشيمبانزي يشتركان في سلف مشترك.

إن القبول العلمي لوجود الروح سوف يقضي تماماً على النظام العالمي المادي، الذي فُرِض على مدار سنوات باستخدام أشكال مختلفة من الدعاية وغسل الدماغ.

العلماء الماديّون يعلمون أن ما يمنح البشر بشريتهم هي الروح. لكنهم يدّعون عدم معرفتهم، للأسباب التالية. يقول فريد آلن وولف عن هذه الحقيقة: "الآن لو اطّلعتَ على أحدث الكتب التي تتحدث عن التقاء بين العلم والله والروح، سوف تجد أن معظمهم إن لم يكن جميعهم يحاولون تفسير الروح باعتبارها عملية مادية ويفتقدون إلى النقاط الأساسية للروح (وهي قدسية الروح وخلودها) وغرضها الأساسي (وجود الوعي)، أو حتى لا يناقشونها على الإطلاق بالرغم من العناوين الجذابة التي تحملها تلك الكتب". (109)

كما يتبين من كلام العلماء، أصبح العلم مفهوماً مبنياً على المادية وحدها. فبدلًا من قبول الحقائق، أصبح العلم يأخذ شكلاً يتكيف مع المادّية. يرفض العلم فكرة أن خبرة الإنسان مبنية على وعية، ولا يزال يتجاهل تلك الحقيقة باسم العلم.

يصف فريد آلن وولف -بصفته عالماً- ما يجب أن يكون عليه المنهج العلمي فيقول:

"إن أكثر ما كان يثير قلقي كانت غطرستي . كم كنت متغطرساً عندما أرفض أفكار الآخرين وأقلل منها لأنها لم تكن تتفق مع رؤيتي العلمية. عندما سافرت حول العالم وقضيت وقتاً مع السكان الأصليون والقبائل، أدركت أن غطرستي لا داعي لها. كنت مثل الرجل الذي في قصة بلد العميان التي كتبها هربرت جورج ويلز، ظننت أنه في بلدٍ أهلها عميان علمياً فإن رجلاً أعوراً (أي نصف متعلم) سيكون الملك. في الواقع، كنت أنا الأعمى، كنت عاجزاً فكرياً. ما دُمت متمسكاً برؤيتي العلمية فقط، لم أستطِع أن أرى. ظننت أنني أرى كل شيء، لكنني لم أرى أي شيء. لذلك اضطررت للتخلي عن كثير من آرائي، لأرى ما يراه هؤلاء الناس. وعندما وصلت إلى هذه الرؤية الجديدة في النهاية، تغيرت وجهة نظري تماماً في العلم. بدأت أرى العلم كأداة –بدلاً من رؤية أنه كل شيء في الكون- لنبحث بعمق في ما يعنيه أن تكون إنساناً. لا أعتقد أننا وصلنا لهذه النقطة بعد. لا أظن أننا استيقظنا من غفوتنا حتى الآن، بل أظننا نائمين نعتمد على ذكائنا ليخرجنا من الحيرة التي دائماً ما نجد أنفسنا فيها. عندما نتمكن من استخدام قلبنا وروحنا، هنا سيبدأ العلم في التكيف مع نظام عالمي جديد". (110)

يؤكد وولف أن العلم هو مجرد وسيلة لفهم الخلق. إن أسمى الخلق هو مِلك لله وحده. الله هو رب كل شيء وهو الكيان المُطْلَق الوحيد. يمكن للإنسان أن يرى ما خلقه الله إذا استخدم عقله، ويمكن للعلم اكتشاف العظمة في الخلق. العلم ما هو إلا وسيلة للوصول إلى خلق الله ورؤية تفاصيلها.

يقول الكاتب كريج هاملتون محرر مجلة "What Is Enlightenment?" :

"لكن بمرور السنوات، اللاإدارية الفطرية التي كانت لديّ تحولت تدريجياً إلى بحث روحيّ ملتزم، وسرعان ما بدأت خبراتي المتعمقة في الواقع، أعمق بكثير مما ورد في كُتبي العلمية. أمام هذا العالم الذي له معنى وغرض، وهو غامض كذلك، بدت فكرة أن العلم يملك مفاتيح الحقيقة المطلقة فكرة غير واقعية يصعب تصديقها.

لكن عندما رأيت علماء الأحياء التطوريين يستخدمون العقائد الغير مثبتة للنظرية الداروينية الجديدة لإقناع أبنائنا بأنهم يعيشون في كون بلا هدف، فإن تعاطفي مع العلم يتلاشى مرة أخرى." (111)

يجب على العلماء المادّيين أن يدركوا هذه الحقيقة، لأن سؤال "من المسئول عن الإدراك؟" له أجابة واحدة، وهي إجابة غير ماديّة. إنها الروح التي أنعم الله به على الإنسان هي التي تدرك. ما دام الناس لا يستطيعون إدراك ذلك أو يتصرفون كما لو كانوا لا يدركونه، فإن أي شيء يقولونه عن الوعي ليس له أية أهمية. من الواضح أن يمنح البشر صفة البشرية هو أمر أبعد كثيراً عن أي مفهوم مادّي يروج له المادّيون. البحث عن تفسير مادّي يعني تجاهل الحقائق، وتضييع الوقت. الروح هي التي ترى الصور داخل المخ، وهي التي تشم وتتذوق، وتمنحنا حاسة اللمس، وتجعلنا نسمع عندما يتكلم شخص آخر. الحقيقة التي عرضناها بكل هذه البراهين التي لا حصر لها والتي تم إثباتها علميًا في الوقت الحاضر هي أن المخ لا يدرك. وكما قال الفيلسوف الفرنسي المشهور هنري برغسون: "العالم يتكون من صور، هذه الصور موجودة فقط في وعينا، والمُخ هو إحدى تلك الصور". (112)

بما أن الأمر كذلك، فإن الروح وحدها هي التي ترى وتفكر وتفرح وتشعر بالعاطفة وتتذوق الطعام. الصفة التي تجعل الإنسان إنساناً هي شيء مستقل عن الإنسان، هي الروح التي تنظر إلى منظر طبيعي فتستمتع، وترى طائر صغير فتشعر بالحنان، وتتناول طعاماً فتجده لذيذاً، وتستمع إلى الموسيقى الجميلة فتستمتع، ويمكنها اتخاذ القرارات الصعبة، ويمكنها التفكير واكتشاف الحقيقة، ويمكنها البحث عن هويتها والوصول إلى استنتاجات.

يصف الفيزيائي إرفين شرودنغر كيف لا يمكن للجسم المادي أن يكون هو السبب في العالم الإدراكي قائلاً:

" تذكر العيون المشرقة السعيدة التي بها ينظر بها طفلك إليك عندما تحضر له لعبة جديدة، ثم اسمح للفيزياء بأن تخبرك بأنه في الواقع هذه العيون ليست سبب الرؤية. في الواقع، وظيفة العين هي أن يسقط الضوء عليها فتستقبله. في الواقع! الواقع الغريب! هناك شيء ينقصها". (113)

هل من المنطقي أن نفترض أن القدرة على إصدار الأحكام واتخاذ القرارات، والشعور بمختلف المشاعر مثل الفرح والحماس وخيبة الأمل هي نتيجة لنشاط الخلايا العصبية داخل المخ؟ هل يمكن للذرات غير الواعية عندما تتجمع أن تعرف عن الشعور بالابتهاج والحزن؟ هل يمكن للذرات غير الواعية عندما تتجمع أن تنشئ علماء يبحثون في المخ ويفسرون النتائج التي يَصِلون إليها ويجدون صعوبة في فهم

الوعي ويسعون جاهدين ليصلوا إلى إجابة؟ هل الإشارات الكهربائية وحدها هي من تجعل الإنسان إنساناً وتجعله قادراً على إدراك العالم الخارجي؟

أيُّ الخلايا العصبية داخل المخ التي تقرر شيئاً ما، وتشعر بالدهشة عن رؤيتها لجمال غروب الشمس؟ إذا كان الوعي يقوم بكل هذه الأشياء، ففي أي الخلايا العصبية في المخ يقع الوعي؟ أين هو؟ أيُّ التفاعلات الكيميائية تؤدي إلى الوعي؟ أيُّ التفاعلات الكيميائية تجعل شخصاً ما يُفضّل طعام ما كالتفاح ولا يُفضّل طعام آخر كالسبانخ؟ إذا كان كل شيء في المخ، فأيُّ الخلايا العصبية تفكر؟ أيُّ واحدة تتخذ القرارت؟

على الماديّين أن يجيبوا عن كل هذه الأسئلة. إذا وصلوا لاستنتاج بأن "الوعي هو مصدر كل شيء" فعليهم إذاً أن يُحدّدوا في أي مكان في المخ يوجد الوعي. إذا كان كل شيء يتكون من مادّة فسوف يستطيعوا أن يجيبوا عن هذه الأسئلة، وإن لم يستطيعوا فهذا يعني أن ما يجعل الإنسان إنسانًا ليست مجموعة من الخلايا العصبية والذرات. الوعي غير موجود في منطقة سرية في المخ، ولا هو مختفٍ في أي مكان في الجسم. إنه شيء بعيد عن كل المفاهيم المادية. الإنسان كائن ميتافيزيقي، وروحه هي ما تجعله إنسان. هذه الروح هي ملك لله وحده.

كارل يونغ عالم النفس السويسري الشهير –وزميل سيجموند فرويد- قال عن هذا الموضوع:

"كل العلم هو وظيفة الروح، وهي تعتبر مصدر كل المعرفة. الروح هي أعظم معجزة كونية، وهي الشرط الأساسي لوجود العالم الخارجي. من المدهش أن العالم الغربي (بصرف النظر عن استثناءات نادرة جدًا) لا يعطي هذا الأمر حق قدره." (114)

بامتلاك الإنسان للروح فهو كيانٌ لديه قيم مثل الشرف والحب والاحترام والصداقة والإخلاص والأمانة والقدرة على التفكير. مثلما لا تستطيع الخلايا الموجودة في أطراف الأصابع أن تفكّر وتتخذ قرارات أو تشعر بالحزن أو الفرح، فإن الخلايا العصبية الموجودة في المخ -والتي له بنية مماثلة للخلايا الموجودة في أطراف الأصابع- ليست لديها صفات ميتافيزيقية. هذه الحقيقة يمكن لأي أحد أن يفهمها بوضوح دون الحاجة إلى دليل علمي.

في الواقع، الماديّون يعلمون ذلك أيضاً، لكن أهواءهم المادّية واعتقادهم الخاطئ بأن العلم يتكون من المادة فقط يدفعهم لتحريف الحقيقة. لكن ما يزعمونه باسم المادّية هو انهيار حقيقي للمنطق. لا يوجد فرق بين شخص يقول "أفكارنا هي نتاج للذرات" وشخص آخر يقول أنه يؤمن بأن أحلامه ستكون حقيقية أو شخص يصطنع قصصاً غير حقيقية ثم يصدقها. ومع ذلك، يستمر الماديّون على هذا الحال بدلاً من أن يعترفوا بوجود الله.

الحقيقة هي أن الإنسان هو كيانٌ يدرك بواسطة الروح التي منحه الله إياها، ويفكر ويتحدث ويفرح ويتخذ القرارات بواسطة هذه الروح، ويحكم الأمم والمجتمعات بها. الإنسان هو كيان له روح منحها له الله، وهذه الروح أبدية. أما الجسد فهو مُجرّد وسيلة في هذا العالم. عندما يموت الإنسان، سوف يترك جسده وراءه لكن روحه ستظل موجودة، وسوف يقيم إما في الجنة وإما في النار.
يقول الله –تعالى-:

" رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّـهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّـهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّـهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾"
(سورة غافر، الآيات 15-17)

## الكائن المُطْلَق الوحيد هو الله سبحانه وتعالى

على مر التاريخ، تبنّى الماديون الفكرة الخادعة بأن "المادة مطلقة" من أجل إنكار أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق ومالك كل شيء. هذا هو سبب أن معرفة جوهر المادة يعتبر هاماً للغاية، لأن هذه المعلومات تثبت بطلان هذا الخداع الذي استمر فيه الماديّون لسنوات عديدة. فهم أننا يمكننا أن تكون لنا خبرة مباشرة فقط مع نسخة من المادة وأن الإنسان ليس مجرد عظام ولحم، يمكننا من فهم حقيقة أننا نمتلك

وعياً وروحاً. إنه الله ربنا سبحانه وتعالى الذي يخلق الروح والوعي في الإنسان، الذي هو عبد لله وحده. إذاً فإن الله سبحانه وتعالى وحده له ملك السماوات والأرض.

هذه الحقيقة تثير الدهشة أمام سلطان الله سبحانه وتعالى والكمال في خلقه. لقد خلق الله الكون لا حدود له وفيه تفاصيل لا تعد ولا تحصى ولا يشوبها أي عيب، سواء مادياً في الخارج أو ما يدركه عقل كل إنسان. كل التفاصيل الموجودة في الكون ليس بها أي عيوب، وتأتي إلى حيز إدراك كل إنسان كأنها شبح داخل المخ. إن خلق الله مثالي للغاية ويبدو واقعياً ومقنعاً حتى في أدقّ التفاصيل على الرغم من أنه عبارة عن حلم.

لا يوجد أي عيب أو خلل في خلق الله تعالى، وإن الناس الذي يعجزون عن استخدام منطقهم وقدرتهم على التفكير بشكل صحيح ينخدعون بهذه الخلق المثالي ويعتقدون أنهم لديهم خبرة مباشرة مع المادة، وبلا شك فإن الصور التي يرونها هي وهمية.

الروح ترى كل هذه الأشياء. مليارات الناس يعيشون على الأرض يرون صوراً تظهر لهم باستمرار في كل لحظة، ويشعورن بالفرح، ويتأملون ويتخذون القرارات في ضوء هذه الصور. لكنهم قادرين على القيام بذلك بفضل نعمة الروح.

ينفخ الله من روحه في الإنسان، وهذا يبين لنا أنه هو الكيان المُطْلَق الوحيد، ورب كل نفس. يمكنك أن تجد عظمة الله وقدرته في كل شيء وفي كل مكان. كل الكيانات التي ندركها ونعتقد أنها مادية هي صور خلقها الله، والكيانات التي نفخ فيها الله من روحه ترى هذه الصور.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

" اللَّـهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾"
(سورة البقرة، الآية 255)

لكي يفهم الناس طبيعة خلق الله وحقيقة العالم الذي يدركونه، عليهم أن يُصلّوا لله لأنه هو الذي خلق كل شيء، وهو من يستطيع أن يُلهم الناس فهم ذلك وقتما يشاء.

بيتر راسل هو أحد العلماء الذين أدركوا هذه الحقيقة، حيث يقول:

"أعتقد أن الواقع الذي أعرفه هو الواقع الوحيد. إلا أنني أجد أحياناً أنه من الممكن أن تكون هناك طريقة أخرى لرؤية الأمور لكنّي لا أعلم ما هي. لا أستطيع تغيير تلك الطريقة بنفسي، أحتاج إلى مساعدة. لكن أين أذهب لطلب المساعدة؟ من المرجح أن أشخاصاً آخرين يفكرون في ذلك أيضاً. عليَّ أن ألجأ إلى من أجل المساعدة، عليَّ أن أسأل الله أن يساعدني، عليّ أن أُصلّي". (115)

الإنسان الذي يدرك حقيقة المادة، سيعلم بكل تأكيد أنه لا كيان سوى الله له أي سلطان على الإطلاق. هذا الفهم يجعل صاحبه يؤمن بأنه لا إله إلا الله، وبالتالي سيلجأ إلى الله وحده. العلم بوجود الروح يبطل أيضاً كل المزاعم المادّية التي تحول بين الناس وبين عبادة الله. هذا الإنسان سيجد أنه لا كيان غير الله يستحق العبادة، وبالتالي لن يؤمن بأي من الأفكار المادية فيما يخص الحياة في هذا العالم.

هذا الفهم بدوره يضع حداً للسعي وراء هذا العالم، أو التطلع لتحقيق مكاسب مادّية أو تحقيق الفخر أو أية مصلحة شخصية. الشخص الذي يفهم ذلك سيجد أن الجشع وتعظيم الذات والسعي وراء أشياء مادّية ليس لهم معنى بما أننا نعيش في عالم كل شيء فيه هو وهم. من يفهم ذلك سيجعل هدفه الوحيد أن يعمل لينال رضا الله وجنته التي يأمل أي منّا أن يعيش حياته الأبدية فيها. يمكنك أن تستشعر عظمة الله في أي مكان وفي أي شيء. كل التفاصيل في عالمنا هذا كبيرة كانت أو صغيرة هي دليل على حِكمة الله وعظمته وإبداعه في خلقه. أما من انخدعوا بالفلسفة المادّية واعتقدوا بأن المادة هي الكيان المُطْلَق الوحيد يبحثون عن كيان آخر، كيان ماديّ لينسبوا له هذا الكمال في الخلق.

وهذا نتيجة لعجزهم عن إدراك أنهم يعيشون في وهم.

عندما نعلم أن المادة هي وهم، نتأكد من وجود الروح. الله سبحانه وتعالى هو الكيان المُطْلَق الوحيد، الذي وسع بقدرته كل شيء، وتنزّه عن المكان والزمان. يشير الله إلى ذلك في الآية فيقول:

" لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ . . . ." (سورة الأنعام، الآية 103)

يطلع الله علينا وعلى حياتنا، وعلى بصرنا وعلى تفكيرنا. لا يمكننا أن نفعل أي شيء ولا حتى أن نتنفس دون علمه. الله الكيان المُطْلق الوحيد، يعلم كل شيء عن هذا العالم الذي خلقه وعن البشر الذين نفخ فيهم من روحه.

هذا أمر في غاية السهولة بالنسبة لله. بينما نعيش نحن حيواتنا وندرك العالم الخارجي من خلال تصوراتنا، فإن الأقرب إلينا هو الله سبحانه.

يقول الله في القران الكريم:

" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾" (سورة ق، الآية 16)

من يعتقد بأنه لديه خبرة مباشرة بالعالم المادّي ويعتقد أن جسده يتكون من المادّة فقط، يقع في خطأ جسيم ويعجز عن إدراك هذه الحقيقة. يعتقد هذا الشخص بأن الله في السماء أو في مكان بعيد عنّا (وهذا غير صحيح) ويعجز عن إدراك أن الله أقرب إليه من جسده. لكن بمجرد أن يدرك الإنسان أنه لا يمكن أن يكون له اتصال مباشر مع العالم الخارجي، وأن يختبر كل شيء في عقله فقط –بما في ذلك العالم الخارجي، والشمس والنجوم التي يعتقد أنهم بعيدون جداً عنه- سيعلم أن الله قريب منه. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ . . ." (سورة البقرة، الآية 186)

لابد أن يعيش الناس في ضوء هذه المعرفة. الإنسان الذي يجهل ذلك سيعتقد أن هذا الدنيا الفانية التي أوجدنا الله فيها ليختبرنا، سيعتقد أنها هي الحياة الحقيقة، وأن سعيه سيكون نحو هذه الدنيا. الاعتقاد اعتقاداً راسخاً بأن الإنسان يمكنه أن يختبر المادة بشكل مباشر قد يكون سبباً في صرف الإنسان عن الإيمان بالله وصرفه عن حقيقة أنه سيلقى الله في الآخرة. الاعتقاد بأن هذا العالم مطلق، والسعي وراء نعيم زائف يجعل صاحبه يعاني خيبة أمل كبيرة في الآخرة.

" أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾" (سورة فصلت، الآية 54)

## كيف يعيش من يعلم بأنه يحمل روح الله؟

إن العالم الخارجي الذي يتم إنشاؤه لنا فقط هو عالم وهمي. هذا العالم نراه من خلال الروح، والتي هي مِلك لله عز وجل. من يعلم ذلك جيدًا سيجد أن كل المخلوقات مِلك لله، وسوف يتدبر ليفهم حكمة الله في خلقه. من يعلم ذلك سيدرك أن الحياة في هذه الدنيا هي اختبار وأن الحياة الحقيقية الأبدية سوف تكون في الآخرة. عندما يعلم الإنسان أن هذا الدنيا عابرة، فلن يسعى وراءها إذ أنها عبارة عن وهم وليس لها واقع مادّي. من يعلم ذلك سوف يخلص وجهه لله سبحانه وتعالى، ذو القوة، ورب كل شيء، والذي يعلم كل شيء في كل مكان. من يعلم ذلك سيجد أن السعي وراء وهم هو أمر غير منطقي، وبدلاً من ذلك سيسعى لينال الرضا والقبول من الله رب كلّ شيء. سيجد أن الحب والقبول من الله ورحمته وجنته يستحقون أية تضحية من أجلهما في هذا العالم الوهمي. بمجرد أن يعي الإنسان هذه الحقيقة، سيسعى جاهدًا للفوز بالجنة، حيث النعيم الدائم، بدلاً من السعي وراء أهداف دنيوية لا قيمة لها.

لو علم الإنسان هذه الحقائق سيعيش حياته كلها متحلياً بالقيم الأخلاقية السليمة وسيتعامل مع غيره بحسن خُلُق، وسيرجو أن ينال أعلى درجات الجنة لذلك سيفعل كل ما في وسعه حتى لا يندم في الآخرة. كلما علِم الإنسان قدْرَ الله وعظمته، سيعلم أن الله قد جعل كل أنواع النعيم في الجنة لذلك سيسعى من أجلها، وأن العذاب في النار لذلك سيسعى ليتجنّبها.

الإنسان الذي يدرك أن هذا العالم بأكمله يتكون من كيانات وهمية، وأن الوجود المُطْلَق لله سبحانه وتعالى وحده، سيجد أن التمتّع بهذا العالم ليس له معنى. ستتغير نظرته لكل شيء في الدنيا، لأنه يعلم أن كل ما فيها وهمي زائل، بما في ذلك كل ما يخيفه أو يحزنه في هذه الدنيا.

مثلما نستيقظ من نومنا فنجد كل المشاكل والصعوبات التي رأيناها في منامنا ليس لها معنى، فإن كل ما يحدث في هذه الدنيا لن يكون له معنى. إن الحياة في هذه الدنيا هي اختبار لنا، ودورنا أن نتحلى بالفضائل الأخلاقية وحسن الخلق لننال رضا الله. في الآخرة، كل الصور الوهمية التي أنشئت لنا في هذه الدنيا ستفقد معناها وأهميتها، ولن يبقى إلى العمل الصالح الذي عمله الإنسان ابتغاء وجه الله. سواء أدرك الإنسان ذلك الآن أم لا، فإنه في الآخرة سوف يعلم أن كل ما كان في هذه الدنيا هو محض وهم، وأن الواقع موجود في الآخرة التي أنشأها الله سبحانه وتعالى الكيان المُطْلَق الوحيد.

الآية التالية تشير إلى ذلك حيث يقول الله –تعالى-:

" وَمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾" (سورة العنكبوت، الآية 64)

عندما يشاهد شخص ما شاشة التلفاز فإنه يكون على عِلم بأن كل الشخصيات الموجودة في التلفاز هي وهمية، وبالتالي من غير المنطقي أن يشعر بالغضب مما يفعلونه أو بالحزن عمّا يحدث لهم. وبنفس الطريقة، لا يجب أن يقع الإنسان في مِثل هذا الخطأ فيما يخص الحياة في هذه الدنيا، لأن ما تراه في هذه الدنيا وهمي مثل ما تراه على شاشة التلفاز. بنفس الطريقة، عندما يستيقظ شخص ما من الحلم قد يكون حزيناً أو غاضباً بسبب ما رآه أو ما حدث له في الحلم، لكنه عندما يستيقظ يدرك أن كل ذلك كان وهماً، والأمر نفسه ينطبق على الحياة في هذه الدنيا. عاجلاً أم آجلاً، سواء في هذه الدنيا أو في الآخرة سيدرك الإنسان أنه لم يكن له خبرة مباشرة بالعالم الخارجي من قبل وأن كل مخاوفه ليس لها معنى.

هذه الصور أنشأها الله لنا كاختبار، وما يجب فعله أن ندرك أنها مجرد وهم وأن نعمل ما يرضي الله –تعالى- وأن نعيش حياتنا بأكملها من أجل رضاه. يخبرنا الله في القرآن الكريم أن هذه الحياة ما هي إلى متاع، وأنها مجرد اختبار، فيقول –سبحانه-:

" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّـهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾" (سورة آل عمران، الآية 14)

"اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّـهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾" (سورة الحديد، الآية 20)

يصف الله –تعالى- من يعتقدون الحياة في الدنيا حقيقية فيقول:

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّـهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّـهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾" (سورة النور، الآية 39)

عندما يفهم الناس أن الأشياء التي يتخيلون أنهم يمتلكونها في هذا العالم هي أشياء وهمية، سيعلمون أنهم سعوا وحزنوا من أجل شيء ليس له معنى، وأنهم ضيعوا وقتهم وجهدهم للسعي وراء أهداف مادية ليس لها وجود. سيعلمو أن الناس الذين اعتقدوا أنهم مُهمّين هم أيضاً كيانات وهمية وأن فخرهم وكبرياءهم ليس له معنى. سيعلمون أن كل شيء يجب أن ينحني ويخضع لله خالقه، وهكذا نعيش حياة أكثر سعادة وسلام. لن يضطر الناس لأن يُثْبِتوا أنفسهم للآخرين، ولا أن يقلقهم انطباع الناس عنهم، ولن يهتموا بأي مشاعر سلبية مثل الكره والغضب والحسد. عندما يعلم الناس أن كل شيء هو وهم، فلن يتنافسوا مع كيانات وهمية ويحملوا الكراهية والعداء تجاههم. عندما يُسلِم الجميع أنفسهم إلى الله، سيسود التواضع والمودة والمحبة والصدق.

سواء عرف الإنسان هذه الحقيقة في الدنيا أم لم يعرفه فإنه سوف يرى الأمور بكل وضوح بعد ما يموت ويُبعث في الآخرة. يقول الله في الآية: "فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ" (سورة ق، الآية 22). سيكون الناس أكثر وعيًا بكل الأمور. لو قضى الإنسان حياته في هذه الدنيا سعيًا وراء أهداف وهمية، سيتمنى لو أنه لم يَعِش فيها.

يخبرنا الله في القرآن الكريم عن ندم هؤلاء الناس. قال –تعالى-:

" وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ ....."، " يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾"
(سورة الحاقة، الآيات 27- 29)

أما من يدركوا في هذه الدنيا أن الله هو الكيان المُطْلَق الوحيد فسيتجنبوا هذا الندم في الآخرة، وسوف يعيشون حياتهم في هذه الدنيا بالطريقة التي أمر بها الله ابتغاء مَرْضاتِه. سيجدون أن الاهتمام بهذه الدنيا والسعي وراءها هو أمر لا معنى له، وأن طريق الراحة والسعادة هو العيش من أجل الله –عزّ وجلّ- دون الانخداع بالملذّات الدُنيوية الزائلة. كل تلك الرغبات الزائفة التي يسعى وراءها الكثيرون سوف تختفي تماماً. سيدرك الناس أن الله الواحد هو رب كل شيء وأنه عليم بكل شيء. سيجد الناس الراحة والطمأنينة في الخضوع لله –سبحانه وتعالى-.

يخبرنا الله في الآية التالية الفرق بين من يتخذون آلهة باطلة في الدنيا، ومن لا يعبد إلا الله وحده، يقول الله –تعالى-:
" ضَرَبَ اللَّـهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّـهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾"
(سورة الزمر، الآية 29)

من أكثر الأشياء أهمية بالنسبة للشخص المؤمن بالله أن يعرف الحقائق الصحيحة عن المادة وأن يفكر فيها بعمق، فالشخص الذي يعلم أن الله وسع كل شيء علماً، سيكون مخلصاً لله وحده دائماً، سيعلم أنه قد يموت في أية لحظة وأن هذه الدنيا ستفنى، وأنه سيجد الحياة الحقيقية في الآخرة. معرفة ذلك والعمل وفقاً له هي نعمة عظيمة تجعل صاحبها يعيش في سعادة حقيقية، بمشيئة الله.

## الطبيعة الحقيقية للمادة وزوال المادّية

عندما يعلم الإنسان الماديّ بأنه من المستحيل أن تكون لنا خبرة مباشرة مع العالم المادي، فإنه يُصاب بخيبة أمل كبيرة. مما يثير قلق وجهة النظر المادية المشوهة معرفة أن الله خلقنا ومنحنا روحاً، وأن العالم المادّي يتكون من صور تراها هذه الروح، لأنه الديانة المادّية الخاطئة يعبد الماديّون المادة (تنزّه الله عن ذلك) ويؤمنون بأننا نعيش بلا غاية محددة، ويؤمنون بالصدفة ولا يؤمنون بالروح. يُنكِر الماديّون حقيقة أن الكون له بداية ونهاية، ليعارضوا فكرة أنهم خُلِقوا. يدّعي هؤلاء الماديّون أن الكون أبديٌّ خالدٌ، وهذا خاطئ بكل تأكيد. يزعم الماديّون زعماً ضالاً بأن العمليات غير الواعية تبين لنا أصل سلوك البشر والطيور والديدان، ويدّعون أن كل ذلك هو نتاج العالم المادّي. وفقاً لهذا المنظور المشوّه، فإنه لا يوجد كيان داخل الإنسان يمكن أن يدرك ويفكر ويتخذ القرارات، وأن كل شيء ناتج عن المادة التي تكوّن الإنسان، أي الخلايا والعضيات الخلوية والذرات غير الواعية.

بإيجاز، ليس هناك مجال لأي شيء غير مادّي في عالم الماديّين الزائف، والسبب الرئيسي وراء هذا المنطق المادّي هو معارضة الإيمان بالله وبالآخرة. أهم الأدلة المزعومة التي يطرحها الماديّون لدحض الإيمان بوجود الله، هو وجود المادة. بالرغم من ذلك، فإن كل ما تم ذكره في هذا الكتاب يؤكد على الحقيقة المُثبتة علمياً أن المادة الموجودة خارجنا لا نرى إلا نسخة منها. كل هذا يُبطِل الأدلة التي يقدّمها الماديّون، ويقضي على المادّية نفسها.

هذا هو السبب في أن حقيقة المادّة تُسبّب إزعاجاً للماديّين.

في السابق، كانت طبيعة المادة مفهوماً يعرفه ويعبّر عنه عدد قليل من المُفكّرين والعلماء، لكنها الآن أصبحت حقيقة دامغة. بوجود الدليل العلمي، لا يمكن للمادديين أن ينكروا هذه الحقيقة. في ضوء الحقائق التي كشفت عنها فيزياء الكم، أُثبِت أن المادة –والتي هي الأساس الذي تقوم عليه المادّية- وهمٌ في عالم الإدراك الحسي الذي خلقه الله للإنسان. ما كان يُعتقَد سابقًا أنه أساس وجودنا، فجأة أصبح مفهوماً مجرداً. أهم أدلة الماديون، والذي اعتقد الماديون بأنهم سيواجهوا به فكرة الايمان بالخلق ، تبخّر في ضوء هذه الاكتشافات العلمية.

لم تكن الذرات والجزيئات وحدها كيانات وهمية، بل إن المنازل والسيارات والسفن العملاقة والسماء والجبال والكواكب والفضاء وحتى جسم الإنسان جميعها كيانات وهمية.

ما يزعمه الماديين بشأن المادة التي يعتبرها الماديّون بمثابة إله بالنسبة لهم (تعالى الله وتنزّه عن ذلك)، قد جاءت نهايته.

وبالتالي، تُركت المادّية بدون دليل يدعمها. إن وجود المادة الذي اعتبره الماديون حجة قوية ليواجهوا الدين بها، أصبح الآن أمراً لا يمكن تفسيره.

هذا هو الفخ الذي وقع فيه الكافرون. لقد بيّنت الحقائق لهؤلاء الذين اعتقدوا أنهم يمكنهم أن يقفوا أمام الله أن كل ما اعتمدوا عليه من دون الله هو محض وهم. مزاعم المادية التي اعتقد الماديّون أنها غاية في القوة، الآن يتم تكذيبها بشكل علني، وذلك بفضل الله وقدرته. لا شك أن كل مزاعمهم الباطلة قد أثبت خطأها الآن. "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّـهُ وَاللَّـهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾" (سورة آل عمران، 54)

عاجلاً أم آجلاً، سينتقل الماديّون –الذين بطلت حُجتهم أمام الله سبحانه وتعالى- للحياة في الآخرة التي كانوا ينكرون وجودها، وسوف يحاسبون أمام الله. في الآخرة، كل من آمن بما هو مرئي ومادّي في الدنيا سيعلم أنه استيقظ من حلمه، وأنه قضى حياته كلها في هذا الحلم. إن الندم الذي سيشعرون به في الآخرة لا مفر منه.

يقول الله في القرآن الكريم:

" قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّـهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾" (سورة الشعراء، الآيات 96- 103)

ما دام الإنسان في هذه الدنيا، فإن أمامه الفرصة ليرى الحقيقة ويؤمن بالله. إيمان شخص ما بالمادية طوال ما مضى من حياته لا يعني أنه بالضرورة سيستمر في هذا الخطأ حتى موته. الفلسفة المادية الخاطئة بالية، وقضاء الإنسان حياته مؤمناً بها ليس تصرفاً عقلانياً. الشيء المهم هو عدم الاستمرار في ذلك بعد رؤية الحقيقة، والتي على أية حال سيراها الجميع بعد موتهم.

# لقاءات مع عدنان أوكطار

## من يفهم الطبيعة الحقيقة للمادة، سيفهم سر الجَنّة

عدنان أوكطار: في الجنة يتغير النظام بأكمله. يُغيّر الله قوانين الفيزياء والكيمياء تماماً. يقول الله في القرآن الكريم "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ". هذا ليس هو النظام الذي اعتدنا عليه. مثلما نأكل في أحلامنا أي قدر من الأكل ولا نشبع، هكذا ستكون الحياة في الجنة. بالحديث عن طبيعة المادة في الدنيا، فإن المادة ليست موجودة بالخارج، لكنها موجودة كصور نراها. المادة في الخارج شفافة مثل الزجاج، وتوجد على هيئة طاقة مُركّزة. لا توجد ألوان بالخارج. نحن نرى الأشياء ملونة من خلال وعينا. أما في الجنة، عندما نتخيل شيء ما سيظهر أمامنا. على سبيل المثال، عندما تتخيل برتقالة في الجنة، يمكنك أن ترى صورتها في عقلك، وستأتي أمامك مثلما تخيلتها. يمكنك أن تتخيل مدينة، وسينشئ عقلك صورة لها بما فيها من طُرُقٍ ومبانٍ، وستكون موجودة في لحظة. يمكنك أن تتخيل شارع في باريس ويمكنك رؤيته مباشرة بكل ما فيه من تفاصيل. هكذا الحياة في الجنة. وقد جعل لنا الله نظاماً مختلفاً في الدنيا، لنتمكن من فهم نظام الجنّة. عندما ترى طائر في الجنة، وتتخيل أنه مشويُّ أمامك، سيظهر أمامك على الفور. عندما تتخيل الطائر سليماً مجدداً، ستتجمع القطع مع بعضها مرة أخرى ثم يطير. المادة وكل شيء يتنقل هناك. هذه هي الحالة الطبيعية للمادة، هكذا يجب أن تكون، أما الطبيعة التي هي عليها في الدنيا فهي استثناء.

إن الطريقة التي يتكون بها الغبار والتراب في الدنيا هي معجزة. المادة لا تتقدم في السِن ولا تموت ولا تمرض. أن تصاب المادة بالمرض هي معجزة. أمن المنطقي أن يحلم شخص ما بأنه يُصاب بمرض فيصبح مريضاً دون وجود فيروس أو أي شيء؟ أو حتى أن يحلم شخص بأن سيارة صدمته فيجد رأسه مصاباً ويُنقَل للمستشفى؟ سيخلق الله نظاماً مثل ذلك في الجنة. بطبيعة الحال، توجد المادة دائماً بالخارج، لكنها توجد ككيان وهمي، يتكون من طاقة مُركّزة. لا يمكننا رؤية أصل المادة أبداً، لكن الله يراه. نحن لا نرى إلا ما يسمح لنا الله برؤيته. يقول دوكينز "دخلت المُختبَر وأجريت أبحاثًا"، لكنه لا يستطيع أن يدخل أي مُختبَر غير ما يجعله الله يراه في رأسه. لقد خلق الله المُختبَر أيضاً بالخارج من طاقة مُركّزة. لكن دوكينز لا يمكنه رؤية المُختبَر الأصلي أبداً، كل ما يراه هي الصورة التي يريه الله إياها. لقد خلق الله هذه الكيانات بالخارج، لكنها بالنسبة لنا غير موجودة بالخارج.

من لقاء بتاريخ 15 يناير 2010

www.a9.com.tr / en.harunyahya.tv

## وجود الروح هو المعضلة الأكبر أمام مؤيدي التطور

عدنان أوكطار: بعض الناس لا يدركون تركيب جزيء البروتين. لتكوين بروتين فإنك بحاجة إلى بروتين آخر. أتعلم ماذا يعني ذلك؟ هذا أمر مستحيل. كل العلماء والداروينيون يعرفون أن جزيء البروتين معقد التركيب للغاية. جزيء البروتين دقيق للغاية، ويمكن أن يتلف إذا تعرض لمادة كيميائية لذا يجب أن يبقى داخل الخلية ليبقى محفوظاً، وليتم إنتاجه من بروتينات أخرى في الخلية. لكن تجد بعض الناس يقولون بأن البروتين أتى عن طريق الصدفة. يقولون بأن جزيء البروتين جاء إلى حيز الوجود عن طريق الصدفة، وأن الرياح تناقلت هذا الجزيء وتكونت جزيئات أخرى في مناطق مختلفة من الأرض، ثم تجمعت مئات الآلاف من البروتينات منها من جاء من تحت الأرض أو من الهواء (لكن جميعهم عن طريق الصدفة) وفجأة أنتجت هذه الجزيئات خلية. بالتأكيد من المستحيل أن يتكون البروتين عن طريق الصدفة.

كل ذلك مستحيل علمياً، لا يوجد أي احتمال لحدوثه. يقولون أن هذه الجزيئات كونت خلايا والتي تجمعت وكونت الأشجار والبشر والمدن وكل ذلك، ثم قرَّرَت المادة أن ترى وتسمع فأنشأت عينان وأذنان لكنهم كانوا بلا فائدة لذلك قرَّرَت إنشاء الروح. يقولون: "في البداية لم تكن هناك روح، لم يكن هناك شيء غير المادة".

لكن ما فائدة العين في الجسم إن لم تكن هناك روح؟ لن تتمكن العين من الرؤية، ستصبح بلا فائدة. يقولون أن المادة كوّنت أُذُناً أيضاً، لكن ما فائدتها إن لم تكن تسمع؟ وكذلك اللسان، ما فائدته إن لم يكن يتذوق؟ وما فائدة اللمس إن لم يحس به الشخص؟ لماذا قد توجد أي من تلك الحواس إن لم تُدرَك؟ حاول أن تفهم الطبيعة الحقيقية للمادة، وانظر إلى تلك الصورة الملونة ثلاثية الأبعاد داخل المخ، من الذي يُريك هذه الصورة؟ ومن الذي يراها؟ فكّر في ذلك، ووسّع آفاقك. انظر للأمور بعقلانية وبصدق، وستعلم بوجود الله.

من لقاء بتاريخ 12 مارس 2012

www.a9.com.tr en.harunyahya.tv

# معضلة داروين: الروح

## الروح البشرية وهزيمة نظرية التطور

زعم عالما الأحياء في العصر الفكتوري لإنجلترا تشارلز داروين وألفريد راسل والاس أن كل الكائنات الحية تنحدر من بعضها البعض نتيجة عمليات تعتمد على الصدفة والاحتمالات، وأن الكائنات الحية استمرت في التطور من خلال هذه التغييرات حتى ظهر البشر أخيرًا. اشترك داروين ووالاس في إعداد أول دراسة عن التطور من خلال الانتخاب (الانتقاء) الطبيعي. وبدلاً من تنافسهما فيما يخص نظرية التطور، اعترف كل منهما بمساهمة الآخر في هذه النظرية الخيالية. وقد دعم والاس نظرية داروين للانتخاب الطبيعي في كتاب سمّاه "الداروينية – *Darwinism*".

عندما سمع داروين عن أمر الكتاب قال: "لا يجب تُسمّيها الداروينية، يمكننا تسميتها الوالاسية (نسبة إلى والاس)" (116)

على الرغم من ذلك، اتخذ العالمان بعد فترة قصيرة مسارات مختلفة فيما يخص نظريتهم الوهمية.

تزعم نظرية التطور أن الكائنات الحية تنحدر من بعضها البعض، مع اختلاف الخصائص التشريحية والجسدية لكل منها، وذلك عن طريق الانتخاب الطبيعي، وهي عملية تعتمد على الصدفة والاحتمال، وهي عملية غير واعية بكل تأكيد. وفقاً لهذا الزعم، فإن الحياة التي

بدأت بالبكتيريا أدت إلى نشأة تنوعًا من الكائنات الحية يزداد عدده عن مليون نوع في يومنا هذا. (لمعلومات مُفصَّلةٍ، يمكنك الاطلاع على كتاب "*The Evolution Deceit* " لهارون يحيى).

اعتقد داروين أن مبدأ الانتخاب الطبيعي لم يكن فقط سبباً لظهور السمات الشكلية مثل أصابع القدمين أو الأنف، لكنها حددت تركيب الدماغ أيضاً، وبالتالي تحديد القدرات العقلية. من وجهة نظر داروين، كان الانتخاب الطبيعي هو القوة التي طورت قدرة الإنسان في الموسيقى والفن والأدب، والتي كان لها الأثر في قدرة الإنسان على التفكير واتخاذ القرارات العقلانية. إلا أن والاس لم يشارك داروين الرأي في ذلك، حيث اعتقد أن المبادئ التي تعتمد عليها وجهة نظر داروين يمكن أن تكون سببًا في نشأة أصابع اليدين أو القدمين أو خصائص أبسط من ذلك، لكن من المستحيل أن تكون قدرات الإنسان الفائقة مثل الرياضيات والموسيقى أن تكون ناتجة عن الصدفة العمياء.

السبب الرئيسي في معارضة والاس لفكرة أن الصدفة العمياء قد تكون هي مصدر لقدرات موتسارت هو ما يُمكن وصفه ب"الذكاء الكامن". ذكر والاس أننا إذا أخذنا فتى من مجتمع بدائيّ غيرَ قادرٍ على القراءة أو الكتابة، وقمنا بتعليمه في مدرسة حكومية متطورة في ريو أو نيويورك أو طوكيو، فبالتأكيد لن يكون هناك فرق بين هذا الفتى والأطفال الآخرين الذين نشأوا في هذه المُدُن. يوضح البروفيسور فيلايانور راماشاندران فيقول: "وفقاً لِوَالاس، فإن المجتمعات البدائية أو الكرومانيون (إنسان العصر الحجري) لديهم ذكاء كامن يمكن أن يتجاوز ما يحتاجه للتعامل مع الطبيعة. هذا النوع من الذكاء هو نقيض الذكاء الناشط والذي يتحقق من خلال التعليم الرسمي. لكن ما سبب تطور هذا الذكاء الكامن؟ هذا الذكاء لم يكن ليتطور من تعلم اللاتينية، أو من دراسة علم التفاضل والتكامل بالرغم من أن معظم من يبذلون جهدًا كافيًا في تعلمه يمكنهم إتقانه. إذاً ما هو السبب وراء ظهور هذا الذكار الكامن؟" (117)

اعتقد والاس أن الكائنات الحية تطورت وانحدرت من بعضها البعض عن طريق عمليات اللاوعي، لكنه أراد أن يكتشف كيف لهذه النظرية الخيالية أن تتناول تطور الذكاء البشري، وبما أن ذلك لم يحدث أبداً، لم يستطع والاس التوصل إلى أي منطق يدعم هذا الافتراض. يقول والاس:

"عندما يتحدث الكُتّاب المعاصرون عن الإنسان في العصور القديمة، فإنهم قليلاً ما يفكرون في إمكانية وجود إنسان مساوياً لنا في القدرات العقلية في عصور ما قبل التاريخ." (118)

يوضح راماشاندران ذلك فيقول:

"كلٌ من النياندرتال (الإنسان البدائي) والكرومانيون كان لديه قدرات دماغية أكبر مِنّا، ومن المحتمل أنهما كان لديهما ذكاء كامن مثل الذي يمتلكه الانسان العاقل أو ربما أكثر". (119)

في الواقع، حتى داروين نفسه اعترف صراحة أن نظريته لا تستطيع تفسير تطور الذكاء الإنساني، وذكر أن نظريته قد تُعتبر غير صحيحة لهذا السبب تحديداً، حيث قال:

"مع الاختلاف الشديد في القدرة العقلية بين الإنسان وجميع الحيوانات الأخرى، لابُدّ من وجود خطأ في هذا الاستنتاج [أن الإنسان ينحدر من حيوانات أقل منه". (120)

مع كون الأمر كذلك، فما هو تفسير هذا التطور الكبير الذي لم تستطع نظرية التطور تفسيره؟ كانت إجابة والاس أنه من صنع الله.

كانت هذه النقطة موضع الاختلاف بين والاس وداروين الذي أصرّ أن الانتخاب الطبيعي هو القوة المسببة للتطور وأنه حتى القدرات العقلية الأكثر غموضاً في نشأتها تطورت لكنها لم تُنشأ بواسطة كيانٍ سامٍ. وجد داروين أن آراء والاس تُعتبَر تهديداً خطيراً لنظريته، وفي خطاب كتبه لوالاس عام 1869 قال داروين عن الانتخاب الطبيعي: "آمُل ألا تكون قد هدمت نظرياتنا تماماً". (122) الاستنتاج الذي وصل إليه والاس تعارَضَ مع نظرية التطور والتي طُرِحت من أجل إنكار وجود الله، والتي استمدت قوتها من المادّية. لهذا السبب تم تجاهل أفكار والاس، حيث أرادت الأوساط المادّية تقديم فكرة أن كل شيء أتي إلى حيّز الوجود عن طريق عمليات اللاوعي، وقد ساعد داروين في ذلك بشكل كبير.

## افتقاد التطور للأدلة، وانهيار النظرية بيولوجيًا

منذ القرن التاسع عشر، تركّزَت جهود المادّيين في الترويج لداروين والداروينية. في القرن التاسع عشر، والذي كان بالتأكيد أقل تقدماً علمياً بكثيرٍ مقارنة بما نحن عليه اليوم، كان من السهل ادّعاء أن الانتخاب الطبيعي كان سبباً في تطور جميع الكائنات الحية. وقتها لم تتم

دراسة عميقة للطبقات الأرضية التي تحمل حفريات، ولم تكن مبادئ علم الوراثة قد اكتُشِفت بعد. لم يكن من الصعب بالنسبة لداروين ومؤيديه أن يُشنتوا تفكير الناس بتصورات خيالية إذ أن الإنسان في هذه الفترة كان في جهل نسبي مقارنة بالوقت الحالي.

بالرغم من ذلك، أدرك الناس حقيقة أن الوعي البشري لا يمكن أن يُفسره التطور، وهو الأمر الذي أدركه والاس بالرغم من كونه واحداً من مؤسسي نظرية التطور. لا يمكن أن تكون أية آلية غير واعية هي السبب في وجود الوعي. يزعم مؤيدي التطور أن أحداثاً غير واعية حدثت عن طريق المصادفة كانت بطريقة ما سببًا في وجود الوعي والإدراك والإبداع.

لم يكن هناك تفسير منطقي. واجهت نظرية التطور مفاجأة كبيرة في القرن العشرين، حيث أعلن علم المتحجرات أن الحفريات الانتقالية والتي تُعرف بالحلقات المتوسطة والتي كان داروين واثقاً من أنها ستُكتشَف في المستقبل لم تكن موجودة في السجل الجيولوجي. تم التنقيب في كل الطبقات الأرضية الرسوبية تقريباً، ولكن لم يتم العثور على الحفريات الانتقالية التي توقّع داروين ومؤيديه أن يتم العُثور عليها.

كانت هناك مفاجأة ثانية لنظرية التطور، وهي ظهور علم الوراثة والذي وجد أن الكائنات الحية معقدة للغاية وأن تكوينها مستقر للدرجة التي تجعله مستحيلًا أن يكون نتيجة الانتخاب الطبيعي الذي تَصَوّرَه داروين.

مع التقدم العلمي، اكتُشِف أن الخلية ليست كالبالون الممتلئ بسائل كما تخيّلها داروين، لكنها تركيب مُعقّد للغاية يتكون من العديد من العُضَيّات الخلوية المُعقّدة، وأن تعمل بآليات ذكية.

كان اكتشاف الحمض النووي بمثابةِ الضربة القاتلة لنظرية التطور. هذا الجزيء العملاق الذي يحتوي على جميع المعلومات الوراثية كان أكثر تعقيداً بكثير من أن يكون قد حدث عن طريق الصُدفة، كما أن له تركيب دقيق للغاية لا يسمح بحدوث تغيير فيه. وفقَ نظرية التطور، فإن الكائنات الحية تغيرت عند تطورها من كائناتٍ أخرى وذلك عن طريق اكتسابها تركيباً وأعضاءً وخواصاً جديدة تمتلكها كائنات حية أخرى. لكن الحقائق التي كشف عنها علم الوراثة أظهرت أنه لا يمكن حدوث ذلك بالطريقة التي أشار إليها داروين، لأن الكائنات الحية غاية في التعقيد.

وجد الداروينيون أنهم بحاجة للتركيز على العناصر التي قد تتسبب في تغيرات في التركيب الجيني، وكانت الآلية الوحيدة التي عثروا هم عليها هي الطفرات. سرعان ما اتجهوا لنظرية جديدة وهي الداروينية الجديدة وادّعوا أن الطفرات هي التي أحدثت التغير الجيني.

لكن هؤلاء الناس –وكلهم علماء- تجاهلوا أن 99% من الطفرات تكون ضارة بل وقد تكون مميتة للكائنات الحية، بينما نسبة 1% ليس لها أي تأثيرٍ إطلاقًا. حتى تحت الظروف المعملية كان من المستحيل إضافة معلومات جينية جديدة إلى الكائنات الحية عن طريق الطفرات، ناهيك عن تحويلها إلى كائنات جديدة أكثر تقدُّمًا. على عكس ذلك، تسببت كل طفرة إما في تشويه كائنٍ حيٍ أو في موته. وبالتالي بدا واضحًا التأثير الذي ستتركه الطفرات إذا كانت في بيئة طبيعية غير مُتحكَم فيها.

الاستنتاجات التي كشف عنها علم المتحجرات والحقائق التي أوضحها علم الوراثة أجبرت التطوريين على إجراء تعديلات في نظرياتهم، فعندما نفى علم الوراثة إمكانية حدوث التطور من خلال الانتخاب الطبيعي، وضع التطوريون آمالاهم على الطفرات. وعندما كشف علم المتحجرات الحقيقة عن السِجِل الأحفوري، لجأوا إلى فكرة التوازن النقطي. كل الأدلة المعارضة للتطور التي كشف عنها العلم والتي لا يُمكِن إنكارها تركت نظرية التطور بلا أية أدّلة. لم تؤدي التعديلات الجديدة التي أجراها التطوريون على نظريتهم إلى النتائج التي تمنوّها، وظلّت نظرية التطور بلا أي دليل يدعمها.

كل ما ادّعته نظرية التطور فقد مصداقيته، وكل المزاعم التي وضعها التطوريون دُحضَت علميًا. علم التطوريون أن نقطة واحدة بوجه خاص اقتلعت كل مزاعمهم من جذورها، واعترفوا بذلك علنًا. إنه الوعي، والذي وصفه ألفريد والاس بأنه مستحيل أن يكون قد نشأ عن طريق التطور بالرغم من أنه كان قد اقترح ذلك.

## الوعي، الذي لا تستطيع المزاعم الداروينية تفسيره

"في العالم المادي، يجب على أي نظرية تدّعي تطور الإنسان أن تشرح كيف كان لسلفٍ يشبه القرد ذو فكٍ قوي وأنياب حادة كالخنجر وقادر على الجري بسرعة على أطرافه الأربع، يتحول إلى حيوان بطيء يسير على قدمين ذو قدرات دفاعية ضعيفة. أضِف إلى ذلك القوة العقلية والتكلّم والأخلاقيات التي تجعلنا "نقف على قمة الجبل" مقارنة بالحيوانات الأخرى، كما يقول هكسلي. هذا تحدٍ لنظرية التطور". (123)

الكاتب العلمي المؤيد للتطور روجر لوين

بعد داروين، حاول مؤيدي التطور إعطاء تفسيرات مختلفة للوعي، والذي لم يكن له أي تفسير وقت وجود داروين. ادّعى هؤلاء أن البشر البدائيين قد ساعدوا على تطور المخ من خلال تواصلهم مع بعضهم البعض وعندما بدأوا في الصيد واستخدام الأدوات. قال هؤلاء أن تطور للمخ المُفترَض وتطور اللغة والقدرة على الكلام كانت أسبابًا أدت إلى التفكير العقلاني، وهو الفارق الأهم بين الإنسان والحيوانات الأخرى.

لكن هذه المزاعم افتقدت إلى أي أساس علمي. لم يُقدّم السجل الأحفوري أي دليل على أيٍّ من تلك المزاعِم. استبعد البحث العلمي والتجارب المتعلقة باللغة والوعي أية احتمالية لأن تكون مثل هذه التطورات قد حدثت.

كل ما استطاع الداروينيون تقديمه هي افتراضات، لا تقدّم أي دليل علميّ، لماذا؟ لأن التطور لم يحدث أبدًا.

رغم كونه من أنصار التطور، هنري جي المُحرر بمجلة نيتشر الشهيرة، تحدّثَ عن عدم منطقية الادعاء التطوري التالي، حيث قال:

"يُقال أن تطور الإنسان صحبه تطور في المظهر وفي حجم المخ، والتناسق بين حركة العينين واليدين، مما أدى إلى اكتشافه للنار وصناعته للأدوات واستخدامه للغة. لكن مثل هذه الافتراضات هي وجهات نظر شخصية لا يمكن اختبارها من خلال التجربة، وبالتالي فإنها ليست عِلمية. هُم لا يعتمدون في انتشار نظريتهم على دليلٍ علميّ، إنما يعتمدون على التأكيد على آرائهم وسلطة من يؤيدها". (124)

إضافة إلى كونه غير علمي، فإن هذا الافتراض غير مُتّسِق علميًا. يقول مؤيدي التطور أن الذكاء –الذي يفترضون أنه ظهر عن طريق التطور- كان سببًا في استخدام الإنسان للأدوات، ثم تطوّر بسبب استخدام الإنسان للأدوات!

على المادّيين أن يُفسّروا التناقض في هذا السيناريو والذي يشبه سيناريو الدجاجة والبيضة. هذا يؤكد على التناقض الذي وقع فيه والاس عندما وضع نظريته عن التطور، والذي لا يزال ينطبق على نظرية التطور.

كتب فيليب جونسون، وهو أحد نقاد الداروينية الأكثر تأثيرًا، عن هذا الموضوع قائلًا:

"النظرية التي هي من نِتاج العقل لا يمكن أن تعطي تفسيرًا كافيًا للعقل الذي أنتج هذه النظرية. قصة العقل الذي يكتشف الحقيقة المطلقة تبدو مُرضِية إذا أخذنا العقل كأمر مُسلّم به. أما عندما نحاول شرح العقل كنتيجة لاكتشافات ناتجة عنه، فكأننا في قاعة مليئة بالمرايا لا مخرج منها". (125)
يُعلّق روبرت جاسترو رئيس معهد جورج مارشال قائلًا:
"إنه لَمِنَ الصعب القبول بأن تطور عين الإنسان ناتج عن الصُدفة، والأصعب أن تتقبل فكرة أن تطور الذكاء البشري كان نتيجة اختلالات عشوائية في الخلايا الدماغية لأسلافنا". (126)

لا بُدّ وأن الداروينيون قد علموا أن آرائهم حول تطور الوعي البشري غير كافية، نظرًا لأنهم شعروا أنهم إلى تفسير آراءهم بطريقة عِلميّة. لذلك اقترحوا مفهومًا سمّوه "ظاهرة الانبثاق" والتي ادعوّا أنها لعبت دورًا هي الأخرى.

وفقًا للداروينيين، يُمكِن لظاهرة الصدفة البحتة أن تؤدي إلى ظهور غير متوقع لشيء آخر. ادّعى الداروينيون أن الماء مثال علمي على ذلك. تتجمع جزيئات الهيدروجين والأكسجين من تلقاء نفسها والتي لا تحمل أي صفات من صفات الماء، ولكن عند اتحاد هذه الجزيئات بِنِسبٍ مُحددة تنشأ جزيئات الماء والتي تمتلك خواصًا لم يكن من الممكن التنبؤ بها مسبقًا من خلال خواص أيٍّ من الغازين. أراد مؤيدو التطور تطبيق هذه الملاحظة الكيميائية على الوعي البشري، حيث ادّعوا أنَّ بعض التغيرات العشوائية في كيمياء المخ أدّت إلى نشأة الوعي البشري. هذه الفرضية –غير القابلة للتجربة ووالتي لا يوجد لها دليل علميّ- كانت دليلًا واضحًا على الوضع اليائس الذي وجد الداروينيون أنفسهم فيه. هذا الافتراض غير المنطقي تمامًا هو بالطبع مستحيل عمليًا. كما يعلم الجميع جيدًا، فإن الوعي البشري ليس ظاهرة مرتبطة بالقوانين الفيزيائية التي تنطبق على الماء. الطريقة التي يمكنك بها تخيُل شكل ورائحة وطعم الفراولة، أو تخيُّل وجود وأصوات أقاربك كما لو كانوا متواجدين أمامك، بالتأكيد ليست نتيجة قيام الذرات الموجودة داخل المخ بإنتاج شيء غير معروف حتى

يومنا هذا. إن فهم كل هذه الأشياء يحدث بإرادتك، وهو أمر تُفكِر أنت فيه الآن. من المستحيل على الذرات والجزيئات بطبيعتهم المادّية أن يندمجوا معًا لينتجوا مفهوم ميتافيزيقي وهو "الوعي".

كما يقول الفيلسوف والكاتب كريستيان دي كوينسي: "العلماء في موقف غريب بسبب الحقيقة التي لا تقبل الجدل التي تواجههم يوميًا وهي وعْيهم، لكن لا توجد وسيلة لتفسير ذلك." (127)

يقول العالم المؤيد للتطور جيه. هوكس في مقال نُشِر في مجلة نيويورك تايمز:

"أجده من الصعب تصديق أن الكائنات الحية كالطيور والأسماك والزهور وغيرها بما فيها من تفاصيل دقيقة ومعقدة لا يمكن أن يكون الانتخاب الطبيعي هو السبب في نشأتها، وأجد أنه من المستحيل أن يكون الوعي البشري ناتجًا عن الانتخاب الطبيعي. كيف يمكن للعقل البشري الذي أنتج حضارات غزيرة، والذي كان سببًا في تميز سقراط وشكسبير ورامبرانت وآينشتاين أن يكون قد أتى إلى الوجود نتيجة الصراع من أجل البقاء" (128)

هذا هو مجرد حلم للداروينيين، والذي يتمنون بشدة أن يتم إثبات صِحتّه. من المستحيل ان يتم تفسير الوعي من خلال تلك الآراء السخيفة غير المثبتة التي يدعو لها التطور.

هل من الممكن لكيان يستمتع بسماع إيقاع موسيقي، ويتذوق الطعام فيميّزه، ويشعر بالمودّة تجاه الآخرين، والذي يبحث في هويته الخاصة ويدرس مُخّه في المختبر، ويأتي باكتشافات، ويحل المشكلات، ويفرح عند نجاحه، ويؤلف الكتب، أن يكون قد أتي إلى حيّز الوجود كنتيجة لصدفة غير واعية؟ أي نوع من التفاعلات الكيميائية يمكن أن يُعلّم الإنسان أن يتصرف بشكل صحيح، وأن يفعل الخير؟ أيّة ظاهرة عشوائية يمكن أن تُعطي الإنسان القدرة على تعلُّم شيء ما وتذكُّره وتعليمه للآخرين، والقدرة على أن يحكم الأمم، وأن يشعر بالسعادة والحزن والدهشة والقلق، وأن يتخذ القرارات؟ أية ظاهرة لاواعية يمكنها أن تجعل الإنسان قادرًا على اتخاذ قرارات لحظية ومنطقية في الأوقات الصعبة؟ هل يمكن للذرات اللاواعية الموجودة داخل المخ أن تحول حيوانًا إلى إنسان يبني ناطحات السحاب ويصنع الطائرات ويصنع الكمبيوتر ويسافر عبر الفضاء عن طريق اكتشافه وحلّه معادلات رياضية، والذي يصمم روبوتات تقوم بوظائف مشابهة لما يقوم به؟

كيف يمكن للبكتيريا أن تكون تطورت إلى الإنسان الذي أنشأ حضارات عظيمة في جميع أنحاء العالم وأنتج تكنولوجيات فائقة؟

على المُنظِّرين الداعمين للتطور أن يجيبوا على كل هذه الأسئلة. عليهم أن يُفسِّروا كيف يمكن للصدفة وللأحداث العشوائية اللاواعية أن تؤدي إلى وجود الوعي. لو كان التطور قد حدث بالفعل، فعليهم أولًا أن يأتوا بأدِلّة علمية تدعمه وبعد ذلك يفسروا كل تلك الأشياء غير المنطقية. ولكن هل كان أنصار التطور قادرون على تقديم تفسير علميّ مقبول؟ هل لديهم حلّ لمعضلة كيف لأحداث غير واعية أن تكون سببًا في نشأة الوعي؟ هل تمّت الإجابة على أيّ من هذه الأسئلة في الكتب والمقالات العديدة التي كتبوها أو في المؤتمرات التي أقاموها عن التطور؟ لا!

كل ما يقوم به التطوريون هو سرد آرائهم وتزيينها بكلام معسول، وتجنُّب تقديم أي دليل، والتحدث طويلًا بكلام سطحيّ لتلقين أكبر عدد ممكن من الناس بأن الإنسان أصله حيوان. لكنهم لا يأتون بأي دليل علمي ولا يستطيعون حلّ المعضلات المنطقية الموجودة في نظريتهم. الوعي هو إثبات على خطأ نظرية التطور، هو حقيقة حاسمة ودامغة والذي يتسبب في حالة من اليأس التام بالنسبة للداروينيين. الأكاذيب التي اصطنعها الداروينيون حول هذا الشان لا يمكن تطبيقها على الوعي. نظرية التطور التيبنوها على أساس وجود المادة فقط، قد دُحِضت أمام هذا الدليل غير الماديّ. هذه الأكذوبة التي أطلقوها لينكروا وجود الله، قد هُدِمت بسبب الوعي، الذي يعتبر من أعظم ما خلق الله. يقول الله في القرآن الكريم:
" وَقَد مَكَروا مَكرَهُم وَعِندَ اللَّـهِ مَكرُهُم وَإِن كانَ مَكرُهُم لِتَزولَ مِنهُ الجِبالُ ﴿٤٦﴾" (سورة إبراهيم، الآية 46)

هل يعلم الداروينيون أنهم لديهم أرواحًا؟

أثبت العلم الحديث أن ذكاء الإنسان ليس ناتجًا عن نشاط خلايا المُخ، كما زعم الماديّون طويلًا. أي أنه هناك كيان في جسد كل إنسان ليس ناتجًا عن وظائف الجسم، وليس له طبيعة ماديّة. تقف نظرية التطور –والتي هي نِتاج الفلسفة الماديّة التي لا تؤمن إلى بما هو ماديّ- في حيرة تامّة أمام الروح التي ليس لها وجود ماديّ.

للتذكِرة، لم يتم إثبات أيّ من مزاعِم التطور فيما يخص تطور الكائنات الحية من غيرها، ولم يؤتَى بأي دليل يدعم أيّ منها. اعتمدت نظرية التطور على مُجرّد تكهنات حول تاريخ الكائنات الحية والطبيعة، واستخدمت أدلّة زائف وتجاهلت الحقائق العلمية والحفريات التي تثبت أن الأنواع لم تتطور أبدًا. حاول الداعون لنظرية التطور تضليل الناس من خلال تصوير نماذج لحفريات ليدّعوا أنها حلقات متوسطة –والتي أُثبِت بطلانها- ولجأوا إلى الخداع لتحقيق هدفهم. (لمزيد من المعلومات، يمكنكم الاطلاع على كتاب *The Transitional Form Dilemma* لهارون يحيى)

لدى نظرية التطور تصورات متعددة وقصص طويلة فيما يتعلق بتطور الكائنات الحية المزعوم، لكن لم يتم إثبات أيّ من هذه التصورات علميًا، إضافة إلى إثبات العلم والتكنولوجيا استحالة حدوث التطور.

من بين كل المعضلات التي ليس لها حل التي تواجه نظرية التطور، يبقى الوعي أمرًا خاصًا لأن التطوريون لم يستطيعوا أن يختلقوا أية تصورات لهذا الموضوع، ناهيك عن تفسيره بدليل ماديّ. بددت أجهزة المسح الضوئي الحديثة آمال الماديين في وجود أي مكان أو أية عملية في المخ قد تكون سببًا في وجود العقل. لا يمكن للفلسفة الماديّة أن تفسّر العقل البشري.

السبب في إيمان العقليات المادّية بنظرية التطور هو عدم فهمهم لمفهوم الوعي، وباتالي فإنهم يتصرفون من هذا المنطلَق. لو أدركوا الطبيعة الاستثنائية للوعي –كحقيقة ميتافيزيقية- سيعلمون أن لهم روحًا، ولن يؤمنوا بنظرية داروين للتطور.

يرى المادّيون أن العين البشرية بما فيها من تعقيد تطورت عن طريق الصدفة، وأن البشر تطور لديهم الإبصار عن طريق الصُّدفة، ويعتقدون أن الإنسان –الذي يستطيع أن يرى الألوان- قادر على إدراك ما حوله وتفسيره نتيجة لتفاعلات بين الخلايا تحدث بمحض صُدفة. يزعمون أن استقبال خلايا العين للضوء ووجود المخ كافيان لجعلنا ندرك عالمًا مليئًا بالألوان المختلفة. لكنهم لا يفهمون أن إدراك الصور واتخاذ قرارات واعية مثل أين ننظر، يجب أن تتم وفقًا لأوامر الروح.

لا يعترف الداروينيون بإحساسه بوجود الوعي داخله. من المستحيل أن يشعر أحد بوجود الوعي ويظل مؤيدًا لداروين. من المستحيل القول بأن الوعي يتكون فقط من مجموعة خلايا وصلت لهذه الهيئة من خلال التطور من بكتيريا، وأن هوية الإنسان وإدراكه نتجوا عن صُدفة غير واعية. من يمتلك ضميرًا سليمًا ووعيًا من المستحيل أن يدّعي ذلك. لا يُدرك الداروينيون أن بداخلهم كيانًا يرى ويفكر ويتخذ القرارات ويُحب ويفرح ويحزن. إذا أدركوا ذلك، فسيتخلوا فورًا عن اعتقادهم بأن المادة مطلقة وأنها سبب كل شيء.

إن قُدرتنا على التعرف على شخص يقترب مِنّا وشعورنا بالسعادة لرؤيته هو أمر لا يتعلق بالعلم، إنما هي حقائق تتخطى الفيزياء ولا يمكن تفسيرها بأي وجود فيزيائيّ. أي شخص يعلم أن لديه وعيًا بداخله يستحيل أن يدّعي أن المادة مطلقة أو أنها سبب لكل شيء. لا شكّ أن الله يعلم هذه الحقيقة أكثر من أيّ مِنّا.

أخبرنا الله في القرآن أنهم حتى لو رأوا المعجزات لن يؤمنوا، حيث يقول –سبحانه وتعالى-:
"وَلَو أَنَّنا نَزَّلنا إِلَيهِمُ المَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ المَوتى وَحَشَرنا عَلَيهِم كُلَّ شَيءٍ قُبُلًا ما كانوا لِيُؤمِنوا إِلّا أَن يَشاءَ اللَّـهُ وَلـكِنَّ أَكثَرَهُم يَجهَلونَ ﴿١١١﴾" (سورة الأنعام، الآية 111)

بالنسبة لمن يفكرون بشكل طبيعي، من السهل معرفة أن هناك كيان بداخلهم يدرك الوعي ويشعر به، ومن السهل أن يعرفوا أن لديهم وعيًا موجود خارج المخ. لكن بما أن الداروينيين لديهم طريقة مختلفة تمامًا في التفكير، فهم لا يشعرون بوجود روح ليست لها طبيعة مادّية، وأن لديهم وعيًا يدركون به.

يمكنك ملاحظة ذلك بسهولة في كل أنصار داروين. إنهم لديهم نظام تفكير خاص يعمل بشكل مختلف يجعلهم يرفضون أي شيء غير المادّة. لكن أي شخص لديه وعيّ سليم يمكنه رؤية أن العالم هو عبارة عن مجموعة التصورات التي تصلنا، وأن "الأنا" التي تدرك لها طبيعة مختلفة عن الضوء الموجود بالخارج وعن المخ والأذن والعين وعن الإشارات الكهربائية. الضوء الخارجي عند طولٍ موجيّ محدد قد يكون سببًا في اللون الأحمر الذي نراه، لكن لا بُدّ من تفسير لكيان "الأنا" الذي يتعرف على اللون الأحمر ويُميّزه بداخلنا. الشخص العاقل سيستنتج فورًا أن إدراكنا للأشياء هو بسبب الروح، لأن هذا الشخص يعلم أن لديه وعيًا وهو الذي يحدد هويته. هذا الشخص يمكنه رؤية اللامنطقية والخطأ في وجهة النظر المادّية، وسيعلم فورًا الخطأ الكبير الذي تقع في الداروينية.

لكي لا تنخدع بالأفكار الداروينية، يتطلب ذلك ألا تأخذ أيًا منها على محمل الجد لأن هؤلاء الناس الذي يضعون مِثل هذه الأفكار لديهم تصوّر مختلف. والدليل على ذلك هو كيف لهذه الأفكار المادّية أن تستمر حتى الآن دون أن تتوقف بالرغم من كونها غير علمية منذ بداية القرن العشرين، منذ اكتشاف فيزياء الكم لجوهر المادة الحقيقية. اختفت المادّة التي بنوا عليها نظرياتهم وفلسفاتهم، لكن الماديين والداروينيين لم يغيروا من مفاهيمهم.

قد يكون هذا عقاب لهم من الله بسبب إنكارهم له. من الممكن أن الله قد منع عنهم الإحساس بكونهم كيانات لها أرواحًا ما داموا ينكرون وجود الروح الأبدي. لا شكَّ أن الحقيقة لا يعلمها سوى الله. يقول الله في القرآن الكريم:
" وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّـهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾" (سورة الحشر، الآية 19)

لهذا السبب، إنه لخطأ جسيم لأي أحد يعلم الطبيعة الحقيقية للمادة ويعلم بوجود النفْس، أن ينخدع بالأوهام الداروينية، أو أن يعتقد أن أيًا من المزاعم المادّية الجوفاء قد يكون صحيحًا. أي شخص يستطيع رؤية الدليل على أن لديه روحًا، ويعلم بوجود الله القادر والخالق لكل شيء سيصبح كيانًا ذو قدرات عقلية عالية لدرجة تمنعه من أن ينخدع بالأفكار الداروينية الخاطئة. مِثل هذا الشخص يعلم أن الله هو القوي، وأن وجوده أبديّ ليس له بداية ولا نهاية. مِثل هذا الشخص سيتعجب من قدرة الله في خلق هذا العالم الذي لا مثيل له وجعل لنا روحًا تدركه بالرغم من أنه عالم وهمي. مِثل هذا الشخص يعلم أيضًا أن هذا العالم ليس هو المُستقَرّ الأبدي لروحه، وأن عليه أن يسعى من أجل أن يدخله الله المُستقَرّ الحقيقي الذي وعد به الله.

المقر الحقيقي للروح هو الدار الآخرة، والتي تم إعدادها لكل الأرواح، لكل البشر الذين عاشوا من قبل. إما سيلاقي البشر نعيمًا مقيمًا أو عذابًا في الآخرة. الحياة في الدنيا، التي هي عبارة عن صُور ندركها، هي اختبار لنا من أجل حياتنا الأبدية. ما يحدد سواء سيعيش الشخص في نعيم دائم أم سيذوق العذاب هي أعماله وأخلاقه التي يتصرف بها في الدنيا. الإخلاص في الإيمان بالله والتمسّك بالقرآن هما مثالان على الفضائل والأعمال الصالحة.

"إِلَيهِ مَرجِعُكُم جَميعًا وَعدَ اللَّـهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ لِيَجزِيَ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ بِالقِسطِ وَالَّذينَ كَفَروا لَهُم شَرابٌ مِن حَميمٍ وَعَذابٌ أَليمٌ بِما كانوا يَكفُرونَ ﴿٤﴾" (سورة يونس، الآية 4)

# إدراك الوقت، وحقيقة القدر

## أعمارنا ما هي إلّا إدراك

خلال الفترة التي نقضيها في هذه الحياة، نقارن بين الأشياء ونفكر فيما فعلناه بالأمس، ونُخطِّط للغد وفقًا لذلك. نتذكر أحداثًا مر عليها عشر سنوات فنعتقد أن الوقت قد مرّ وأننا تقدمنا في السن. السبب في اعتقادنا ذلك هو مقارنتنا بين الأحداث الحالية والتي حدثت في الماضي.

إذا كنت تشاهد التلفاز قبل أن تفتح هذا الكتاب لتقرأ فيه، فإنك تقارن الوقت الذي كنت تشاهد فيه التلفاز بالوقت الذي تقرأ فيه وتتخيل أن الوقت قد مرّ بين هذين الحدثين. تشير إلى الوقت الذي كنت تشاهد فيه التلفاز ب"الماضي" معتقدًا أن الوقت قد مرّ بين الحدثين. في الواقع، الوقت الذي كنت تشاهد فيه التلفاز هو عبارة عن معلومات مُخزَّنة في ذاكِرَتك. أنت تُقارِن "الحاضر" أي الوقت الذي تقرأ فيه هذا الكتاب بالمعلومات الموجودة في ذاكرتك، وتشير إلى هذه الفترة ب"الوقت". لكن الحقيقة هي أنه لا يوجد سوى الوقت الحاضر الذي تعيشه الآن. إذا لم تُقارِن الأحداث مع الذِكريات المُخزَّنة في ذاكرتك، فإن مفهوم الوقت يختفي.

يقوم الفيزيائي الشهير جون باربر بتعريف الوقت كالآتي:

"الوقت ما هو إلى قياس الموضِع المتغير للأشياء. عندما يتأرجح البندول تتقدم عقارب الساعة." (129)

إذًا الوقت ينتج عن المقارنة بين الإدراكات التي تنشأ في الدماغ. دراسة الأشخاص الذين يعانون من فقدان للذاكرة الذي يُعرَف بِفُقدان الذاكرة التقدمي (ما بعد الإصابة) يُسهِّل فهم فكرة أن الوقت ما هو إلى إدراك بشري. يفقد هؤلاء الأشخاص كل الذاكرة قصيرة الأمد، فلا يستطيعون معرفة ما حدث من قبْل، وبالتالي لا يعرفون إذا ما كانت هناك فترة بين حدثين أم لا. هذا إثبات على أن الوقت ما هو إلا إدراك لدينا.

لأن الأحداث التي تحدث في حياتنا اليومية تظهر لنا في تسلسل محدّد، فإننا نُقسِّم الوقت إلى ماضٍ وحاضر ومُستقبَل. لكن في الواقع، فكرة التسلسُل من الماضي إلى المُستقبل هي من صُنع عقولنا. لو شاهدنا المعلومات الموجودة في ذاكرتنا بنفس الطريقة التي نشاهد بها فيلم عند تشغيل الشريط للوراء، فإن الماضي سيصبح مُستقبلًا بالنسبة لنا، والمستقبل سيصبح ماضيًا. هذا يُوضِّح أن الوقت ليس مُطْلقًا، إنما يتشكل بما يتماشى مع فهمنا وإدراكنا.

يقول الفيزيائي الشهير روجر بنروز:

"أعتقد أن هناك دائمًا شيء متناقض بشأن الطريقة التي ندرك بها مرور الوقت، وطريقة وصف الفيزياء للوقت. تكمن المسألة جزئيًا في إذا ما كان هناك ترتيب زمني مُحدد للأشياء في إدراكنا لها، أم أننا بطريقة ما نضع أشياءً كثيرة معًا ونُكوِّن صُورًا للأشياء". (130)

إن التسلسل الذي نقوم به في عقولنا بين الأحداث التي نتذكرها، هو السبب في وجود ما نُطْلِق عليه ماضيًا أو حاضرًا أو مُستقبلًا. لكن هذا يظل قرارًا نتخذه بإرادتنا.

فرانسوا جاكوب عالم الأحياء الفرنسي الحائز على جائزة نوبل يعقد المقارنة التالية:

"الأفلام عند تشغيلها إلى الوراء تعطينا فرصة لتخيل عالم يسري فيه الوقت بشكل عكسيّ. في هذا العالم، سينفصل الحليب عن القهوة وسيقفز خارج الكوب ليصل إلى وعاء الحليب، وستنبعث أشعة الضوء من الحائط لتتجمع في مركز الجاذبية بدلًا من تتدفق من مصدر الضوء، وسيقفز الحجر من الماء بعد أن تعود قطرات المياه المتطايرة ثم يعود الحجر إلى كفّ الرجل. لكن في مِثل هذا العالم الذي فيه سمات معاكسة للوقت، العمليات التي تجري في المخ والطريقة التي تجمع ذاكرتنا بها المعلومات ستعمل إلى بشكل عكسيٍّ أيضًا." (131).

كل هذا يُثبِت أن مفهوم الماضي والمستقبَل متعلِّق بكيفية إدراكنا لذكرياتنا. والحقيقة هي أننا ليست لدينا وسيلة لمعرفة كيفية مرور الوقت. مثلما أننا يستحيل أن يكون لنا خبرة مباشرة مع الصور التي نراها، لا نستطيع كذلك معرفة إذا ما كنا نتأثر بالوقت، وكيفية عمله، لأن الوقت هو مجرد إدراك لدينا.

أكدّت نظرية النسبية العامة لألبرت أينشتاين حقيقة أن الوقت ما هو إلا إدراك. في كتابه "الكون و د. أينشتاين - The Universe and Dr. Einstein" يقول لينكولن بارنيت:

"تخلّى أينشتاين عن مفهوم الوقت المطلق الذي يمر باستمرار ولا يتغير في الكون كله والذي يجري من الماضي إلى المستقبل، كما تخلّى عن المكان المطلق. الغموض الذي كان يحيط بنظرية النسبية ينبع من رفض الإنسان تقبّل فكرة أن إحساسنا بالوقت هو شكل من أشكال الإدراك، مثله مثل إدرك الألوان. مثلما أن الفضاء هو ترتيب لأشياء مادّية، الوقت كذلك هو ترتيب معيّن للأحداث. يشرح أينشتاين نسبية الوقت فيقول: 'خبرات الفرد تبدو لنا مُرتّبة في سلسلة من الأحداث. في هذه السلسلة يظهر كل حدث نتذكّره مُرتّبًا سواء كان قبل الأحداث الأخرى أو بعدها. وبالتالي يظهر مفهوم الوقت النسبي، وهو لا يمكن قياسه.'" (132)

وِفقًا لبارنيت، يوضح أينشتاين أن الزمان والمكان هما شكلان من أشكال الإدراك، لا يمكن فصلهما عن الوعي مثلهما مثل الون والشكل والحجم. وِفق نظرية النسبية العامة، فإن "الوقت ليس له وجود مستقل غير ترتيب الأحداث الذي نقيس عليه". (133)

الوقت هو مُجرّد إدراك، وهو أيضًا مفهوم نسبيّ يعتمد على الشخص الذي يدركه. تختلف السرعة التي يمر بها الوقت حسب المرجع الذي نستخدمه لقياس الوقت. لا يوجد ساعة طبيعية في جسم الإنسان لتؤكد على مرور الوقت بدقّة مطلقة. كما يقول لينكولن بارنيت: "مثلما لا يوجد أي لون دون وجود عين تميّزه، لذلك لا يمكنك الإشارة لفترة بأنها لحظة أو ساعة أو يوم دون وجود حدث مرجعي تقيس عليه." (134)

إذا بقينا في غرفة مُظلمة لا يمكننا معرفة الوقت فيها ولا يمكننا رؤية شروق الشمس أو غروبها، فمِن غير الممكن أن نعرف سرعة مرور الوقت، أو كم من الوقت قضيناه داخل الغرفة. ما يجعلنا نعتقد أن فترة محددة من الوقت قد مرّت، هو شروق الشمس وغروبها ومرور عقارب الساعة. بدون هذه الأشياء، فإن كل شيء نقوله عن الوقت الذي قد مرّ هو حدسيّ وذاتي، خاصُ بِنا فقط. على سبيل المثال، يمر الوقت سريعًا على شخص يمتحن في فترة زمنية محدودة. بينما يبدو نفس الوقت بطيئًا للغاية بالنسبة لشخص ينتظر صديقه بالخارج.

لو كان الوقت حقيقة مُطلَقة، لم يكُن إذا ليكون مفهومًا متغيرًا يتحدد من خلال إدراك كل منا.

وِفقًا لنظرية النسبية العامة لأينشتاين، تتغير سرعة الوقت وفقَ سرعة الجسم وبُعده عن مركز الجاذبية. مع زيادة السرعة يمر الوقت بشكل أبطأ.

دعنا نأخذ المثال الذي قدمه أينشتاين عن توأم يبقى أحدهما على الأرض بينما يسافر الآخر في الفضاء بسرعة تقترب من سرعة الضوء. عندما يعود المسافر إلى الأرض سيجد نفسه أصغر سنًّا من أخيه، والسبب هو أن الوقت يسير ببطء بالنسبة للأخ الذي يسافر بسرعة كبيرة.
المثال نفسه يمكن تطبيقه على أبٍ يسافر في صاروخ يتحرك بسرعة تساوي حوالي 99% من سرعة الضوء، بينما يظل ابنه على الأرض. وِفقًا لأينشتاين، لو كان عمر الأب 27 عامًا عند سفره وكان عمر الابن ثلاث سنوات، عندما يعود الأب للأرض بعد 30 سنة أرضية، سيكون عمر الابن 33 عامًا بينما سيكون عمر الأب 30 عامًا فقط. (135)

حقيقة أن الوقت نسبي لا تغير من سرعة الساعة فقط، بل من سرعة النظام الماديّ بأكمله، وصولًا إلى الجسيمات دون الذَّرية. في بيئة يمر فيها الوقت بشكل بطيء، تجري عمليات مثل نبض القلب والانقسام الخلوي ونشاط المخ بشكل أبطأ. بالتالي فإن أي شخص يمكن أن تستمر حياته دون أن يشعر بتباطؤ الزمن.

يقول عالم فيزياء الجسيمات جيم الخليلي في أحد البرامج الإذاعية:

"كلا نظريتيّ أينشتاين للنسبية تقولان بأن السفر للمستقبل أمر ممكن، وقد تم إثبات ذلك بالتجربة. إحدى الطرق للقيام بذلك هي السفر بسرعة كبيرة، أي أنك تسافر في صاروخ سرعته تقترب من سرعة الضوء ثم تعود. بسبب سفرك بسرعة كبيرة، ستمر ساعتك ببطء، فلو أشارت ساعتك إلى مرور سنة على سفرك، ربما قد تكون عشر سنوات قد مرّت على الأرض. وبذلك تكون قد سافرت تِسْع سنوات إلى المستقبل. هناك طريقة أخرى للسفر إلى المستقبل، وهي الدوران حول نجم ضخم. لو قمت بذلك لمدّة سنة، عندما تعود قد تجد عشر سنوات قد مرّت على الأرض. أيًا كانت الطريقة، فإن السفر إلى المستقبل أمر ممكن". (136)

يشرح الخليلي مفهوم الوقت فيقول:

"هذا قد يعني وجود الماضي والحاضر والمستقبل. لا توجد لحظة حالية لتميز بين الماضي والمستقبل. كل الوقت موجود مع بعضه. الطريقة الوحيدة لفهم ذلك هو الجمع بين الأبعاد المكانية الثلاثة والوقت، فيما يعرف بالزمكان رباعي الأبعاد." (137)

إن مرور الوقت ما هو إلى شعور لدينا. بسبب طريقة إدركنا للوقت نشعر أن كل ما نمر به موجود في تسلسل زمني. الحقيقة هي أننا دائمًا نعيش في الحاضر، وأن مرور الوقت هو مفهوم خادع.

حاز الفيزيائي والرياضي روجر بنروز الأستاذ بجامعة أكسفورد على جوائز عديدة لمجهوده في فهم العقل والإدراك. كانت إجابته كالتالي على سؤال وُجِّه إليه في برنامج إذاعي:

فيزيائي: "لدينا شعور ذاتي بأن الوقت يمر. لكن الفيزيائيين يقولون بأن هذا مجرد وهم".

روجر بنروز: "نعم، أعتقد أن الفيزيائيين يرون أن الشعور بمرور الوقت هو مجرد وهم، شيء غير حقيقي. إنه شيء يتعلق بإدراكنا". (138)

الطريقة التي يعمل بها مفهوم ذاتي كإدراك في عقولنا، وكيف أن الوقت كله موجود في وقت واحد هي أمور يستعصي علينا فهمها، فنحن لا يمكننا أن نفهم سوى ما يريدنا الله أن نفهمه. لا نستطيع أن نعلم أكثر مما يُظهره لنا. لا شك أنه من السهل على الله أن يخلق الوقت كإدراك، وأن يجعلنا نشعر بالماضي والحاضر والمستقبل رغم عدم وجودهم. إن وجود الله قبل كل شيء وبعد كل شيء، وهو الذي خلق الوقت، لذلك فإنه -سبحانه- لا يخضع للوقت. كل الأحداث التي ندركها كماضٍ أو مستقبل يعلمها الله، وأُنشئت في لحظة واحدة. أي أن كل الأحداث الموجودة في المستقبل خُلِقت في لحظة واحدة، وهي موجودة الآن، لكننا لا نستطيع رؤيتها.

كل الأحداث التي نراها كماضٍ هي في علم الله سبحانه وتعالى أيضًا، وحتى الحجر الذي سوف تتعثر فيه أثناء سيرك في الطريق في المستقبل يعلمه الله. هذا لأن الله خلق كل شيء في لحظة واحدة.

يقول القس ديفيد براون:

"في الواقع، الرب خارج الوقت، لذلك لا يوجد ماضٍ بالنسبة له. هو يعلم كل شيء عن الزمان الذي ندركه . . ." (139)

يرى الله ويعلم كل صغيرة وكبيرة لكل المخلوقات، فهو الذي خلقهم. كل مسافة يسافرها أي شخص، والصور التي يراها والوقت الذي يدركه، كلها في عِلم الله وقدرته. يقول الله في القرآن الكريم:

"وَما تَكونُ في شَأنٍ وَما تَتلو مِنهُ مِن قُرآنٍ وَلا تَعمَلونَ مِن عَمَلٍ إِلّا كُنّا عَلَيكُم شُهودًا إِذ تُفيضونَ فيهِ وَما يَعزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثقالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرضِ وَلا فِي السَّماءِ وَلا أَصغَرَ مِن ذٰلِكَ وَلا أَكبَرَ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ ﴿٦١﴾" (سورة يونس، الآية 61)

## المكان هو مجرد إدراك مثل الزمان

عندما وضع أينشتاين نظريته، اعتبر سرعة الضوء ثابت في العالم كلّه. مهما بلغت سرعتك، تظل سرعة الضوء ثابتة. حتى لو تحركت بسرعة تقترب من 99% من سرعة الضوء، ستظل سرعة الضوء 186282 ميل (299791 كيلومترًا) في الثانية. من المستحيل أن تصل إلى سرعة الضوء. وِفقًا لمعادلات أينشتاين، فإن الوقت يصبح أبطأ كلما زادت سرعة المراقِب، ويتقلّص المكان حسب اتجاه الحركة. هذه المفاهيم التي تتغير تبعًا لسرعة الضوء، تُثبِت أنها ليست مطلقة بل تتغير من شخص لآخر.

يصف بيتر راسل ذلك قائلًا:

"مهما بلغت سرعة حركتك، إذا قمت بقياس سرعة الضوء، دائمًا ما ستجدها 186282 ميل في الثانية، كما وجد مايكلسون ومورلي. حتى لو استطعت أن تتحرك بسرعة 186282 ميل في الثانية فإن الضوء لن تتغير سرعته وستظل 186282 ميل في الثانية.

هذا ضد الحس البديهي تمامًا، لكن في هذا المثال فإن الحس البديهي خاطئ. إن مفهومنا عن الواقع مُستمَد من خبراتنا الحياتية في عالم كل السرعات فيه أقل من سرعة الضوء بكثير. عند اقتراب السرعة من سرعة الضوء، فإن الواقع يكون مختلف تمامًا." (140)

قال أينشتاين أن ما نعتبره مكانًا وزمانًا هو جزء من شيء واحد وهو الزمكان. لذلك فإن الزمان والمكان أنشئوا كإدراك، وهما جزء من عالم ندركه بشكل نسبي. إن إدراك الزمان والمكان ضروري لتكوين صورة للعالم في عقولنا. لكن عندما نقول أن الزمان والمكان يُمثِّلان الواقع الحقيقي، فإننا مخطئون، لأننا يستحيل أن تكون لدينا خبرة مباشرة مع مفهوم المكان الحقيقي بالخارج.

يُعلِّق فريد آلن وولف على ذلك فيقول:

"وِفق نظرية النسبية العامة لأينشتاين، لا يمكن أن توجد المادة دون زمان ومكان. لو كان أحد هؤلاء الثلاثة –المادة والمكان والزمان- غير موجود، فهذا يعني أن الاثنين الآخرين غير موجودين أيضًا. المكان ضروري لوجود المادة، والمادة ضرورية لوجود الزمان، والزمان ضروري لوجود المكان. الثلاثة يعتمدون على بعضهم البعض.

لذلك إذا كان الوقت مجرد وهم، كما خمّن العديد من الفلاسفة، فإن كل من المكان والمادة عبارة عن وهم أيضًا. لكن ما نفهمه من تفسير كوبنهاغن لفيزياء الكم أن المادة لا يمكن أن تكون موجودة بدون وجود مراقِب." (141)

حقيقة أن المادة لا يمكن إدراكها إلا من خلال حواسّنا، أي أنها كيان وهمي، ينفي فكرة المكان كمفهوم ماديّ. نحن ندرك المكان أنه خارجنا، لكنه داخل الدماغ عند تذكُّرنا أي مكان. في الواقع، عندما تنظر إلى مكان ما نتخيل أننا موجود خارجنا، لكنه وهم موجود فقط داخل الدماغ.

يقول بيتر راسل عن المكان:

"ما توصّل إليه أينشتاين يؤكد أن المكان والزمان ليسا مُطلَقيْن، إنما يختلفان حسب حركة المراقِب. إذا كنت تتحرك بسرعة أكبر منّي وقمنا بقياس مسافة وزمن حدث ما –على سبيل المثال، سيارة تسير من أول الشارع لآخره- فإنك سوف تعتقد أن السيارة قد قطعت مسافة أقل في زمن أقل مما أعتقد أنا. على العكس، من وجهة نظرك، لو كنت أنا من يتحرك بسرعة أكبر منك وفي إطارك المرجعي، سوف ألاحظ أنا مسافة ووقتًا أقل. أمر غريب، أليس كذلك؟ بالفعل. لكن العديد من التجارب أثبتت أنه صحيح. إن أفكارنا الناتجة عن الحس البديهي بالنسبة للمكان والزمان خاطئة. إنها من عمل العقل، ولا تطابق ما هو موجود بالخارج." (142)

وصل أينشتاين إلى ما هو أبعد من ذلك، وأثبت أن المادة هي صورة من صور الطاقة من خلال معادلته الرياضية الشهيرة ($E=mc^2$)، المادة التي لها كتلة ما هي إلا صورة من صور الطاقة. يقول بيتر راسل:

"حتى مفهوم الكتلة أصبح مجالًا للشك. في نظرية النسبية العامة، أظهر ألبرت أينشتاين أن الكتلة والتسارع لا يمكن التمييز بينهما. عندما تكون في المصعد تشعر بأنك أخفّ وزنًا عندما يتحرك المصعد بتسارع إلى الأسفل، وتشعر بأنك أثقل وزنًا عندما يتباطأ ليتوقف. هذا ليس وهمًا، لو قمت بقياس وزنك ستلاحظ أنه تغير. الكتلة هي مقاومة الأرض تحت أقدامنا لسقوطنا الحر تجاه مركز الأرض. وفقًا لأينشتاين، فإننا في حالة تباطؤ مستمر، ونُفسِّر ذلك بأنها الكتلة. رائد الفضاء الذي يدور في الفضاء لا يشعر بوجود كتلة حتى يصطدم في جدار المركبة الفضائية فيحدث تباطؤ مؤقت." (144)

## الكشف عن نسبية الوقت في القرآن

نسبية الوقت التي اكتُشِفَت في القرن العشرين، قد كشف القرآن عنها منذ 1400 عام.

على سبيل المثال، يؤكد الله في العديد من الآيات أن الحياة الدنيا قصيرة جدًا، حيث أخبرنا الله أن حياة الإنسان في هذه الدنيا قصيرة ك"ساعَةً مِنَ النَّهارِ". يقول تعالى:

"يَومَ يَدعوكُم فَتَستَجيبونَ بِحَمدِهِ وَتَظُنّونَ إِن لَبِثتُم إِلّا قَليلًا ﴿٥٢﴾" (سورة الإسراء، الآية 52)

"وَيَومَ يَحشُرُهُم كَأَن لَم يَلبَثوا إِلّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ يَتَعارَفونَ بَينَهُم قَد خَسِرَ الَّذينَ كَذَّبوا بِلِقاءِ اللَّـهِ وَما كانوا مُهتَدينَ ﴿٤٥﴾" (سورة يونس، الآية 45)

يخبرنا الله في بعض الآيات أن الحياة أقصر مما يعتقد البعض، فيقول:

" قالَ كَم لَبِثتُم فِي الأَرضِ عَدَدَ سِنينَ ﴿١١٢﴾ قالوا لَبِثنا يَومًا أَو بَعضَ يَومٍ فَاسأَلِ العادّينَ ﴿١١٣﴾ قالَ إِن لَبِثتُم إِلّا قَليلًا لَو أَنَّكُم كُنتُم تَعلَمونَ ﴿١١٤﴾" (سورة المؤمنون، الآيات 112-114)

في بعض الآيات، يخبرنا الله أن الوقت يمر بسرعات مختلفة. يقول الله تعالى:
"وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴿٤٧﴾" (سورة الحج، الآية 47)

وفي آيات أخرى يشير الله إلى ذلك فيقول:
" تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾" (سورة المعارج، الآية 4)
" يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾" (سورة السجدة، الآية 5)

أصحاب الكهف، هم مجموعة من المؤمنين يشير الله إليهم في القرآن، ظلّوا في سبات عميق لمدة حوالي 300 سنة. وعندما أيقظهم الله، ظنّوا أنه لم يمر سوى وقت قصير، ولم يكونوا قادرين على تحديد الفترة التي ناموا خلالها. يقول الله تعالى:
"فَضَرَبنا عَلى آذانِهِم فِي الكَهفِ سِنينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثناهُم لِنَعلَمَ أَيُّ الحِزبَينِ أَحصى لِما لَبِثوا أَمَدًا ﴿١٢﴾" (سورة الكهف، الآيات 12-11)
" وَكَذَٰلِكَ بَعَثْناهُم لِيَتَساءَلوا بَينَهُم قالَ قائِلٌ مِنهُم كَم لَبِثتُم قالوا لَبِثنا يَومًا أَو بَعضَ يَومٍ قالوا رَبُّكُم أَعلَمُ بِما لَبِثتُم ..." (سورة الكهف، الآية 19)

في الآية التالية، يؤكد الله أن الوقت هو مجرد إدراك ذاتي، فيقول:
"أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّـهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّـهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾" (سورة البقرة، الآية 259)

هذه الآيات توضّح أن الوقت نسبيّ وليس مُطْلقًا، وأنه يختلف وفقًا للإدراك والمراقِب. هذه الحقيقة كشف القرآن عنها منذ 1400 عام.

## وجود القدر والدليل العلمي عليه

" . . . وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾" (سورة الأحزاب، الآية 38)

إذا كانت كل الأحداث قد خُلِقت في لحظة واحدة، وإذا كنا نلاحظ هذه الأحداث فقط من خلال إدراكنا للوقت، إذًا لا بُدّ من وجود خالق يعلم كل هذه الأحداث من البداية، والذي بالتأكيد ليس خاضعًا للوقت مثلنا، والذي يرى كل شيء نراه، وهو الذي خلق كل شيء.

هذا الخالق الذي خلق لنا العالم الخارجي بما فيه من صور وأصوات، بالإضافة إلى إدراك الوقت، لا بُدّ وأن يكون عليم بما تقوم به كل مخلوقاته في جميع أوقاتهم. هذا الخالق العظيم الذي يجعلنا ندرك كل شيء من خلال عقولنا، يجب أن يُبقي هذه العقول تحت سيطرته دائمًا. الله، رب العالمين، العظيم القادر على كل شيء، هو خالق كل شيء. حقيقة أن الله يعلم كل شيء وأنه خالق كل شيء تُظهر لنا حقيقة القدَر.

الفترة التي تستمر مليارات السنين بالنسبة لنا، ليست سوى لحظة بالنسبة لله. الأمر الذي بالنسبة لنا سيحدث في المستقبل، هو بالنسبة لله قد قُضِي وقد حدث. نحن نرى المُستقبل بناء على مفهوم الوقت الذي ندركه. لكن في الحقيقة، كل شيء نتظره، هو موجود لكن لا يعلمه إلا الله. كل ما سيحدث في المستقبل قد حدث، لكننا نراه مستقبلًا بسبب إدراك الوقت.

بالنسبة لله، فإن كل شيء منذ بدء خلق الكون حتى آخر يوم حين تأتي نهاية الكون معروف ويُعتبر قد انتهى. من أسباب عدم قدرة البشرة على فهم ذلك هو عدم وعيهم به. الحقيقة هي أن الأحداث التي لم تحدث بعد، هي الأحداث التي لم تأتي إلى عالمنا الإدراكي بعد.

إن الله مُنزَّه عن الزمان والمكان، وهو الذي خلق الزمان والمكان من العدم. ليس الله بحاجة إلى أن ينتظر ليرى نتيجة حدث ما، فبداية أي حدث ونهايته تحدث في لحظة واحدة بالنسبة لله. كذلك الماضي والمستقبل كله بيد الله، وهو الذي يحدد وقت حدوث أمر ما بالنسبة للبشر.

وصف الدكتور جيم الخليلي هذه الحقيقة في برنامج على إذاعة بي بي سي، وقال:

"إذا نظرت إلى الفضاء رباعي الأبعاد (الزمكان) فهذا يعني أنك مضطر للتخلي عن إرادتك الحرة. هذا لن يعني أن المستقبل محتوم فحسب، بل إنه هناك قد حدث بالفعل، ولا داعي إذًا لاتخاذ أية قرارت فكل ما ستفعله قد وقع بالفعل. لو أردت أن ألقي بهذا الحجر في بِركة، أعتقد أن ذلك بإرادتي واختياري. لكن في الفضاء رباعي الأبعاد (الزمكان)، لم يكن لدي الاختيار في إلقاء الحجر، فالحدث موجود بالفعل في المستقبل، وبالتالي ليست لنا إرادة حرّة." (145)

روجر بنروز الذي كان ضيفًا على البرنامج نفسه، أشار إلى الاستنتاج التالي:

"إذًا هذا يعني أن الحاضر والماضي والمستقبل موجودون هناك، وهذا يعطينا وجهة نظر حتمية عن العالم، أي أننا ليس لدينا تحكُّم فيما يحدث في المستقبل لأن كل شيء موجود بالفعل." (146)

يشهد الإنسان القدر المُحدد له طوال فترة حياته. كل لحظة في حياة كل من عاش من قبل وكل من سيعيش في المستقبل هي في عِلم الله. كل الأحداث قد كُتِبت في أقدار جميع المخلوقات، ليس الإنسان فقط بل أيضًا الحيوانات والنباتات، وكلها في عِلم الله. كيفية عمل القدر هي واحدة من مظاهر اسم الله الحفيظ، ذو القوة والعظمة غير المحدودتين.

يصف فريد آلن وولف كيف أن ماضي الإنسان ومُستقبله تم تحديدهما قبل وقت طويل:

"على الرغم من أن التاريخ يعتمد على ملاحظاتنا لبداية الأحداث ونهايتها، إلا إننا نتذكر التاريخ كما لو كنا ندركه وقت حدوثه. بعبارة أخرى، يبدو أننا "نعيش" التاريخ بينما يحدث، ونجعله قصة "حية". نعيش في نهر أو تدفق من الوقت، حيث بدايته (الماضي)، ووجهته النهائية (المستقبل) موجودين بالفعل". (147)

الإنسان خاضع لسيطرة الله وقوته دائمًا، ويفعل الإنسان ما هو مُقدّر له. يخبرنا الله بهذا الحقيقة في الآية التالية:

"مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾" (سورة الحديد، الآية 22)

## الإيمان بالقَدَر

عليكَ أن تعلم أنك في حالة خضوع غير مشروط لقدرك. لا يوجد سوى الله هو القادر على تغيير القدر. كل شيء مررت به أو ستمر به في المستقبل، هو مقدّر لك من قِبَل الله، وبالتالي فإنك ليس لديك تحكُّم في مستقبلك. تركك لهذا الكتاب بعد دقائق، وظهور تجاعيد على وجهك خلال بضع سنوات، وتفاصيل الفيلم الذي ستشاهده بعد 15 عامًا من الآن، كل ذلك يعلمه الله. الناس الذين ستلتقي بهم، رزقك الذي ستجنيه، المرض الذي سيصيبك، ما سيسعدك، وكيف وأين ستموت، كل ذلك موجود في قدرك.

السبب في أنك ليس لديك علم بهذه الأشياء لأنها ليست في ذاكرتك بعد.

الحزن على شيء ما قد حدث، والتساؤل: "لماذا حدث هكذا؟" والحزن والأسف، وقول: "لو كنت فعلت كذا ..."، والغضب والجشع ونفاذ الصبر، كل هذه أشياء لا داعٍ ولا معنى لها. هذا لأن كل الأحداث التي تجعلك حزينًا وغاضبًا هي بأمر الله. إنه الله هو الذي يحدد قدر كل شخص وما سيحدث له، ولا شيء يحدث للإنسان سوى ما هو مُقدّر له.

إذا حدث لشخص ما حادث سير بعدما سار في شارع خطأ، فإن الندم على خطئه ليس له معنى. حتى لو استطاع أن يعود بالزمن فسوف يدخل في الشارع الخطأ أيضًا، وسيقع الحادث. قول أشياء مثل: "ليتني أعِش حياتي مجددًا" لا جدوى لها، وهي نابعة من عدم فهم حقيقة القدر. كذلك لا جدوى لشخص سُرقت محفظة نقوده أن يقول: "ليتني لم أذهب إلى ذلك المحل" أو "ليتني احتفظت بالنفود في جيبي". هذا

الشخص لم يكن لديه بديل سوى الذهاب إلى المحل وحمل نقوده في محفظة نقوده، وأن تتم سرقتها. مُحدد في قدر هذا الشخص أن تُسرَق محفظة نقوده في مكان محدد ووقت محدد. حتى لو استطاع الرجوع بالوقت ألف مرة، ستُسرَق نقوده في الألف مرة.

عندما يحدث للإنسان أمر يسعد به أو ينجح، فهذا أيضًا في قَدَرِه. النجاح ولحظات السعادة تلك حتمًا سيأتون لأنهم موجودين في القدر.

يصف روجر بنروز من لا يقبلون بتلك الحقيقة فيقول:

"أعتقد أن المشكلة أن الناس لديهم فكرة أنهم لديهم تحكّم في المستقبل بدرجة ما. وبالتالي إن كان هذا المُستقبل قد تحدَّدَ من قبل، فإنهم ليس لديهم تحكم فيه." (148)

بسبب رغبة معظم الناس في التحكم في حيواتهم، فإنهم يرفضون التسليم بالقدر. لكنهم يقعون في خطأ جسيم بفعلهم هذا، لأنهم سواء اعترفوا بهذه الحقيقة أم لا، فإن أقدارهم ستقع لا محالة. حتى أن إنكارهم هذا مكتوب في أقدارهم!

إن العيش مع التسليم بالقدر هي نعمة عظيمة ومصدر لراحة البال. يعاني الناس خوفًا وحزنًا كبيرين عند اعتقادهم بأن ما يحدث هو تحت سيطرتهم. يتخيلون أن كل ما سيحدث في المستقبل هو مسئوليتهم، ويشعرون بثقل كبير على عاتقهم مع وقوع أي حدث، ويعتقدون أن عليهم أن يوجدوا حلًا لكل المِحن من أنفسهم. لا يرون الجانب المُبشِّر من أي حدث، وبالتالي يواجهون مِحنة كبيرة عند وقوع أي حدث. يشعرون بالفخر للانتصارات التي يحققونها، مما قد يتسبب في وقوع أضرار عليهم في الدنيا والآخرة. من جهة أخرى، الصعوبات التي يواجهونها تؤدي إلى زيادة التشاؤم والضغط.

لكن العلم بأن أي حدث يقع هو موجود في القدر الذي حدده الله، والإيمان بأن كل ما يحدث قد جعله الله لصالحنا، هي واحدة من أعظم النِعم التي يمكن أن يمتلكها إنسان. العيش مع التسليم لقدر الله يعني التسليم بقدرته والخضوع له ولإرادته. عندئذ سيتحرر الناس من شعورهم بأن الأحداث التي تقع هي تحت سيطرتهم، وسيتخلصون من المتاعب، وسينعمون براحة البال. التسليم بالقدر هي نعمة عظيمة لأي أحد يعلم أن الله خلق كل شيء لخير الإنسان. حتى الأحداث التي تبدو أنها مشكلات أو مِحَن هي في الواقع خير.

عندما تتحدث عن القدر، يأخذ الناس حقيقة أن كل شيء مُقدّر مُسبقًا ويعتقدون أنه لا حاجم لهم في أن يفعلوا أي شيء. لكن هذا تحريف لمفهوم القدر. صحيح أن كل ما يحدث لنا مُحدد في أقدارنا قبل أن يحدث، وأن كل شيء مكتوب بتفاصيله في اللوح المحفوظ.

على الرغم من ذلك، يعطي الله كل إنسان الشعور بأنه قادر على تغيير الأحداث والتصرف وفقًا لقراراته واختياراته. على سبيل المثال، عندما يشعر شخص بالعطش فإنه لا يجلس مكانه وينتظر ويقول: "سوف يأتي إلي شراب لو كان مُقدّر لي"، بل إنه يقوم ويحضر شرابه. بطبيعة الحال، يشرب الإنسان كمية الشراب المُحددة في قدره، لكنه يشعر أنه يفعل ذلك بناء على رغبته. يشعر الإنسان بذلك في كل شيء يقوم به في حياته. الفرق هو أن الإنسان الذي يؤمن بقدر الله ويُسلّم به، يعلم أن بالرغم من شعوره بأنه يقوم بما يقوم به بناء على إرادته إلا إنه يقوم به وفق إرادة الله. بينما من لا يؤمنون بحقيقة القدر يعتقدون أنهم يقومون بكل شيء بناء على ذكائهم وقوتهم، وهم مخطئون في ذلك.

على سبيل المثال، الشخص الذي يُسلِّم بالقضاء والقدر والمُصاب بمرض ما، سوف يرضى لأنه يعلم أن هذا هو قدره. سيقول: "طالما اختار الله هذا قدرًا لي، فإنه سيكون فيه الخير". لكنه لا يجلس دون أن يفعل أي شيء ويقول: "لو كان مقدّر لي أن أُشفى، سيحدث ذلك"، بل سيأخذ بكل الأسباب الممكنة، وسيذهب إلى الطبيب ويتّبع تعليماته ويأخذ الدواء. لكنه لن ينسى أن مدى فعالية ذلك –وكل تفصيلة من تفاصيل حياته- موجودة في قَدَره. هو يعلم أن الله قد قَدّر له ما سيحدث له من قبل أن يولد.

يقول الله في القران الكريم:

"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾" (سورة الأنعام، الآية 2)

"وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾" (سورة الأحزاب، الآية 38)

ليس الإنسان فقط من له قدر عند الله، لكن الشمس والقمر والجبال والشجر وكل الكائنات الحية كذلك لها قدر. على سبيل المثال عند كسر زَهرية، فإنه كان مُقدّرٌ لها أن تُكسِر في هذه اللحظة. الناس الذين سيستخدمون هذه الزَهرية، والمنزل الذي ستوجد فيه، والأشياء التي

ستوضع بجانبها، كل ذلك كان مُحددًا منذ تم صُنعها. كل النقوش والألوان التي عليها كذلك محددة في قَدَرها. أيضًا اليوم والساعة والدقيقة التي ستُكسَر فيها، ومن سيكسرها، وكيف ستُكسَر، كل ذلك مُحدّد في قدر الله. في الواقع، لحظة صُنع الزَهرية، ولحظة عرضها في واجهة المحل، ولحظة وضعها في المنزل، ولحظة كسرها، باختصار كل لحظة منذ صُنع الزَهرية حتى كسرها، هي بالنسبة لله لحظة واحدة وهي معلومة عنده سبحانه. بالرغم من أن الشخص الذي كَسَر الزَهرية لم يكن يعلم أي شيء عن كسرها قبل أن يحدث ذلك ببضع ثوانٍ، إلا إن الله هذا الحدث، وقد وقع بالنسبة له. هذا هو السبب في قول الله لنا ألا نحزن على ما يُصيبنا، لأن كل شيء يحدث لنا هو جزء من قدرنا، والإنسان ليس لديه قدرة على تغيير ذلك. ومع ذلك، على الإنسان أن يتعلم مما يحدث له، وأن يرى حِكمة الله في حدوثها، وأن يتوجه إلى الله الذي خلَق كل الأقدار، والذي وسِعت رحمته كل شيء، الرحيم العدل، الذي يحفظ عباده ويحميهم.

الهيئة التي يكون عليها الإنسان عندما كان جنينًا، وتعلمه القراءة والكتابة، وقوته الجسمانية في شبابه، ومتى سيتوقف عن عمله، كل ذلك مُحدّد في كتاب عند الله. لا يمكن أن يحدث للإنسان أي شيء أو ان يقوم هو بأي شيء غير موجود في قدره. من يغفل عن هذه الحقيقة الهامة يقضي حياته في همٍ وخوف. على سبيل المثال، يقلق الناس بشكل مستمر حول مستقبل أولادهم، وأي مدرسة سيلتحقون بها، وأي وظيفة سيعملون بها، وكيف ستكون صحتهم وحياتهم. ومع ذلك، كل شيء بداية من وجود الشخص كخلية واحدة، إلى تعلمه القراءة والكتابة، إلى الإجابات التي سيكتبونها في الامتحانات، إلى الوظيفة التي سيعملون بها وفي أي شركة سيعملون، وكم مرة سيوقِّعون أسماءهم، وكيف سيموتون، كل ذلك مُحدّد مسبقًا من قِبَل الله. على سبيل المثال، حالة الإنسان في كل لحظة منذ أن كان جنينًا، إلى أن كان في المدرسة الابتدائية، إلى الجامعة، إلى يومه الأول في وظيفته، إلى احتفاله ببلوغه عامه ال35، إلى اللحظة التي يرى فيها الملائكة عند موته، إلى أن يتم دفنه من قِبل ذويه، إلى لحظة حسابه في الآخرة، كل ذلك موجود كلحظة واحدة عند الله.

من يسلم أمره لله مخلصًا له يرجو رضا الله ورحمته وجنته سيعيش في سلام وسعادة في الدنيا والآخرة. الإنسان الذي يسلم لله ويعرف أن ما قدره الله له خير، لا يخشى أي شيء، ولا يحزن ولا يأسف على ما قد فات. مِثل هؤلاء الناس يبذلون أقصى جهدهم، مع علمهم أن ما يحدث لهم مُقدّر وأنهم ليس لديهم القدرة على تغيير ما هو مكتوب لهم في أقدارهم مهما فعلوا.

المؤمن يُسلِّم بقضاء الله، ويرضى ويصبر قدر ما يستطيع، وسيحاول دائمًا أخذ الحذر مما سيصيبه لكنه يعلم أن ما يحدث له هو المُقدّر له وأن الله قد وضع أقدارنا ليحقق الخير لنا.

في القرآن الكريم، يشير الله إلى احتياط نبيّه يعقوب –عليه السلام- من أجل أبنائه، إذ أوصى نبي الله يعقوب –عليه السلام- أبناءه بدخول المدينة من أبواب منفصلة خشية أن يجذبوا الانتباه فيصيبهم مكروه، لكنه ذكّرهم بأن ذلك لا يغير من قدر الله شيء. يقول الله –تعالى-:

"وَقالَ يا بَنِيَّ لا تَدخُلوا مِن بابٍ واحِدٍ وَادخُلوا مِن أَبوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَما أُغني عَنكُم مِنَ اللَّـهِ مِن شَيءٍ إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلَّـهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَعَلَيهِ فَليَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلونَ ﴿٦٧﴾" (سورة يوسف، الآية 67)

يخبرنا الله في آية أخرى أنه مهما فعل الناس لا يستطيعون تغيير أقدارهم، يقول سبحانه وتعالى:

"ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّـهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّـهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّـهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّـهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾" (سورة آل عمران، الآية 154)

كما نفهم من الآية، حتى لو تجنّب الناس الذهاب إلى مكان ما لإنقاذ حياتهم، سيموتون لا محالة إذا كان ذلك مكتوب في قدَرهم. كل الأساليب التي سيلجأ إليها مِثل هؤلاء الناي ليتجنبوا الموت مكتوبة أيضًا في أقدارهم، وفي النهاية سيلقى كل إنسان ما هو مُقدّرٌ له.

يُخبرنا الله أيضًا في الآية السابقة أن الأحداث التي قدّرَها الله لنا في أقدارنا هي اختبار لنا وليطهر الله قلوبنا.
في سورة فاطر، يُخبرنا الله بأنه يعلم حياة كل شخص من بدايتها إلى نهايتها، إذ يقول:

"وَاللَّـهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾" (سورة فاطر، الآية 11)

الآيات التالية من سورة القمر تُبيّن لنا أن كل شيء يفعله الإنسان مكتوب بكل تفاصيله. تشير الآيات إلى ما سيحدث في الجنة بصيغة الماضي. كما قلنا من قبل، الحياة الحقيقية في الجنة هي المستقبل بالنسبة لنا. مع ذلك، فإن كل ما في الجنة من أحداث وكلام وطعام كلّه في عِلم الله. المستقبل بالنسبة لمن يعيش في الدنيا، قد حدث في لحظة بالنسبة لله من قبل أن نُولَد. يقول الله تعالى:

"وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾" (سورة القمر، الآيات 52-55)

في بعض آيات القرآن، يشير الله إلى الأحداث التي ستحدث في المستقبل بالنسبة لنا أنها وقعت بالفعل في عِلمه. على سبيل المثال، تتحدث الآيات التالية عن حساب الناس أمام الله، وتشير إليه بصيغة الماضي وكأنها قد وقعت وانتهت. يقول الله –تعالى-:

"وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّـهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾" (سورة الزمر، الآيات 68-69)

"وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا . . ." (سورة الزمر، الآية 71)

"وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا . . ." (سورة الزمر، الآية 73)

الآيات التالية أمثلة على ذلك أيضًا:

"وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾" (سورة ق، الآية 21)

"وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾" (سورة الحاقة، الآية 16)

"وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾" (سورة الإنسان، الآيات 12-13)

"وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾" (سورة النازعات، الآية 36)

"فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴿٣٤﴾" (سورة المطففين، الآية 34)

"وَرَأَى المُجرِمونَ النّارَ فَظَنّوا أَنَّهُم مُواقِعوها وَلَم يَجِدوا عَنها مَصرِفًا ﴿٥٣﴾" (سورة الكهف، الآية 53)

## ماهية المادة وحقيقة القدر هما نِعمتان عظيمتان للمؤمنين

إن معرفة حقيقة ماهية المادة لهيَ نعمة عظيمة لمن يؤمن بالله وبأنه خالق كل شيء. من يفهم هذا السر لن يكون لديه لَبْس في مواضيع مثل الموت والآخرة والجنة والنار، ويجد إجابات على أسئلة "أين هو الله؟" و"أين الجنة والنار؟" و"هل الجنة والنار موجودتان الآن؟" بسهولة. يدرك هذا الشخص أن الله خلق الكون من العدم. من يعلم هذا السر، تصبح أسئلة "متى؟" و"أين؟" لديه بلا معنى، لأنه في الواقع لا المكان ولا الزمان موجودين. الأحداث التي سوف نمر بها في المستقبل قد وقعت بالفعل، وبالتالي من غير المنطقي أن نقلق أو نحزن بسببها.

فهم هذه الأسرار يجعل الحياة في هذه الدنيا شيئًا يشبه الجنة. كل المخاوف والشكوك والرغبات المادية التي تسبب للإنسان ضيقًا في هذه الدنيا سوف تختفي، وسيعلم الإنسان أن الله سبحانه وتعالى، رب العالمين هو الكيان المُطْلَق الوحيد، ولا وجود لكيان غيره. سيفهم الإنسان أن الكون بأكمله له ربٌ واحد، وأن الكون قيد تصرفه، وأن الشيء الوحيد الذي يجب على الإنسان فعله هو الرجوع إلى الله الحفيظ والخضوع له.

فهم هذا السر العظيم هو أحد أعظم النِعم التي قد يحظي بها الإنسان في الدنيا.

إن الله قريب جدًا مِنّا. إنه هو الذي يخلق الإنسان ويمنحه الروح التي تُعطي للإنسان هويته. يعلم الله كل فعل يفعله الإنسان، وكل ما يفكر به، فهو الذي خلق الناس جميعًا. إنه الله هو الذي يمنحنا القدرة على الإدراك والشعور والتفكير والسعادة. كل ما يحدث للإنسان في حياته مكتوب في قدَره عند الله. ليس للإنسان ولي ولا نصير سوى الله الذي وسع علمه ووسعت قدرته كل شيء. لا وجود سوى لله سبحانه وتعالى، المجيد العظيم الذي لا إله غيره، الذي لا يجب أن نلجأ إلى سواه طلبًا للعون.

يقول الله في القرآن الكريم:
"ذلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُم لا إلـهَ إلّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعبُدوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ وَكيلٌ ﴿١٠٢﴾ لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ ﴿١٠٣﴾" (سورة الأنعام، الآيات 102-103)

# خاتمة

يعتقد الماديّون أن عالمًا نشأ عن طريق الصدفة في كون يحاولون أن يصدقوا أنه خالد وأبديّ. لكن لا شك أن البشر الذين يستخدمون ذكاءهم وأوجدوا الحضارات، ويصنعون الروبوتات، وأنشأوا شبكة الإنترنت، ويستخدمون كل ما حولهم للاستفادة منه، ويفكرون ويفهمون، ويفكرون ويشككون، ولديهم أخلاقيات مثل إيثار الغير، ويسعدون برؤية منظر طبيعي، ويبذلون مجهودًا من أجل التوصل إلى الحقيقة وإثباتها، ليسوا نتيجة الصدفة. مثلما أنه لا شكل من أشكال الحياة على الأرض نشأ عن طريق الصدفة، فإن الإنسان بمليارات الخلايا التي لديه، والعُضيّات الخلوية المعقدة داخل كل خلية، والمخ بقدرته الكبيرة، لم ينشأ عن طريق الصدفة كذلك.

على عكس ما يعتقده الماديّون، لا شيء على وجه الأرض نشأ عن طريق الصدفة.

إذا كان البشر وما يفعلونه ليس عن طريق الصدفة، فهذا يعني أن هناك وعيًا داخلهم لهدف ما. إذا كان الإنسان يتصرف بوعيٍ، فلا بد من وجود كيان فائق القدرة خلق هذا الوعي، كيان تفوق قدرته كل شيء يقوم به الإنسان أو يراه أو يعلمه.

هذا الكيان هو لله سبحانه وتعالى، الذي خلق الإنسان من العدم، ونفخ في من روحه.

إذا أراد الله، قد يرزق الإنسانَ جمالًا فيفرح بذلك. وإذا أراد، يجعل إنسانًا آخر يقوم باكتشافات ويخترع التقنيات. وإذا أراد، يعطي إنسانًا آخر القدرة على عزف آلة موسيقية، أو موهبة الكتابة. بإرادة الله، يشعر الإنسان بالسعادة أو الحزن أو القلق أو بالحماس. هو الله من يعطينا القدرة لى الاستمتاع بالموسيقى وبجمال الطبيعة، أو بالورود أو بحيوان جميل، أو برسمة أو بطعام حلو. لا يمكن لأي أحد أن يشعر بأي من ذلك دون إرادة الله.

من يشعر بذلك ليس كيان ماديّ، وليس هو البروتينات التي نحصل عليها من الطعام الذي نأكله. ولا هي الخلايا الموجودة داخل مخّ الإنسان، ولا هو مخّ الإنسان، الذي لا يمكنه الاستمتاع بالموسيقى أو الشعور بالتعاطف مع سنجاب صغير يلعب، ولا يشعر بالحنين إلى الماضي لأيام الطفولة. فالمخ هو مجرد عضو يتكون من دهون وماء وبروتينات ومواد كيميائية. ليس هو المخ، إنما هي الروح التي تشعر بالمحبة والسعادة والحنين عند تذكرها للماضي. إنها الروح التي هي مِلك لله هي التي تجعل الإنسان إنسانًا.

سواء آمن الناس بوجود الروح أم لا، جميعهم سيتركون أجسادهم في الدنيا، وسيُحاسبون أمام الله في الآخرة. في النهاية كل من ينكر وجود الله، والماديّون والداروينيون، ومن يعارضون وجود الروح طوال حياتهم ومن يقولون بأننا نتكون من مجموعة من الخلايا العصبية ومن يقول بأنه لا توجد آخرة، كلهم سيقفون أمام الله في الآخرة ليُحاسبوا. سيلقى كل إنسان الجزاء المناسب لأعماله، وسيحكم الله بينهم بالعدل.

الإنسان الذي لا يعترف بهذه الحقائق، وينكر وجود الآخرة، عليه الآن أن يتخلى عن كل تلك المعتقدات الخاطئة ويبذل كل ما بوسعه ليستعد للآخرة من خلال الخضوع لله سبحانه وتعالى.

التوبة من الذنوب مفتوحة ما دام الإنسان حيًا في هذه الدنيا. يقول الله –تعالى- في القرآن الكريم:
"وَإِذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤمِنونَ بِآياتِنا فَقُل سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلى نَفسِهِ الرَّحمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سوءًا بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِن بَعدِهِ وَأَصلَحَ فَأَنَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ ﴿٥٤﴾" (سورة الأنعام، الآية 54)
"وَالَّذينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابوا مِن بَعدِها وَآمَنوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِها لَغَفورٌ رَحيمٌ﴿١٥٣﴾" (سورة الأعراف، الآية 153)

الحياة في هذا العالم مؤقتة. كل ما في هذه الدنيا عابر، ولا شيء يملكه الإنسان في هذه الدنيا حقيقي. الاعتقاد بأن هذا العالم حقيقي هو مثل الاعتقاد بأن الأحلام حقيقية. إن الله هو الكيان المُطْلَق الوحيد، وهو الحقيقة الوحيدة. أما الداروينية والمادّية فقد انهارَتا تمامًا.

الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى يعني نهاية كل الديانات والمعتقدات الخاطئة. الهدف من هذا الكتاب هو دعوة الجميع لرؤية الحقيقة. يقول الله تعالى: ". . . إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلبابِ ﴿١٩﴾" (سورة الرعد، الآية 19)

# خِداع التطور

الداروينية، أو نظرية التطور، قد وُضعِت بهدف إنكار حقيقة الخلق، لكن هذا الهراء غير العلمي قد ثبُت فشله. هذا النظرية التي تدّعي أن الحياة نشأة بالصدفة من مادّة غير حية، أُبطِلَت بالأدلة العلمية على التنظيم الدقيق في الكون وفي الكائنات الحية. بهذه الطريقة، أثبت العلم حقيقة أن الله خلق الكون والكائنات الحية التي تعيش فيه. تعتمد الدعاية للتطور القائمة في الوقت الحالي على تشويه الحقائق العلمية، وعلى التأويل المتحيز، ونشر الأكاذيب.

لكن هذه الدعاية لا يمكن أن تخفي الحقيقة. حقيقة أن نظرية التطور هي أكبر خداع في تاريخ العلم قد كُشِف عنها مرارًا وتكرارًا في الأوساط العلمية على مدى السنوات ال20-30 الماضية. الأبحاث التي أُجريت بعد ثمانينات القرن الماضي تحديدًا كشف أن المزاعم الداروينية لا أساس لها من الصحة على الإطلاق، وهو ما صرّح به العديد من العلماء. في الولايات المتحدة على وجه التحديد، العديد من العلماء في مجالات مختلفة مثل الأحياء والكيمياء الحيوية وعلم المتحجرات أدركوا بطلان نظرية داروين واتجهوا لحقيقة الخلق لتفسير أصل للحياة.

لقد قمنا بدراسة انهيار نظرية التطور وإثبات الخلق باستخدام الأدلة العلمية خلال هذا الكتاب وفي غيره من الكتب، وسوف نستمر في ذلك. نظرًا للأهمية القصوى لهذا الموضوع، سيكون مفيدًا أن نُلخّصه في هذا الجزء من الكتاب.

## انهيار الداروينية علميًا

على الرغم من هذا المبدأ تعود بدايته إلى اليونان القديمة، إلا أن نظرية التطور انتشرت على نطاق واسع في القرن التاسع عشر تحديدًا عند نشر كتاب "أصل الأنواع" لتشارليز داروين عام 1859. في هذا الكتاب، أنكر داروين خلْقَ الله للكائنات الحية بشكل منفصل، وادّعى أن كل الكائنات الحية لها سلف مشترك، وقد تنوعت بمرور الوقت من خلال تغيرات بسيطة. لم تستند نظرية داروين على أي دليل علمي، فكانت مجرد افتراض. علاوة على ذلك، اعترف داروين في فصل كامل في كتاب له بعنوان "الصعوبات الخاصة بالنظرية - Difficulties on Theory" بأن نظريته فشلت في الإجابة عن العديد من التساؤلات الحاسمة.

وضع داروين كل آماله في الاكتشافات العلمية الحديثة، والتي توقّع أنها ستحل تلك الصعوبات. لكن على العكس من توقعاته، زادت الاكتشافات العلمية من هذه الصعوبات. يمكن تلخيص فشل الداروينية أمام العِلم في النقاط الرئيسية الثلاث الآتية:

1) عجز النظرية عن تفسير كيفية نشأت الحياة على الأرض.
2) لا يوجد دليل علمي يثبت أن "آليات التطور" التي اقترحتها النظرية يمكن أن تؤدي للتطور بالفعل.
3) السجل الأحفوري يناقض ما تشير إليه النظرية تمامًا.

في هذا الجزء من الكتاب، سوف نتحدث عن هذه النقاط الأساسية الثلاث بشكل عام ومختصر:

# العقبة الأولى في مواجهة الداروينيين:

## أصل الحياة

تفترض نظرية التطور أن جميع أنواع الكائنات الحية تطورت من خلية واحدة ظهرت على الأرض منذ 3.8 مليار سنة. كيف يمكن لخلية واحدة أن تؤدي إلى نشأة ملايين الأنواع من الكائنات الحية المعقدة؟ وإذا كان التطور قد حدث بمثل هذه الطريقة، لماذا لا يمكننا ملاحظته

في السجل الأحفوري؟ هذه بعض الأسئلة التي تعجز نظرية التطور عن إجابتها. على الرغم من ذلك، قبل كل شيء علينا أن نسأل، كيف نشأت "الخلية الأولى"؟

بما أن نظرية التطور تنكر الخلق وتدخل أي قوة غير طبيعية، فإنها تزعم أن الخلية الأولى نشأت بمحض صدفة من خلال قوانين الطبيعة، دون أي تدبير أو تخطيط. وِفقًا لنظرية التطور، فإن مادّة غير حية لا بد وأنها هي التي أنتجت خلية حيّة عن طريق المصادفة. لكن هذا الادعاء يتعارض مع أبسط قواعد علم الأحياء.

## "الحياة تنشأ عن الحياة"

لم يُشِر داروين في كتابه إلى أصل الحياة إطلاقًا. استند الفهم البدائي للعلم في ذلك الوقت على الافتراض بأن الكائنات الحية لها تركيب بسيط جدًا. في العصور الوُسطى، لاقت نظرية التولُّد التلقائي -التي تؤكد أن المواد غير الحية تجمّعت مع بعضها البعض لتكون كائنات حية- قبولًا واسع النطاق. كان الاعتقاد السائد وقتها أن الحشرات نشَأت من بقايا الطعام، وأن الفئران نشأت من القمح. أُجريت تجارب لإثبات هذه النظرية، فوَضعوا بعض القمح على قطعة قماش مُتّسخة، وكانوا يعتقدون أن الفئران ستنشأ منها بعد فترة.

افترضوا وقتها أن الديدان التي تنمو في اللحوم المتعفنة دليل على التولُّد التلقائي. إلا أنه اتضح بعد ذلك أن الديدان لم تظهر على اللحوم بشكل تلقائي، لكن الحشرات ذوات الجناحين حملتها عندما كانت على هيئة يرقات لا تستطيع العين المجردة رؤيتها.

حتى وقت كتابة داروين لكتاب "أصل الأنواع" كان الاعتقاد بأن البكتيريا يمكن أن تنشأ من مادة غير حية، مقبولًا في الأوساط العلمية.

على الرغم من ذلك، بعد خمس سنوات من نشر كتاب داروين، أعلن لويس باستور نتائج تجاربه ودراساته الطويلة التي أثبتت خطأ نظرية التولُّد التلقائي التي تعتبر حجر الأساس لنظرية داروين. في محاضرته في جامعة السوربون عام 1864، قال باستور: "لا يمكن أن تعود نظرية التولُّد التلقائي مرة أخرى بعد الضربة القاضية التي تلقّتها من هذه التجربة البسيطة". (149)

رفض مؤيدي نظرية التطور هذه النتائج لفترة طويلة. ولكن مع تطور العِلم وكشفه عن التركيب المُعقَّد لخلية الكائن الحي، أصبح الطريق أمام فكرة أن الحياة يمكن أن تكون قد نشأت عن طريق الصدفة مسدودًا.

## فشل جهود التطوريين في القرن العشرين

كان أول التطوريين الذين تولّوا موضوع أصل الحياة في القرن العشرين هو عالم الأحياء الروسي الشهير ألكسندر أوبارين. قدّم أوبارين أطروحات عديدة في ثلاثينات القرن العشرين محاولًا إثبات أن الخلية الحية يمكن أن تنشأ عن طريق الصدفة. لكن هذه الدراسات كان مصيرها الفشل، واضطر أوبارين لتقديم الاعتراف التالي:

"لكن من المؤسف أن مشكلة أصل الخلية ربما تكون هي النقطة الأكثر غموضًا في دراسة تطور الكائنات الحية بأكملها." (150)

حاول أتباع أوبارين من أنصار التطور إجراء تجارب لإيجاد حل لهذه المشكلة. كانت التجربة الأشهر هي التي أجراها الكيميائي الأمريكي ستانلي ميلر عام 1953. جمع ميلر الغازات التي ادّعى أنها كانت موجودة في الغلاف الجوي للأرض قبل نشأة الحياة عليها، وأضاف إليها الطاقة، واستطاع تكوين العديد من الجزيئات العضوية (الأحماض الأمينية) التي تدخل في تكوين البروتينات.

لكن بعد مرور سنوات قليلة، تبين خطأ هذه التجربة التي اعتُبِرت خطوة هامة لإثبات التطور، لأن غازات الغلاف الجوّي التي استخدمت في التجربة كانت مختلفة تمامًا عن الظروف الطبيعية الحقيقية للأرض. (151)

بعد صمتٍ طويل، اعترف ميلر أن وسط الغلاف الجوي الذي استخدمه لم يكن مطابق للواقع. (152)

انتهت كل جهود أنصار التطور خلال القرن العشرين لتفسير أصل الحياة بالفشل. تقبّل جيفري بادا عالِم الجيولوجيا والكيمياء بمعهد سكريبس في سان دييغو هذه الحقيقة، حيث قال في مقال نُشِر بمجلة "*Earth* " عام 1998:

"اليوم بينما نغادر القرن العشرين، لا نزال نواجه أكبر مشكلة لم تُحلّ بعد والتي كانت لدينا منذ بداية القرن، ألا وهي: كيف بدأت الحياة على الأرض؟" (153)

## التركيب المُعقّد للكائنات الحية

السبب الرئيسي في أن وقوع نظرية التطور في هذا المأزق الكبير فيما يخص نشأة الحياة أن حتى الكائنات الحية التي تعتبر الأبسط، لها تركيب معقّد للغاية. خلية الكائن الحي هي أكثر تعقيدًا من كل المنتجات التكنولوجية التي صنعها الإنسان. في يومنا هذا، لا يمكن أن يتم إنتاج خلية كائن حي من خلال دمج بعض المواد الكيميائية العضوية مع بعضها، حتى في أكثر مختبرات العالم تطورًا.

الشروط اللازمة لإنشاء خلية كثيرة جدًا، وبالتالي فإن فكرة نشأتها عن طريق الصدفة هي أبعد ما يكون عن الصحة. احتمالية تكوين البروتينات التي تعتبر المكون الأساسي للخلية تساوي واحد على $10^{950}$ بالنسبة لبروتين يتكون من 500 حمض أميني. في الرياضيات، الاحتمال الأصغر من واحد على $10^{50}$ يُعتبر مستحيلٌ من الناحية العملية.

جزيء الحمض النووي الذي يوجد في نواة الخلية والمسئول عن تخزين المعلومات الوراثية يعتبر بنك معلومات هائل. لو قمنا بكتابة المعلومات المشفرة في الحمض النووي، سيُنشئ ذلك مكتبة ضخمة تتكون من حوالي 900 مجلدًا لموسوعات تتكون كل منها من 500 صفحة.

هنا تنشأ معضلة مثيرة للاهتمام للغاية. لا يمكن للحمض النووي أن ينسخ نفسه دون مساعدة بعض البروتينات المخصصة (الإنزيمات). ومع ذلك، لا يمكن أن تنشأ هذه الإنزيمات دون المعلومات المُشفّرة في الحمض النووي. بسبب اعتماد كل منهما على الآخر، فلا بد من وجودهما في نفس الوقت عند نسخ الحمض النووي. هذا يثبت خطأ فكرة أن الحياة نشأت من تلقاء نفسها. البروفيسور ليزلي أورجل الذي عمل بجامعة سان دييغو بكاليفورنيا والمؤيد للتطور، اعترف بهذه الحقيقة في سبتمبر 1994 في مجلة "ScientificAmerican ":

"من المستحيل أن تكون البروتينات والأحماض النووية واللذان لهما تركيب معقّد أن يكونا قد نشئا بشكل تلقائي في نفس المكان وفي نفس الوقت. من المستحيل أيضًا أن يكون لدينا أحدهما دون الآخر. وبالتالي، يمكن أن نستنتج أن الحياة لم تنشأ نتيجة عمليات كميائية." (154)

لا شكّ أنه إذا كان من المستحيل أن تكون الحياة قد نشأت لأسباب طبيعية، فيجب علينا القبول بأنها خُلِقَت بطريقة خارقة للطبيعة. هذه الحقيقة تدحض نظرية التطور بشكل صريح، والتي غرضها الأساسي إنكار الخلق.

## الآلية الوهمية للتطور

النقطة الهامة الثانية التي تنفي نظرية داروين أن المفاهيم التي طرحتها النظرية كآليات للتطور، ليست قادرة على إحداث التطور.

بنى داروين نظرية التطور بشكل كامل على آلية الانتخاب الطبيعي. يظهر مدى أهمية هذه الآلية بالنسبة لداروين من خلال اسم كتابه "أصل الأنواع، من خلال الانتقاء الطبيعي - The Origin of Species, By Means of Natural Selection".

ينص الانتخاب الطبيعي على أن الكائنات الحية الأقوى والأكثر ملاءمة للظروف الطبيعية لموطنها ستبقى على قيد الحياة في معركة البقاء. على سبيل المثال، إذا كان هناك قطيع من الغزلان مُهدّد من قِبَل حيوانات برية، فإن الغزلان التي تستطيع الركض بشكل أسرع

ستبقى على قيد الحياة. لذلك سيكون قطيع الغزلان مكونًا من الأفراد الأسرع والأقوى. لكن مما لا شك فيه أن هذه الآلية لن تتسبب في تطور الغزلان وتحولها إلى أنواع أخرى من الكائنات الحية كالخيول على سبيل المثال.

وبالتالي فإن آلية الانتخاب الطبيعي ليست قادرة على إحداث التطور. كان داروين على عِلم بهذه الحقيقة، حيث كتب في كتابه "أصل الأنواع - The Origin of Species":

"الانتخاب الطبيعي لا يمكن أن يفعل شيئًا دون حدوث اختلافات فردية مواتية." (155)

## تأثير لامارك

إذًا كيف يمكن أن تحدث هذه "الاختلافات المواتية"؟ حاول داروين الإجابة على هذا السؤال من وجهة نظر الفهم البدائي للعلم في ذلك الوقت. وِفقًا لعالم الأحياء الفرنسي شوفالييه دي لامارك (1744-1829) الذي عاش قبل داروين، فإن الكائنات الحية تمرر الصفات التي تكتسبها خلال حياتها للأجيال القادمة. وأكّد لامارك أن هذه الصفات التي تراكمت جيلًا بعد جيل تسببت في نشأة أنواع جديدة. على سبيل المثال، ادّعى لامارك أن الزراف تطورت من الظباء التي كانت تحاول أكل أوراق الأشجار العالية وبالتالي تمددت أعناقها جيلًا بعد جيل.

قدّم داروين أمثلة مشابهة. على سبيل المثال، قال داروين في كتابه "أصل الأنواع - The Origin of Species" أن بعض الدببة نزلت إلى المياه بحثًا عن الطعام فتحولت بمرور الوقت إلى حيتان." (156)

إلا أن قوانين الوراثة التي اكتشفها جريجور مندل (1822-1884) والتي أكد علم الوراثة عليها فيما بعد، هدمت أسطورة أن الصفات المكتسبة يمكن أن تنتقل إلى الأجيال التالية. وبالتالي لا يمكننا اعتبار الانتخاب الطبيعي آلية للتطور.

## الداروينية الجديدة والطفرات

من أجل الوصول إلى حل، قدّم الداروينيون "نظرية الاصطناع الحديث للتطور" والتي تعرف باسم الداروينية الجديدة قي نهاية ثلاثينات القرن الماضي. تضمنت الداروينية الجديدة الطفرات وهي عبارة عن خلل في جينات الكائنات الحية بسبب عوامل خارجية مثل الإشعاع أو حدوث خطأ في عملية النسخ، حيث اعتبروا الطفرات أنها "سبب الاختلافات المواتية".

اليوم، تعتبر الداروينية الجديدة هي النموذج الذي يمثّل التطور. تقول النظرية بأن ملايين الكائنات الحية تكونت نتيجة عملية جعلت العديد من الأعضاء المُعقّدة في هذه الكائنات (مثل الأذنين، والعينين، والرئتين، والأجنحة) تخضع للطفرات التي تُعتبَر خلل وراثي. لكن هناك حقيقة علمية صريحة تهدم هذه النظرية تمامًا، وهي أن الطفرات لا تتسبب في تطور الكائنات الحية، بل إنها دائمًا ما تكون ضارة.

والسبب في ذلك بسيط للغاية، وهو أن الحمض النووي له تركيب معقد جدًا، وبالتالي فإن التأثير العشوائي لن يسبب سوى أضرار به. يفسّر عالم الوراثة الأمريكي ب. ج. رانجاناثان على النحو التالي:

> "أولًا، الطفرات نادرة جدًا في الطبيعة. ثانيًا، معظم الطفرات تكون ضارة لأنها عشوائية، وأي تغيير عشوائي في نظام دقيق ومرتّب للغاية سوف يتسبب في نتائج سلبية. على سبيل المثال، لو تسبب زلزال في اهتزاز بناء ما، سيحدث تغيير عشوائي في تركيب المبنى، والذي في جميع الاحتمالات لن يكون للأفضل." (157)

ليس من المدهش أننا لم نرى مثالًا لطفرة لوحِظ أنها تُطوِّر الشفرة الوراثية حتى الآن، فقد ثبُت أن كل الطفرات ضارّة. وبالتالي فإن الطفرات التي قدّمتها الداروينية الجديدة على أنها "آلية للتطور" هي في الواقع ضارة بالكائنات الحية، ويمكن أن تكون سببًا في إعاقات. (التأثير الأكثر شيوعًا للطفرات على البشر هو السرطان.) بطبيعة الحال، لا يمكن لآلية مُدمِّرة أن تكون "آلية التطور". من ناحية أخرى، لا يمكن أن يتسبب الانتخاب الطبيعي في التطور بمفرده، الأمر الذي اعترف به داروين نفسه. هذه الحقيقة تُثبِت عدم وجود "آلية للتطور" في الطبيعة. بما أنه لا توجد أية آلية للتطور، فهذه العملية الوهمية التي تسمّى بالتطور لا يمكن أن تكون قد حدثت.

## السجل الأحفوري:

## لا وجود للحلقات المتوسطة

الدليل الأوضح على التصوّر الذي افترضته نظرية التطور لم يتم العثور عليه في السجل الأحفوري.

وفقًا لنظرية التطور، فإن جميع الكائنات الحية قد نشأت من سلف لها، كما تحولت الكائنات التي كانت موجودة من قبل بمرور الوقت إلى كائنات أخرى، هذه هي الطريقة التي نشأت بها كل الكائنات الحية. بعبارة أخرى، حدث هذا التحول تدريجيًا واستمر لملايين السنين.

إذا كان الأمر كذلك، فلا بُدّ من وجود العديد من الكائنات الحية الوسيطة التي عاشت في فترة التحول الطويلة تلك.

على سبيل المثال، من المفترض أن يكون هناك كائنات تجمع بين الأسماك والزواحف، والتي يُفترَض أنها عاشت في الماضي واكتسبت بعض صفات الزواحف إلى جانب صفات الأسماك التي لديها. ومن المفترض أيضًا أن نجد كائنات تجمع بين الطيور والزواحف والتي اكتسبت بعض صفات الطيور إلى جانب صفات الزواحف التي تمتلكها. بما أن هذه مرحلة انتقالية، يفترض أن تكون هذه الكائنات معيبة أو مشلولة. يشير أنصار التطور إلى هذه الكائنات الوهمية التي يعتقدون أنها عاشت في الماضي ب"الحلقات الانتقالية".

لو كانت مِثل هذه الحيوانات موجودة من قبل، فلا بد من وجود الملايين، بل المليارات منها. والأمر الأكثر أهمية، يجب أن تكون بقايا هذه الكائنات الغريبة موجودة في السجل الأحفوري. يُوضِّح داروين الآتي في كتاب "أصل الأنواع":

"إذا كانت نظريتي صحيحة، فلا بد من وجود العديد من الكائنات الانتقالية التي تربط بين الأنواع المختلفة من نفس المجموعة... ونتيجة لذلك، يمكن العثور على دليل وجودها في السجل الأحفوري فقط." (158)

## تحطُّم آمال داروين

على الرغم من بذل أنصار التطور جهدًا شاقًا في البحث عن الحفريات في جميع أنحاء العالم منذ منتصف القرن التاسع عشر، إلا أنه لم يتم اكتشاف أية حفريات لحلقات انتقالية. على عكس توقعات أنصار التطور، أظهرت جميع الحفريات أن الحياة ظهرت على الأرض فجأة وبشكل كامل.

يعترف عالِم الحفريات البريطاني الشهير ديريك آجر بهذه الحقيقة رغم كونه من أنصار التطور، حيث قال:

"كلما فحصنا السجل الأحفوري بالتفصيل، لا نجد تطورًا تدريجيًا، وإنما نجد ظهور مفاجئ لمجموعة على حساب أخرى." (159)

هذا يعني أن جميع الكائنات الحية ظهرت فجأة في السجل الأحفوري بشكلها الكامل دون وجود أي حلقات متوسطة بين الكائنات. هذا هو عكس افتراضات داروين تمامًا. هذا أيضًا دليل قوي على أن جميع الكائنات الحية قد خُلِقَت. التفسير الوحيد لنشأة الكائنات الحية كاملة بكل تفاصيلها فجأة دون وجود أي سلف تطوريّ هو أنها قد خُلِقَت.

اعترف عالِم الأحياء المؤيد للتطور دوغلاس فوتويما بهذه الحقيقة، وقال:

"بين الخلق والتطور تجد كل التفسيرات المحتملة لنشأة الكائنات الحية. إما أن الكائنات الحية ظهرت على الأرض في هيئة متقدمة ومتطورة بشكل كامل أو لا. إذا لم يحدث ذلك فلا بد وأنها تطورت من أنواع كانت موجودة من قبل من خلال عملية التطور. وإذا كانت قد ظهرت في هيئة متطورة بشكل كامل، فلا بد وأنها قد خُلِقت من قِبَل قوة قادرة على كل شيء." (160)

تُبيِّن الحفريات أن الكائنات الحية ظهرت في حالة مثالية على الأرض. هذا يعني أن أصل الأنواع ليس التطور، وإنما هو الخلق، على عكس ما افترض داروين.

# حكاية تطور الإنسان

الموضوع الذي يتحدث عنه مؤيدي نظرية التطور ف معظم الأحيان هو أصل الإنسان. تدّعي الداروينية أن الإنسان الحديث تطور من كائنات تشبه القردة. خلال عملية التطور المزعومة هذه، والتي يُفترض أنها بدأت منذ 4 إلى 5 ملايين سنة ماضية، من المفترض أن يكون هناك بعض الحلقات الانتقالية بين الإنسان الحديث وأسلافه. هناك أربعة أنواع أو فئات وفقًا لهذا التصوّر الوهمي وهم:

1- أسترالوبيثكس (القرد الجنوبي)
2- هومو هابيلس (الإنسان الماهر)
3- هومو إريكتوس (الإنسان المنتصب)
4- هومو سابينس (الإنسان العاقل)

يُسمّي أنصار التطور السلف الأول للإنسان والذي يشبه القرد، بأسترالوبيثكس والتي تعني "القرد الأفريقي الجنوبي". هذه الكائنات ما هي إلا أنواع قديمة منقرضة من القردة. أُجريت أبحاث مستفيضة على العديد من الأسترالوبيثكس من قِبَل عالِميّ التشريح الشهيرين الإنجليزي اللورد سولي زوكرمان والأمريكي البروفيسور تشارلز أوكسنارد، وأظْهرَت أن هذه القردة تنتمي إلى أنواع القرود العادية التي انقرضت، وليس لها أي تشابه مع البشر. (161)

يُصنِّف أنصار التطور المرحلة التالية لتطور الإنسان ب"هومو" والتي تعني إنسان. وفقًا لما يزعمونه، فإن الكائنات الحية في سلسلة الهومو أكثر تطورًا من الأسترالوبيثكس. وضع التطوريون مُخططًا خياليًا للتطور عن طريق ترتيب حفريات مختلفة من هذه الكائنات بشكل معين. هذا المخطط وهمي بالتأكيد لأنه لم يثْبت أن هناك علاقة تطورية بين هذه الفئات المختلفة. قال إرنست ماير أحد أكبر أنصار التطور في القرن العشرين في كتابه "One Long Argument" أن "الألغاز التاريخية مثل أصل الحياة وأصل الإنسان العاقل، من الصعب للغاية الوصول إلى تفسير نهائي مقبول لها". (162)

حدد الداروينيون السلسلة كالآتي: أسترالوبيثكس > هومو هابيلس > هومو إريكتوس > هومو سابينس، وادّعوا أن كلٌ من هذه الأنواع هو سلف للذي يليه. إلا أن النتائج الأخيرة كشفت أن علم دراسة مستحاثات أسلاف البشر (الذي يجمع بين الأنثروبولوجيا وعلم المستحاثات أو المتحجرات) أن أسترالوبيثكس وهومو هابيلس هومو إريكتوس عاشوا في أماكن مختلفة من العالم في الوقت نفسه. (163)

بالإضافة إلى ذلك، عاشت مجموعة معينة من البشر تُصنّف كهومو إريكتوس حتى العصور الحديثة. النياندرتال (الإنسان البدائي) و هومو سابينس (الإنسان العاقل أو الإنسان الحديث) تواجدوا في نفس المنطقة. (164)

يبدو أن هذا الوضع يدل على بطلان الادعاء بأنهم أسلاف لبعضهم البعض. أوضح ستيفن جاي غولد هذه الأزمة التي تواجهها نظرية التطور، بالرغم من كونه واحدًا من أبرز مؤيدي نظرية التطور في القرن العشرين، يقول:

"ما مصير السلم التطوري إذا كانت هناك ثلاثة سلالات لكائنات شبيهة بالإنسان عاشت في نفس الوقت وهم (الأسترالوبيثكس الأفريقي والبارانثروبوس والهومو هابيلس [الإنسان الماهر]) ولم تنشأ من بعضها البعض؟ علاوة على ذلك، لا يوجد أيّ من الثلاثة يُظهر أية نزعة تطورية خلال الفترة التي قضاها على الأرض." (165)

إن سيناريو تطور الإنسان الذي يدعمه أنصار التطور برسومات مختلفة لكائنات "نصف قرد، ونصف إنسان" تظهر في الإعلام وفي الكتب، والتي هي ليست أكثر من أساليب دعائية، هو مجرد حكاية خيالية ليس لها أساس علميّ.

اللورد سولي زوكرمان، وهو واحد من أكثر العلماء شهرة في المملكة المتحدة والذي يحظى باحترام كبير، والذي أجرى أبحاثًا حول هذا الموضوع لسنوات ودرس حفريات الأسترالوبيثكس لمدة 15 عامًا، توصل في النهاية –برغم كونه من أنصار التطور- إلى أنّ شجرة أسلاف الإنسان التي تتفرع من كائنات تشبه القردة وتصل إلى الإنسان غير صحيحة.

وضع زوكرمان أيضًا "طيفًا للعلوم" يتراوح ما بين ما يُعتبر علميّ، إلى ما هو غير علميّ. وِفقًا لطيف زوكرمان، فإن مجالات العلم "الأكثر علميّة" أي التي تعتمد على بيانات واقعية، هما الكيمياء والفيزياء. تليهما وعلوم الأحياء، ثم العلوم الاجتماعية. في نهاية هذا الطيف، فإن المواضيع التي تعتبر غير علمية بدرجة أكبر هي مفاهيم الإدراك الحسّي الفائق مثل التخاطر والحاسة السادسة، وأخيرًا تطور الإنسان. يُفسّر زوكرمان ذلك فيقول:

"ننتقل من الحقيقة الموضوعية إلى المجالات البيولوجية المفترضة مثل الإدراك الحسّي الفائق أو تفسير السجل الأحفوري للإنسان حيث يبدو لمؤيدي التطور أن كل شيء ممكن، وحيث يؤمن المؤيدون للتطور الأكثر حماسًا بالعديد من الأشياء المتناقضة في نفس الوقت". (166)

إن حكاية تطور الإنسان تتلخص في تفسيرات لبعض الحفريات تبعًا لآراء شخصية لبعض الناس الذين ينتمون انتماء أعمى لنظريتهم.

## المعادلة الداروينية!

إلى جانب كل الأدلة العِلمية التي تناولناها حتى الآن، دعنا الآن نوضّح خرافة التطوريين بمثال بسيط يمكن حتى للأطفال فهمه:

تزعم نظرية التطور أن الحياة نشَأَت عن طريق الصدفة. وِفقًا لهذا الزعم، فإن الذرات اللاواعية التي لا حياة فيها تجمعت لتُشكِّل خلية ثم بطريقة ما أنشأت كائنات حية، بما فيها الإنسان. إذا جمعنا العناصر التي تُمثِّل وحدات بناء الحياة مثل الكربون والفسفور والنتروجين والبوتاسيوم فإننا سيكون لدينا مجرد كومة. أيًا كانت المعالجة التي ستخضع لها، لا يمكن أن تُشكِّل هذه الكومة كائنًا حيًا واحدًا. دعنا نقوم بتجربة عن هذا الموضوع، ودعنا نتفحص نيابة عن أنصار التطور ما يُسمّونه ب"المعادلة الداروينية".

دع أنصار التطور يضعون كميات كبير من المواد الموجودة في تكوين الكائنات الحية مثل الفسفور والنتروجين والكربون والأكسجين والحديد والمغنيسيوم في براميل كبيرة، ودعهم يضيفون إليها أي مادة ليس لها وجودة في ظل الظروف الطبيعية لكنهم يعتقدون أنها ضرورية. دعهم يضيفون إلى هذه الخليط ما يشاؤون من الأحماض الأمينية والبروتينات، والذي يبلغ احتمال تشكيل الواحدة منها واحد على $10^{950}$. دعهم يُعرّضون هذا الخليط لما يشاؤون من الحرارة والرطوبة، ودعهم يقلّبونه باستخدام أي جهاز تكنولوجيّ متطور يريدونه. دعهم يضعون علماء ليُشرفوا على هذه العملية، ودعهم ينتظرون بجانب هذه البراميل لتريليونات السنين. دعهم يستخدمون أية ظروف يظنون أنها ضرورية لإنشاء الإنسان. أيًا كان ما سيفعلونه، فلن يتمكنوا من إنشاء إنسان –على سبيل المثال أستاذ جامعي يخترع المجهر الإلكتروني ويستخدمه لدراسة تركيب خلاياه- من هذه البراميل. لن يتمكنوا من إنشاء زراف أو أسود أو نحل أو طيور الكناري أو خيول أو دلافين أو ورود أو زهور مثل الأوركيد أو الزنبق أو القرنفل أو الموز أو البرتقال أو التفاح أو الطماطم أو البطيخ أو التين أو الزيتون أو العنب أو الخوخ أو الطواويس أو طائر التَدْرُج أو الفراشات متعددة الألوان أو غيرهم من ملايين الكائنات الحية الأخرى. في الواقع، لا يمكنهم الحصول على خلية كائن حي واحدة.

باختصار، الذرات اللاواعية لا يمكن أن تتجمع فتكون خلية. لا يمكنها اتخاذ قرار بانقسام الخلية إلى خليتين، ثم اتخاذ قرارات أخرى فتُنشئ أساتذة يخترعون المجهر الإلكتروني ليقوموا بفحص تكوين هذه الذرات تحت عدسته. المادّة هي مجردة كومة لاواعية ولا حياة فيها، لكن الحياة تدبّ فيها بقدرة الله على الخلق التي فاقت كل الحدود.

نظرية التطور التي تدّعي عكس ذلك، هي أكذوبة منافية للعقل تمامًا. التفكير ولو قليلًا في ادّعاءات أنصار التطور يُبين هذه الحقيقة كما هو الحال في المثال أعلاه.

## التكنولوجيا في العين والأُذُن

موضوع آخر لا تستطيع نظرية التطور الإجابة عنه هو جودة الإدراك الممتازة في العين والأذن.

قبل الانتقال إلى موضوع العين، دعنا باختصار نشرح كيف نرى. تسقط أشعة الضوء القادمة من أي جسم على شبكية العين، ثُمّ يتم تحويل هذه الأشعة إلى إشارات كهربائية لتنتقل إلى نقطة صغيرة في الجزء الخلفي من المخ والتي تعرف باسم "مركز البصر". يتم إدراك هذه الإشارات الكهربائية في مركز البصر كصورة بعد أن تتم سلسلة من العمليات. مع عِلمنا بهذه المعلومات الأساسية، دعنا نفكّر قليلًا.
المخ معزول عن الضوء، مما يعني أن داخله مظلم تمامًا ولا يصله أي ضوء. وبالتالي فإن "مركز البصر" لا يصله أي ضوء، لدرجة أنّه قد يكون أحلك مكان قد تراه. ومع ذلك، تستطيع رؤية عالم مضيء في هذا الظلام الدامس.

الصورة التي تتكون في العين واضحة جدًا لدرجة أن تكنولوجيا القرن العشرين لم تكن قادرة على الوصول إلى هذه الدّقة. على سبيل المثال، انظر إلى الكتاب الذي تقرأه، وانظر إلى يديك اللتين تمسك الكتاب بهما، ثم ارفع رأسك وانظر حولك. هل رأية صورة واضحة مِثل هذه من قبل؟ حتى شاشة التليفزيون الأكثر تطورًا والتي أنتجها أفضل مُنتج في العالم لا يمكن أن تقدّم صورة بمثل هذا الوضوح. هذه الصورة التي تراها هي صورة ثلاثية الأبعاد، ملونة، وواضحة إلى أقصى درجة. حاول آلاف المهندسين لأكثر من 100 سنة أن يصلوا لهذا الوضوح وهذه الدّقة. أُنشئت مصانع ضخمة، وأُجريت العديد من الأبحاث، وتم التخطيط والتصميم من أجل هذا الهدف. مرة أخرى، انظر في شاشة التليفزيون وإلى الكتاب الذي بين يديك, وسوف ترى فارقًا كبيرًا في الوضوح. بالإضافة إلى ذلك، تُظهر شاشة التليفزيون صورة ثنائية الأبعاد، في حين أن عينيك تشاهد من بمنظور ثلاثي الأبعاد.

حاول عشرات آلاف المهندسين لسنوات عديدة أن يصنعوا تلفزيون يعرض صورة ثلاثية الأبعاد، وذات جودة مشابهة لرؤية العين. بالرغم من تمكنّهم من صُنع تلفزيون يعرض صورة ثلاثية الأبعاد، إلا إنه لا يمكن مشاهدته دون ارتداء نظّارات مخصصة، بالإضافة إلى كونها صورة ثلاثية الأبعاد مصطنعة. لم تصل هذه الصورة أيضًا إلى درجة من الوضوح كالتي ترى بها العين. في كلٍ من الكاميرا والتليفزيون، تفقد الصورة بعضًا من جودتها.

يزعم التطوريون أن آلية إنتاج صورة واضحة مميزة كهذه قد نشأت عن طريق الصدفة. لو أخبرك أحد أن التلفزيون الذي في غرفتك قد تكون نتيجة الصدفة، وأن ذراته تجمّعت مع بعضها وكوّنت جهازًا يُنتِج صورًا، ماذا ستعتقد؟ كيف للذرات أن تفعل ما يعجز آلاف البشر عن فعله؟

إذا كان الجهاز الذي يُنتِج صورًا أقل جودةً من صور العين لا يمكن أن يكون قد نشأ عن طريق الصدفة، فمن المؤكّد أن العين لم تنشأ عن طريق الصدفة. ينطبق الأمر نفسه على الأُذُن. تلتقط الأذُن الخارجية الأصوات عن طريق صيوان الأذن وترسلهم إلى الأذُن الوُسطى. تنقل الأُذُن الوسطى الاهتزازات الصوتية مُضخّمة، ثم ترسل الأذن الداخلية هذه الاهتزازات إلى المخ عن طريق ترجمتها إلى إشارات كهربائية. تمامًا كما يحدث في العين، يحدث السمع في مركز السمع داخل المخ.

الوضع بالنسبة للسمع مشابه للبصر، فالمخ معزول عن الصوت مثلما هو معزول عن الضوء، إذ أنه لا يصله أي صوت مهما بلغت الضوضاء بالخارج. على الرغم من ذلك، فإن أشدَّ الأصوات يتم إدراكها داخل المخ. داخل مُخّك الصامت تمامًا، يمكنك الاستماع إلى السيمفونيات، وسماع كل الضوضاء الصادرة عن مكان مزدحم. ومع ذلك، لو أتيت بجهاز دقيق لقياس شدّة الصوت، وقمت بقياسها داخل المخ ستجد أن الصمت التام يسود هناك.

كما هو الحال مع التصوير، بذل الإنسان مجهودًا لعشرات السنوات في محاولة لإنتاج صوت مطابق لما تسمعه الأذن، فأنتج مُسجّلات الصوت والأنظمة الصوتية عالية الدِّقة وأنظمة استشعار الصوت. بالرغم من وجود كل هذه التكنولوجيا ووجود آلاف المهندسين والخبراء الذين عملوا على ذلك، لم يتمكنوا من الحصول على صوت له نفس دِقّة ووضوح الصوت الذي تدركه الأذن. حتى في أعلى الأنظمة الصوتية جودة والتي هي من إنتاج أكبر شركات صناعة الموسيقى، فإنك تسمع صفير قبل بدء الموسيقى. الصوت الذي تدركه الأذن البشرية لا يصاحبه صوت صفير أو صوت الهواء المحيط كما يحدث عند سماع صوت مُسجّل. لكن الأذن تدرك صوتًا واضحًا للغاية، وهي كذلك من أن خُلِق الإنسان.

حتى الآن، لا يوجد جهاز للتصوير أو لتسجيل الصوت صنعه الإنسان بنفس دقة العين أو الأذن، إذ أنّ هناك حقيقة عُظمى تكمن وراء ذلك.

## إلى من ينتمي الوعي الذي يرى ويسمع داخل المخ؟

من الذي يشاهد العالم داخل المخ ويستمع إلى السيمفونيات وزقزقة الطيور ومن يشم رائحة الورود؟

تنتقل المحفزات التي تستقبلها عيني الإنسان أو أذنيه أو أنفه إلى المخ على هيئة نبضات عصبية كهروكيميائية. في كتب علم الأحياء، وكتب علم وظائف الأعضاء وعلم الكيمياء الحيوية، يمكنك أن تجد الكثير من التفاصيل عن كيفية تكوين الصورة داخل المخ. إلا إنك لن تجد الحقيقة الأهم: من الذي يدرك هذه النبضات العصبية الكهروكيميائية ويفسرّها أنها صور أو أصوات أو روائح أو إحساس داخل المخ؟ يوجد وعي داخل المخ يدرك كل ذلك دون الحاجة إلى عين أو أذن أو أنف. إلى من ينتمي هذا الوعي؟ بالتأكيد ليست الخلايا العصبية الموجودة في المخ. هذا هو السبب في أن الداروينيين الماديين الذين يؤمنون بأن كل شيء يتكون من المادة لا يستطيعون الإجابة عن هذا السؤال.

إنها الروح التي خلقها الله والتي لا تحتاج إلى عين لترى الصور ولا إلى أذن لتسمع الأصوات، هي السبب في وجود الوعي. كما أنها لا تحتاج إلى مخٍ لتفكّر.

كل من يقرأ هذه الحقيقة العلمية الواضحة لا بد أن يخشى الله عزّ وجل وأن يلجأ إليه، الذي يجعلنا ندرك هذا الكون بأكمله في صورة ملونة مضيئة ثلاثية الأبعاد في منطقة صغيرة مظلمة داخل المخ.

## الاعتقاد الماديّ

المعلومات التي قُمنا بعرضها حتى الآن تُبين أن نظرية التطور تتعارض مع الاكتشافات العلمية. فرضية نظرية التطور بشأن أصل الحياة لا تتّفق مع العلم، و آليات التطور التي تقترحها النظرية لا يمكن أن تؤدّي إلى التطور، والحفريات تبين أن الحلقات المتوسطة التي توقّعت النظرية اكتشافها لم تكن موجودة من قبل. يترتب على ذلك أن نظرية التطور يجب تنحيتها جانبًا باعتبارها فكرة غير علمية. هكذا يتم استبعاد الأفكار غير العلمية على مرّ التاريخ مثل فكرة أن الأرض مركز الكون.

ومع ذلك، لم يتم استبعاد نظرية التطور، ولا تزال قائمة باعتبارها نظرية علمية. حتى أن بعض الناس يصفون الانتقادات الموجهة إليها بأنها "هجوم على العلم"، فَلِمَ ذلك؟

السبب أن نظرية التطور تُعتبر عقيدة وإيمان قاطع في بعض الأوساط. تؤمن هذه الأوساط بالفلسفة المادّية بشكل أعمى ويتّبِعون الداروينية لأنها هي التفسير المادّي الوحيد الذي يشرح كيفية عمل الطبيعة من وجهة نظرهم.

ومن المثير للاهتمام أنهم يعترفون بهذه الحقيقة من وقت لآخر. عالم الجينات الشهير المؤيد للتطور ريتشارد ليونتن الأستاذ بجامعة هارفارد بأنه مادّي قبل كونه عالمًا. يقول ليونتن:

> "ليست الأساليب والمؤسسات العلمية هي ما تدفعنا لقبول التفسير المادّي. بل على العكس من ذلك، إيماننا بالفلسفة المادّية يجعلنا نؤمن ببعض المفاهيم التي تقدّم تفسيرات مادّية، حتى وإن كانت غير بديهية. علاوة على ذلك، المادّية مطلقة، لذلك لا يمكننا قبول فكرة تدخّل إلهي ..." (167)

هذا بيان صريح بأن الداروينية هي عقيدة بقيت حتى الآن فقط من أجل التمسّك بالمادّية. تزعم هذه العقيدة أنه لا وجود سوى للمادة. وبالتالي فإنها تقول بأن المادّة الجامدة اللاواعية أنشأت الحياة. تزعم هذه العقيدة أيضًا أن ملايين الأنواع من الكائنات الحية (مثل الطيور والأسماك والزراف والنمور والحشرات والأشجار والزهور والحيتان والبشر) نشأوا نتيجة تفاعلات بين المواد غير الحيّة، مثل الأمطار والبرق. هذا الاعتقاد يناقض كلًا من العقل والعِلم. إلا أن الداروينيون يستمرون في الدفاع عنه لكيلا يؤمنوا بفكرة التدخّل الإلهي.

من لا ينظر إلى أصل الكائنات الحية بنظرة مادّية سيرى الحقيقة واضحة، وهي أن جميع الكائنات الحية قد خلقها الله القدير الحكيم العليم. الله هو الخالق الذي خلق هذا الكون بأكمله من العدم، خلقه في أفضل صورة، وخلق جميع الكائنات الحية.

## نظرية التطور:

## السِحر الأكثر تأثيرًا في العالم

إن أي شخص غير متحيز ولا متأثر بأيديولوجية معينة، ويستخدم عقله ومنطقه فقط، سيفهم أن الإيمان بنظرية التطور، التي تجلب إلى العقل خرافات غير قائمة على حضارة أو علم، أمر مستحيل تمامًا.

كما هو مُوضّح أعلاه، هؤلاء الذين يؤمنون بنظرية التطور يعتقدون أن عدد قليل من الذرات والجزيئات إذا تفاعلت مع بعضها البعض يمكن أن تُنتِج التفكير، والبشر، على سبيل المثال أساتذة في المنطق، وطلاب جامعيون، وعلماء مثل أينشتاين وجاليليو، وفنّانون مثل همفري بوغارت وفرانك سيناترا ولوتشيانو بافاروتي، وكائنات أخرى مثل الظباء وأشجار الليمون والقرنفل. وبما أن الكثير ممن يؤمنون بهذا الهراء هم أشخاص متعلمون فمنهم العلماء والأساتذة الجامعيون، فمن الممكن أن نصف هذه النظرية بأنها "السِحر الأكثر فعالية في العالم". لم يحدث من قبل أن ألغت فكرة أو معتقد عقول الناس بهذه الصورة، ومنعتهم من التفكير بشكل منطقي وعقلاني، وأخفت عنهم الحقيقة كما لو كانوا معصوبي العينين. هذا أسوا من عبادة الطوطم في بعض المناطق في أفريقيا، وعبادة قوم سبأ للشمس، وعبادة قوم إبراهيم (عليه السلام) للأوثان التي صنعوها بأيديهم، وعبادة قوم موسى (عليه السلام) للعجل الذهبي.

أشار الله –تعالى- في القرآن الكريم إلى غياب عقولهم بهذه الصورة. يخبرنا الله في آيات عديدة أن عقول بعض الناس ستكون مغلقة وعاجزة عن رؤية الحقيقة. يقول الله تعالى:

"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾" (سورة البقرة، الآيات 6-7)

"... لَهُم قُلوبٌ لا يَفقَهونَ بِها وَلَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرونَ بِها وَلَهُم آذانٌ لا يَسمَعونَ بِها أُولـئِكَ كَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلُّ أُولـئِكَ هُمُ الغافِلونَ ﴿١٧٩﴾" (سورة الأعراف، الآية 179)

"وَلَو فَتَحنا عَلَيهِم بابًا مِنَ السَّماءِ فَظَلّوا فيهِ يَعرُجونَ ﴿١٤﴾ لَقالوا إِنَّما سُكِّرَت أَبصارُنا بَل نَحنُ قَومٌ مَسحورونَ ﴿١٥﴾" (سورة الحجر، الآيات 14-15)

تعجز الكلمات عن وصف كيف يؤثر هذا السحر في كل هؤلاء الناس، وتحجب الحقيقة عن أعينهم، وتستمر لمدة 150 عامًا. من الممكن أن يؤمن عدد قليل من الناس بتصورّات مستحيلة وادعاءات حمقاء غير منطقية. لكن كلمة "سحر" هي التفسير الوحيد لإيمان كل هؤلاء الناس من جميع أنحاء العالم بأن الذرات اللاواعية غير الحية تجمّعت مع بعضها البعض وشكّلت الكون الذي يعمل بنظام دقيق، والعقل، والوعي، وكوكب الأرض بكل ما فيه من خصائص تجعله مناسبًا للحياة، وكل الكائنات الحية بما فيها من أنظمة مُعقّدة.

يذكر القرآن الكريم قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، ليُبيّن أن بعض الناس الذين يتّبعون الفلسفات الإلحادية يؤثّرون في غيرهم عن طريق السِحر. عندما دعا نبي الله موسى فرعون إلى دين الحق، جمع فرعون سَحَرَته ودعا موسى (عليه السلام) إلى لقائهم. ولمّا التقى موسى بالسَّحرة، أخبرهم بأن يقوموا بسحرهم أولًا. تُستكمل القصة في الآيات التالية:

"قالَ أَلقوا فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ ﴿١١٦﴾" (سورة الأعراف، الآية 116)

كما رأينا، استطاع سحرة فرعون خداع الجميع، باستثناء موسى (عليه السلام) ومن آمنوا معه. لكن ما أتى به موسى أبطل سِحر السَحَرة وابتلعه، كما تشير الآيتين التاليتين:

"وَأَوحَينا إِلى موسى أَن أَلقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلقَفُ ما يَأفِكونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يَعمَلونَ﴿١١٨﴾" (سورة الأعراف، الآيات 117-118)

كما نرى، عندما أدرك الناس أن السَحرة قد سحروا أعينهم وأن ما رأوه كان مجرد وهم، فَقَدَ السَحَرة مصداقيتهم تمامًا. كذلك في وقتنا الحالي، بالنسبة لهؤلاء الذي يؤمنون بادّعاءات سخيفة ويقضون حياتهم دفاعًا عنها، ما لم يتخلّوا عن الخرافات سيشعرون بالذِّلة عندما ينكشف هذا السحر وتظهر الحقيقة كاملة. الكاتب والفيلسوف البريطاني المعروف عالميًا مالكوم ماجريدج ذكر هذه الحقيقة حيث قال:

"أنا شخصيًا مقتنع بأن نظرية التطور –رغم هذا الانتشار الواسع- سوف تصبح أضحوكة كبرى في كُتُب التاريخ مستقبلًا، وستتعجب الأجيال القادمة من أن فرضية ضعيفة ومشكوك فيها قد قُبِل بها بعض الناس رغم سذاجتها." (168)

إن المُستقبل ليس ببعيد، وسيرى الناس قريبًا أنه من غير المنطقي الإيمان ب"الصدفة"، وسينظرون إلى نظرية التطور وسيعلمون أنها أكبر خداع وسِحرٍ في العالم. هذا السحر قد بدأ الناس في جميع أنحاء العالم في التخلّي عنه. يتساءل الناس الذين رأوا حقيقة هذا السحر في تعجُّب كيف انخدعوا به من قبل.

## المصادر


1. Stanley Sobottka, “A Course in Consciousness,” http://faculty.virginia.edu/consciousness/
2. Stephen M. Barr, “Retelling the Story of Science,” March 2003, http://www.firstthings.com/ftissues/ft0303/articles/barr.html
3. Amit Goswami, *The Self-Aware Universe: How Consciousness Creates the Material World*, Tarcher/ Penguin Books, 1995, p. 12.
4. Taskin Tuna, *Ol Dedi Oldu: Big Bang’in Nefes Kesen Öyküsü,* October 2005, Sule Publications, p. 59.
5. Peter Russell, “The Primacy of Consciousness,” http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html
6. Fred Alan Wolf, *The Spiritual Universe: One Physicist’s Vision of Spirit, Soul, Matter and Self*, Moment Point Press, 1999, p. 99.
7. “ Can Science Seek the Soul?”, http://www.closertotruth.com/topics/mindbrain/113/113transcript.html
8. George Gilder, http://www.taemag.com/issues/articleid.17078/article_detail.asp
9. Goswami, *The Self-Aware Universe*, p. 31.
10. David Pratt, http://www.theosophy-nw.org/theosnw/science/prat-mat.htm
11. Richard Feynman, *The Character of Physical Law*, Modern Library Edition, New York, 1994, pp. 122-123.
12. Thomas J. McFarlane, “The Illusion of Materialism,” http://www.integralscience.org/materialism/materialism.html
13. Peter Russell, “The Primacy of Consciousness,” http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html
14. Jeffrey M. Schwartz, Sharon Begley, *The Mind and The Brain:Neuroplasticity and the Power of Mental Force*, Regan Books, 2003, pp. 272-273.
15. *Ibid.*, p. 274.
16. Roger Penrose, *The Road to Reality*, Alfred A. Knopf, 2006, p. 1031.
17. Goswami, *The Self-Aware Universe*, pp. 59-60.
18. Schwartz & Begley, *The Mind and The Brain,* p. 264.
19. *Ibid.*, p. 274.
20. “What the Bleep Do We Know?,” Documentary film directed by: William Arntz and Betsy Chasse, mns: 0.22.19-0.22.28.
21. Nick Herbert, *Elemental Mind: Human Consciousness and the New Physics.*
22. *Ibid*.
23. http://www.integralscience.org/materialism/materialism.html
24. Fred Alan Wolf, *Mind into Matter: A New Alchemy of Science and Spirit*, 2001, Moment Point Press, p. 105.
25. http://www.integralscience.org/materialism/materialism.html
26. *Ibid.*
27. *Ibid.*
28. Paul Davies and John Gribbin, *The Matter Myth: Dramatic Discoveries That Challenge Our Understanding of Physical Reality*, Touchstone books, 1992, p. 14.
29. Wolf, *Mind into Matter*, pp. 6-7.
30. Stephen M. Barr, “Retelling the Story of Science,” http://www.firstthings.com/ftissues/ft0303/articles/barr.html *(Emphasis added)*.
31. http://science.howstuffworks.com/light2.htm
32. Richard L. Gregory, “The Psychology of Seeing,” in *Eye and Brain*, 5th edition, Princeton Science Library, 1997, p. 20.
33. Wolf, *Mind into Matter*, p. 136.
34. *Ibid.*, p. 137
35. M. Ali Yaz, Sait Aksoy, *Fizik 3* (Physics III), Istanbul, Sürat Publishing, 1997, p. 3.
36. http://hhmi.org/senses/b140.html
37. Peter Russell, “The Primacy of Consciousness,” http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html (*Emphasis in the original*).
38. Gregory, “The Psychology of Seeing,” in *Eye and Brain*, p. 84.
39. Daniel C Dennett, *Brainchildren: Essays on Designing Minds*, The MIT Press, Cambridge, 1998, p. 142.

40. *Ibid.*
41. Georges Politzer, *Principes Elémentaires de Philosophie* (Elementary Principles of Philosophy), Editions Sociales, Paris, 1954, p. 40.
42. Natasha Mitchell, "Is the Visual World a Grand Illusion?, Radio program, 18 January 2004, http://www.abc.net.au/rn/science/mind/s996555.htm
43. Peter Russell, *From Science to God: A Physicist's Journey into the Mystery of Consciousness*, New World Library, 2002, p. 47.
44. Rita Carter, *Mapping The Mind*, University of California Press, London, 1999, p. 107.
45. Schwartz & Begley, *The Mind and the Brain*, pp. 26-27.
46. Peter Russell, "The Primacy of Consciousness," http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html *(Emphasis added)*.
47. Marilyn Ferguson, *The Aquarian Conspiracy*, JP Tarcher, New York, 2nd ed., 1987, p. 180.
48. Craig Hamilton, *What is Enlightenment?*, No. 29, June-August 2005, p. 70.
49. Peter Russell, "The Primacy of Consciousness," http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html
50. V.S. Ramachandran and Sandra Blakeslee, *Phantoms in the Brain*, New York: William Morrow and Company, Inc., 1998, p. 66.
51. *Ibid.*, pp. 66-68.
52. *Ibid.*, pp. 70, 72.
53. Gregory, "The Psychology of Seeing," in *Eye and Brain,* p. 5.
54. Antonio Damasio, *The Feeling of What Happens: Body and Emotion in the Making of Consciousness*, Vintage Books, 2000, p. 9.
55. Susan Blackmore, *Consciousness: A Very Short Introduction*, Oxford, 2005, p. 64.
56. - Russell, *From Science to God*, p. 42.
57. Michael I. Posner, Marcus E. Raichle, *Images of Mind*, New York: Scientific American Library, 1999, p. 88.
58. Russell, *From Science to God,* p. 50.
59. Peter Russell, "The Primacy of Consciousness,http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html
60. George Berkeley, "A Treatise Concerning the Principles of Human Knowledge," 1710, *Works of George Berkeley*, Vol. I, ed. A. Fraser, Oxford, 1871.
61. Peter Russell, "The Primacy of Consciousness," http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html
62. "What The Bleep Do We Know?"
63. Bertrand Russell, *ABC of Relativity*, Routledge, London, 6th ed., 2001, p. 145.
64. J. R. Minkel, "The Hollow Universe"," *New Scientist*, 27 April 2002, no. 2340, p. 22
65. Politzer, *Principes Elémentaires de Philosophie*, pp. 38-39-44.
66. Natasha Mitchell, "Is the Visual World a Grand Illusion?," Radio program, 18 January 2004, http://www.abc.net.au/rn/science/mind/s996555.htm (*Emphasis in the original*).
67. Blackmore, *Consciousness: A Very Short Introduction*, pp. 13-14.
68. "What the Bleep Do We Know?," mns: 0.14.54 – 0.15.09.
69. *Ibid*., mns: 0.08.29 - 0.09.31
70. *Ibid*., mns: 01.37.14 – 01.37.31
71. Geoff Haselhurst, "On Metaphysics and Philosophy of Science," http://www.spaceandmotion.com/Metaphysics-Principles-Reality.htm
72. http://www.peterussell.com/Reality/realityart.html (*Emphasis in the original*).
73. Wolf, *Mind into Matter*, pp. 15-16.
74. Russell, *From Science to God*, p. 42.
75. http://www.cevaplar.org/index.php?khide=visible&sec=1&sec1=22&yazi_id=3828
76. Mitchell, "Is the Visual World a Grand Illusion?, http://www.abc.net.au/rn/science/mind/s996555.htm
77. Remez Sasson, "Reality Versus Imagination and Illusion," http://www.successconsciousness.com/index_000014.htm
78. Ramachandran & Blakeslee, *Phantoms in the Brain*, p. 94.
79. *Ibid*., p. 103.
80. *Ibid*.
81. *Ibid*., p. 26.
82. *Ibid*., p. 72.
83. http://www.edge.org/3rd_culture/ramachandran06/ramachandran06_index.html
84. V. S. Ramachandran, *A Brief Tour of Human Consciousness*, PI Publishing, 2004, pp. 2-3.
85. Schwartz & Begley, *The Mind and The Brain*, pp. 103-104.
86. *Ibid.*
87. *Ibid.*, pp. 110-111.
88. Hamilton, *What is Enlightenment?*, no. 29, June-August 2005, p. 79.
89. Schwartz & Begley, *The Mind and the Brain*, p. 105.
90. Diane Ackerman, *An Alchemy Of Mind: The Marvel and Mystery of the Brain*, Scribner Books, 2005, pp. 37-38.
91. *Ibid.*, p. 41.
92. Gerald M. Edelman and Giulio Tononi, *A Universe of Consciousness: How Matter Becomes Imagination*, Basic Books, 2000, p. 38.
93. *Ibid.*, p. 47
94. MSNBC, report titled "The Brain Teaches Computers," 6 August 2002.
95. Edelman and Tononi, *A Universe of Consciousness*, pp. 47-48
96. Ramachandran, *A Brief Tour of Human Consciousness*, p. 3
97. "What the Bleep Do We Know?," mns: 0.29.03 - 0.29.39
98.Robert Lawrence Kuhn, *Closer To Truth: Challenging Current Belief*, McGraw-Hill, 2000, p. 35

99. http://www.age-of-the-sage.org/philosophy/huxley_darwins_bulldog.html, http://www.pbs.org/wgbh/evolution/library/02/2/l_022_09.html
100. Steven Pinker, *How The Mind Works*, Norton Publishing, 1999, p. 132
101. http://www.firstthings.com/ftissues/ft0303/articles/barr.html
102. Peter Russell, "The Spirit of Now," http://www.peterussell.com/Reality/realityart.html
103. *Ibid.*
104. Ackerman, *An Alchemy Of Mind* , p. 5
105. Peter Russell, "The Primacy of Consciousness," http://www.peterrussell.com/Reality/realityart.php
106. Schwartz and Begley, *The Mind and The Brain*, Regan Books, 2003, p. 28
107. "What the Bleep Do We Know?," mns: 0.30.00 - 0:30.12
108.http://www.spiritsite.com/writing/kattar/part6.shtml
109. Wolf, *The Spiritual Universe*, p. 9.
110. Kuhn, *Closer To Truth: Challenging Current Belief*, p. 58
111. Hamilton, *What is Enlightenment?*, no. 29, June-August 2005, p. 64
112. Henri Bergson, *Matter and Memory*, Zone Books, New York, 1991.
113. E. Schrödinger, *What Is Life? and Mind and Matter*, Cambridge University Press, Cambridge, 1992, p. 123.
114. *Ibid.*, pp. 119-120.
115. Russell, *From Science to God*, p. 96.
116. Ramachandran and Blakeslee, *Phantoms in the Brain*, p. 189.
117. *Ibid*. , pp. 190-191.
118. *Ibid*., p. 190.
119. *Ibid*., p. 191.
120. Charles Darwin, *The Descent of Man*, Penguin Classics, June 2004, p. 65.
121. Ramachandran and Blakeslee, *Phantoms in the Brain*, p. 191.
122. Edelman and Tononi, *A Universe of Consciousness*, p. 81.
123. John Peet, "The True History of Mankind," http://saturniancosmology.org/files/humans/mankind.txt
124. Henry Gee, *In Search of Deep Time: Beyond the Fossil Record to a New History of Life*, The Free Press, A Division for Simon & Schuster, Inc., 1999, p. 5.
125. Phillip E. Johnson, *Reason in the Balance: The Case Against Naturalism in Science, Law & Education*, Downers Grove, Illinois: InterVarsity Press, 1995, p. 62.
126. Robert Jastrow, "Evolution: Selection for Perfection," *Science Digest*, December, 1981, p. 87.
127. Russell, *From Science to God*, p. 26.
128. J. Hawkes, "Nine Tantalizing Mysteries of Nature," *New York Times Magazine*, 1957, p. 33.
129. Tim Folger, "From Here to Eternity," *Discover*, Vol. 21 No.12, December 2000.
130. http://www.fortunecity.com/emachines/e11/86/flowtime.html
131. François Jacob, *Le Jeu des Possibles*, University of Washington Press, 1982, p. 111.
132. Lincoln Barnett, *The Universe and Dr. Einstein*, New York: William Sloane Associates, 1948, pp. 39-40.
133. *Ibid.*, p. 12
134. *Ibid.*, p. 40.
135. Paul Strathern, Einstein and Relativity: The Big Idea, Arrow Books, 1997, p. 57.
136. http://www.fortunecity.com/emachines/e11/86/flowtime.html#
137. *Ibid.*
138. *Ibid.*
139. *Ibid.*
140. Russell, *From Science to God*, p. 61 *(Emphasis in the original)*.
141. Wolf, *Mind into Matter*, p. 104 *(Emphasis in the original)*.
142. Peter Russell, "The Primacy of Consciousness," http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html
143. Peter Russell, "Mathematics and Reality," http://www.peterussell.com/Reality/realityart.html
144. Peter Russell, "The Primacy of Consciousness," http://www.peterussell.com/SP/PrimConsc.html
145. http://www.fortunecity.com/emachines/e11/86/flowtime.html#
146. *Ibid.*
147. Wolf, Mind into Matter, p. 112.
148. http://www.fortunecity.com/emachines/e11/86/flowtime.html#
149. Sidney Fox, Klaus Dose, *Molecular Evolution and The Origin of Life*, W.H. Freeman and Company, San Francisco, 1972, p. 4.
150. Alexander I. Oparin, *Origin of Life*, Dover Publications, NewYork, 1936, 1953 (reprint), p. 196.
151. "New Evidence on Evolution of Early Atmosphere and Life", *Bulletin* of the American Meteorological Society, vol 63, November 1982, 1328-1330.
152. Stanley Miller, *Molecular Evolution of Life: Current Status of the Prebiotic Synthesis of Small Molecules*, 1986, p. 7.
153. Jeffrey Bada, *Earth*, February 1998, p. 40.
154. Leslie E. Orgel, "The Origin of Life on Earth", *Scientific American*, vol. 271, October 1994, p. 78.
155. Charles Darwin, *The Origin of Species by Means of Natural Selection*, The Modern Library, New York, p. 127.
156. Charles Darwin, *The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition*, Harvard University Press, 1964, p. 184.
157. B. G. Ranganathan, *Origins?*, Pennsylvania: The Banner of Truth Trust, 1988, p. 7.
158. Darwin, *The Origin of Species: A Facsimile of the First Edition*, p. 179.
159. Derek A. Ager, "The Nature of the Fossil Record," *Proceedings of the British Geological Association*, vol. 87, 1976, p. 133.
160. Futuyma, *Science on Trial*, p. 197.

161. Solly Zuckerman, *Beyond the Ivory Tower*, Toplinger Publications, New York, 1970, pp. 75-14; Charles E. Oxnard, “The Place of Australopithecines in Human Evolution: Grounds for Doubt,” *Nature*, vol. 258, p. 389.
162. “Could science be brought to an end by scientists’ belief that they have final answers or by society’s reluctance to pay the bills?” *Scientific American*, December 1992, p. 20.
163. Alan Walker, *Science*, vol. 207, 7 March 1980, p. 1103; A. J. Kelso, *Physical Antropology*, 1st ed., J. B. Lipincott Co., New York, 1970, p. 221; M. D. Leakey, *Olduvai Gorge*, vol. 3, Cambridge University Press, Cambridge, 1971, p. 272.
164. Jeffrey Kluger, “Not So Extinct After All: The Primitive Homo Erectus May Have Survived Long Enough To Coexist With Modern Humans”, *Time*, 23 December 1996.
165. S. J. Gould, *Natural History*, vol. 85, 1976, p. 30.
166. Zuckerman, *Beyond The Ivory Tower*, p. 19.
167. Richard Lewontin, “The Demon-Haunted World,” *The New York Review of Books*, January 9, 1997, p. 28.
168. Malcolm Muggeridge, *The End of Christendom*, Grand Rapids:Eerdmans, 1980, p. 43.

## RESİMALTI YAZILARI

S.18
ستانلي سوبوتكا

S.19
أميت جوسوامي

S.23
"اللَّـهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾" (سورة الروم، الآية 11)

S.24
السير إسحاق نيوتن

S.26
ماكس بلانك

S.27
اقترح ماكس بلانك "نظرية الكم" في أوائل القرن العشرين، معلنًا أن الضوء له كل من الخواص الموجية وخواص الجسيمات.
الأجسام الساخنة مثل سلك المصباح الكهربي تشع ضوءًا.
أحيانًا يسلك الضوء سلوك تيار من الجسيمات.
أحيانًا يسلك الضوء سلوك الموجات.

S.30
"إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ فِي سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ يَطلُبُهُ حَثيثًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمرِهِ أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّـهُ رَبُّ العالَمينَ ﴿٥٤﴾" (سورة الأعراف، الآية 54)

S.31
وفقًا لفيزياء الكم، يعتمد وجود المادة على وجود "المراقب". أي أنّ القمر ليس موجودًا في السماء طالما لا يوجد مراقِب!

S.34
أُجريت تجربة شِقّيّ يونغ من قِبَل العالِم توماس يونغ من أجل إثبات أن الضوء والإلكترونات كلاهما يتصرفان على شكل موجة. إذا قمنا بدفع حبات من الرمال من مصدرٍ ومرّت خلال شِقّين، سيتشكّل نمطان متساويان على الشاشة المُستقبِلة على الجانب الآخر. من المتوقع أن نحصُل على نفس النتيجة إذا كررنا التجربة باستخدام إلكترونات. لكن هذا ليس هو ما يحدثُ تُكوّن الإلكترونات نمطًا على الشاشة مشابهًا للذي يتكون من الموجات. هذا إثبات على أن الإلكترونات أحد أهم مكونات الذّرة ليست جسيمات.

جهاز كاشف

نمط مُكتَشف

جهاز كاشف

نمط مُكتَشف

مُرشَّح

جهاز كاشف

الضوء المُستقطَب

نمط مُكتَشف

S.36
فريد آلن وولف

S.39
ما أثبتته تجربة شِقيّ يونغ هو أن الإلكترونات لا يمكن فهمها من خلال المفاهيم الرياضية والفيزيائية المعروفة. على أية حال، نحن ليس لدينا اتصال مباشر مع الواقع الخارجي. من المستحيل أن نخرج خارج حدود تصوراتنا ونصل إلى العالم الخارجي.

S.43
ستيفن بار

S.44
أحد الأسباب الرئيسية لانخداع الكثير من الناس هو اعتقادهم بأنه لا وجود إلا للمادة. بناءً على هذا المنظور، فإنهم يُطبِّقون فرضية المادّيين لنشأة المادة على أنفسهم، ويعتقدون أنهم أتوا إلى هذا العالم دون غاية محددة. هؤلاء الناس غير قادرين على رؤية أدلّة وجود الله، وينخدعون بسِحر المادّية.
والحقيقة أن الكون بأكمله بكل ما فيه قد خُلِق لغاية محددة. إنه الله سبحانه وتعالى الذي خلق كل شيء من العدم.

S.48
" إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا اللَّـهُ وَإِنَّ اللَّـهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾" (سورة آل عمران، الآية 62)

S.49
الضوء هو عبارة عن طاقة تتصرف كموجة. موجات الضوء تُشبِه موجات الماء، لكن موجات الضوء لا تحتاج إلى وسط لتنتقل خلاله، إذ يمكن للضوء الانتقال عبر الفراغ. وبالتالي يمكن أن توجد الطاقة الضوئية حيث لا توجد مادّة.
تردد الراديو وجهاز للقياس

S.50
تلسكوب عملاق لأشعة غاما ذو ستة مرايا على جبل هوبكنز

S.51
الضوء المرئي والأشعة تحت الحمراء القريبة والأشعة فوق البنفسجية القريبة التي تصل إلينا من الشمس تحتل وحدة واحدة من الطّيف الكهرومغناطيسي. أي أن الضوء الذي يصلنا من الشمس هو بمثابة واحد من $10^{25}$ ورقة لعب وُضِعت فوق بعضها البعض. هذه الأشعة التي تصلنا كافية وحدها لدعم الحياة على الأرض.

S.52
العصب البصري

عدسة

حَـدَقَة العين

القُـزَحِيَّة

القرَنيّة

الملتحمة

الأوعية الشبكية

شبكية العين

المشيمية

الصُّلْبَة (بياض العين)

الضوء مثل الصوت يتكون من أوكتافات (نطاقات). كل نطاق يتحدد من خلال تردد موجات الضوء. على سبيل المثال، النطاق ال48 يُمثِّل ضوء الأشعّة تحت الحمراء، وال49 يمثِّل الضوء المرئي، وال50 يُمثِّل ضوء الأشعة فوق البنفسجية. كل موجة ضوء، من الاهتزازات دون الصوتية والاهتزازات فوق الصوتية إلى موجات الراديو والموجات الصُغْرِيّة (الميكروويف) والأشعة تحت الحمراء، والضوء المرئي، والأشعة فوق البنفسجية وأشعة غاما، والأشعة الشمسية هي نطاق مختلف في الطيف الكهرومغناطيسي.

S.56
تلتقط أجهزة الأشعة السينية الصور عن طريق تحويل تأثير موجات الراديو إلى ضوء مرئي على فيلم فوتوغرافيّ.

S.57
في الظروف العادية، لا يمكننا ملاحظة موجات الراديو من خلال حواسّنا.
تُحوِّل أجهزة الراديو هذه الموجات إلى موجات صوتية تستطيع آذاننا سماعها.

S.58
الأشعة فوق البنفسجية التي تحمل طاقة أكبر، يمكن أن تتسبب أحيانًا في إحداث خلل في الشفرة الوراثية لخلايا الكائنات الحية.

S.59
لا توجد حرارة أو ضوء بالخارج، إنما يُقوم مركز الإدراك داخل المخ بتحويل الجسيمات التي تنتقل على ترددات مختلفة إلى صورة واضحة يمكن إدراكها.

S.61
العالم المليء بالحيوية الذي نعتقد أنه موجود خارج أعيننا هو في الواقع وهم ينشأ على هيئة تصورات لدينا. إن منظر البحر الذي نشاهده في يوم مشمس هو مجرد صورة تشكّلت من خلال الإشارات الكهربائية المُرسَلة إلى المخ. من المستحيل أن تكون لنا خبرة مباشرة بأصل الصُور التي ندركها.

S.62
"هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً وَالقَمَرَ نورًا وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعلَموا عَدَدَ السِّنينَ وَالحِسابَ ما خَلَقَ اللَّـهُ ذلِكَ إِلّا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمونَ ﴿٥﴾" (سورة يونس، الآية 5)

S.66
العصب البصري

الخلايا العصوية

الخلايا المخروطية

يتم استقبال الضوء في طبقة الشبكية في العين أولًا. تستجيب الأنواع الثلاثة الرئيسية من الخلايا المخروطية في شبكية العين للأطوال الموجية المختلفة. تنشأ ملايين الدرجات المختلفة من اللون الواحد نتيجة لتحفيز الخلايا المخروطية بنسب مختلفة. هذه الألوان تتحول إلى إشارات كهربائية في الخلايا المخروطية، وتنتقل إلى العصب البصري. نتيجة لذلك يتكون العالم المشرق الذي نراه بكل ما فيه من ألوان. لكن في الواقع، لا توجد أية ألوان في أي مكان داخل المخ. هذا العالم بكل ما يحتويه ممن ألوان هو مجرد إدراك.

S.67
كل موجات الضوء تتكون من إشعاع كهرومغناطيسي. السبب في أن بعض هذا الإشعاع ضار والبعض غير ضار هو اختلاف الأطوال الموجية –وبالتالي اختلاف الطاقة- لكلٍ منها.

S.68
في الواقع، لا يوجد أي لون في الفضاء الذي نشير إليه ب"الخارج". حركة الفوتونات التي ندركها كضوء له ألوان مختلفة هي مجرد ظاهرة إدراكية تنشأ في منطقة مظلمة تمامًا.

S.69
بما أن اللون مرتبط بإدراك كل إنسان، فمن المستحيل أن نعرف إذا ما كان العالم الذي ندركه يبدو بنفس الشكل بالنسبة لغيرنا من الناس أم لا. الجسم الذي نراه أحمر اللون، قد يكون له درجة مختلفة تمامًا من اللون بالنسبة لشخص آخر. لا توجد أيّة طريقة لمقارنة إدراك الآخرين للون بإدراكنا.

S.72

صورة لزهور تُرى عن طريق العين البشرية.
يرى النحل الزهور نفسها بهذا الشكل.

S.73

كل ما نعلمه عن العالم الخارجي هو عن طريق حواسّنا. إذا انقطعت الإشارات الكهربائية التي تصلنا عن طريق حواسنا، سيختفي العالم الخارجي بالنسبة لنا فقط.

S.79

لا يوجد شخص صغير الحجم داخل المخ يراقب ما يحدث. الأبحاث التي أُجريت على المخ لا يمكنها الإجابة على سؤال "من الذي يدرك بالفعل؟"، لأن الروح التي تُدرك ليست كيان ماديّ.

S.80

الضوء المارّ من خلال عدسة العين يُنتِج صورة مقلوبة على الشبكية في الجزء الخلفي من العين. تقوم الخلايا العصوية والخلايا المخروطية بتحويل تلك الصورة إلى إشارات كهربائي يتم إرساله إلى مركز البصر في الجزء الخلفي من المخ. بعد ذلك، يُحوِّل المُخ هذه الإشارات إلى صور ثلاثية الأبعاد ذات معنى.

S.83

لا يوجد داخل المخ أطفال يجرون ولا سماء زرقاء صافية ولا سفن طافية على سطح البحر. كل ما يوجد داخل المخ هي إشارات كهربائية.

S.84

المخ

خلايا عصبية

S.86

محور عصبي

عندما تنظر إلى كتاب أو قلم أو إنسان، يحدث نشاط عصبيّ مختلف مع اختلاف الجسم الذي تدركه، فتتعرف المراكز العصبية العليا على ماهية ما تنظر إليه.
مع ذلك، فإن العمليات الكيميائية العديدة التي تحدث هناك ليست كافية من أجل حدوث الإبصار، لأنه لا يوجد شخص صغير يرى الصُور داخل المخ. إنها الروح البشرية هي التي تلاحظ العالم الخارجي وتجعله ذو معنى بالنسبة لنا.

نهاية مشبكية

S.87

النواقل العصبية

الحويصلات المشبكية

شق مشبكي

مُستقبِلات

جسم الخلية

القناة الايونية

الميتوكوندريا

الزائدة الشجرية

غشاء قبل مشبكي

الحويصلات المشبكية

الحويصلة بعد المشبكية

غشاء قبل مشبكي

غشاء بعد مشبكي

شق مشبكي

S.88

عالِم الفيزياء الحيوية البريطاني الذي حاز على جائزة نوبل لمشاركته في اكتشاف التركيب الحلزوني المزدوج لجزيء الحمض النووي.

S.89

نحن متأكدون أننا نرى الحالة الحقيقية للأجسام في العالم الخارجي. إلا أننا في الواقع يستحيل أن يكون لنا اتصال مباشر بأصل هذا الجسم، فكل ما نراه هو مجرد وهم. ومع ذلك فإننا ليس لدينا أي شك في أننا نرى الصور الأصلية بالخارج.

S.95

الأصوات القادمة من الخارج تتحول بواسطة الأذن الخارجية والأذن الوسطى إلى موجات في الأذن الوسطى. تحدث عمليات عديدة ينتج عنها انتقال هذه الموجات في صورة إشارات كهربائية إلى المخ، حيث يتم إدراك هذه الإشارات كأصوات. لذلك، فإن الصوت بالخارج موجود بالنسبة لنا ما دُمنا ندركه. ما نسمعه ينتج عن تلك الإشارات الكهربائية الموجودة داخل المخ.

موجات الصوت

قوقعة الأذن

موجة صوتية معقَّدة

العظم الركابي

الغشاء الطبلي

قوقعة الأذن

جزء من قوقعة الأذن

ألياف العصب السمعي

خلية الشعر

السعة النسبية للحركة في الغشاء

غشاء قاعدي

قشرة الحركة في المخ

ألياف العصب السمعي تنتهي في خلايا عصبية مختلفة، وفقًا للترددات المختلفة

القشرة السمعية

مستوى مكون من مقطع عرضي

القشرة السمعية

المِهاد

جذع الدماغ

المخيخ

S.97

نحن نعتقد أن الأصوات تصلنا من العالم الخارجي. على الرغم من ذلك، الأصوات التي نسمعها هي جزء من عالمنا الإدراكي، وليست لدينا طريقة لمعرفة ما إذا كانت هذه الأصوات مطابقة للأصوات في العالم الخارجي أم لا.

S.99
جهاز الشم

المِهاد

مركز المعالجة

البصلة الشمية

القشرة المسئولة عن التذوق

الخلايا العصبية في النسيج الطلائي الخاص بالشم

القشرة المسئولة عن الشمّ

مركز المعالجة

اللسان

الحبل الشوكي

براعم التذوق

الأعصاب

S.100
"ذَلِكُمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾" (سورة غافر، الآية 62)

S.101
" وَاللَّـهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾" (سورة الصافات، الآية 96)

S.104
الإحساس الذي ينشأ عندما نلمس شيء ما يصل إلينا في صورة إشارات كهربائية فقط. إحساسنا أي مادّة ندركها يتم عن طريق إشارات كهربائية. لذلك لا يمكننا لمس أصل أي جسم موجود بالخارج. من المستحيل أن نعرف كيف يبدو أي جسم ماديّ، ومن المستحيل معرفة طبيعة العالم الخارجي.

الجلد

يبين الرسم التوضيحي العمليات التي تجري ما بين الأصابع والمخ عند لمسنا أي شيء.

جسيم مايسنر

عقدة رانفييه

اتجاه النبض العصبي

خلية شوان

غلاف المايلين

محور عصبي

اتجاه النبض العصبي

S.105
المخ

القشرة الحسية

المِهاد

نقطة تقاطع المسار

الحبل الشوكي

اتجاه النبض العصبي

مقطع عرضي للحبل الشوكي

عقدة (تَجمُع من الخَلايا العَصبية) الحبل الشوكي

نواة الخلية

S.107

عندما تلمس يدّنا شيئًا ساخنًا، لو لم تكن الأعصاب المسئولة عن نقل الإحساس بالحرارة إلى المخ موجودة، لما شعرنا بأن يدّنا تحترق من الحرارة، لأن هذا الإحساس ينشأ في عالمنا الإدراكي فقط.

منطقة حسّية

المخ

الجلد

المِهاد

الحبل الشوكي

عصب حسّي

عصب حركيّ

ألياف عضلية

S.108

في الواقع لا توجد مسافة بيننا وبين شخص نتخيل أنه يقترب إلينا من بعيد. الإحساس بالمسافة الذي ندركه هو مجرد تفسير من قِبل المخ. كل شيء نراه يوجد في نقطة واحدة داخل المخ.

S.111

نحن مقتنعون تمامًا أن الشخص الآخر يبعد عنّا بمسافة، لذلك نصرخ بصوت عالٍ لكي يسمعنا ونركض من أجل اللحاق به. والحقيقة أن ذلك الشخص الذي نحاول اللحاق به موجود في نفس مكاننا. نحن لا نتحرك، والشخص الآخر لا يقترب مِنّا. الصورة التي نراها والمسافة التي نتخيلها تنشأ كإدراك داخل الدماغ.

S.112

عندما نرى طائرة تطير في السماء نتخيل أنها تبعد عنّا عدة كيلومترات، لكن في الحقيقة هي موجودة داخل مخّنا، ولا توجد مسافة بيننا وبين الطائرة.

S.113

"الوعي هو شيء مشترك بيننا جميعًا، لكن ما يحدث في وعينا، وحالات الوعي التي تنشأ لدينا، تختلف اختلافًا كبيرًا. هذا هو واقعنا الشخصي، الواقع الذي نعلمه ونختبره. دائمًا نخطئ بين الواقع الشخصي والواقع الماديّ، ونظن أننا لدينا اتصال مباشر بالعالم "خارجنا". لكن الألوان والأصوات التي نختبرها هي في الواقع ليست بالخارج، إنما هي صور في عقولنا، صور أنشأناها للواقع. هذه الحقيقة تجعلنا نعيد التفكير بشكل جذري في العلاقة بين الوعي والواقع."

-بيتر راسل

كتاب "من العِلم إلى الإله: رحلة فيزيائي في سرّ الروح - From Science to God: A Physicist's Journey into the Mystery of Consciousness"،

الناشر "New World Library "، 2002، الصفحة 39.

S.119

يمكننا فقط رؤية ما ينتقل إلينا وما يظهر لنا، وكل ذلك يدور في عقولنا. مكان عملك، منزلك، حياتك، كل ذلك موجود في عقلك. العالم المادّي الذي تقتنع بأنه موجود بالخارج هو في الواقع مجرد نسخة.

S.125

"الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾" (سورة البقرة، الآية 147)

S.129

عندما تحلم، تكون عينك مغلقة، ولا تركض، ولا ترى أو تتحدث إلى أي أحد. لكن الناس والبيئة من حولك، والأحداث التي تمر بها تبدو كلها واقعية لدرجة تجعلك واثقًا من ذلك. الأحلام هي دليل هام على أن العالم الخارجي هو في الواقع مجرد مجموعة من التصورات.

S.133

أحيانًا نحلم أننا نشم زهرة، فنشعر برائحتها العطِرة. السبب في ذلك أن نفس العمليات التي تتم في المخ عندما نشم زهرة حقيقية تحدث عندما نحلم بأننا نشم زهرة.

S.137

يمكنك تجربة هذا الاختبار لتفهم النقطة العمياء بشكل أفضل.
أغلق عينك اليمنى، وضع هذا الكتاب أمام وجهك على مسافة 50 سنتيمتر منه. ركّز بعينك على النقطة فقط، عندما تقترب منها ستجد العلامة السوداء على اليسار اختفت للحظات. لقد ملأ مخّك هذه المنطقة السوداء التي لا يستطيع رؤيتها باللون الأبيض لأنه هو الموجود في الخلفية.

S.144

كل خلية عصبية في المخ تنشئ ما يصل إلى 10 آلاف اتصال مع خلايا عصبية أخرى. تُعرف أماكن الاتصال بنقاط الاشتباك العصبي، وهي الأماكن التي يتم فيها تبادل المعلومات. عدد التباديل والتوافيق الممكنة لهذا التبادل يتجاوز عدد الجسيمات الأولية المعروفة في الكون.

S . 1 4 7

أجهزة الكمبيوتر ما هي إلا تقليد لنظام المتكامل داخل المخ. وحدة واحدة من المعلومات داخل المخ يمكن أن تنتشر فورًا بين مئة ألف خلية. لذلك، فإن مخّ الإنسان أسرع بمئات آلاف المرّات من أسرع أجهزة الكمبيوتر. المقارنة بين مخّ الإنسان والتكنولوجيا الحديثة مستحيلة.

S . 1 4 8

داخل المخ، أين يقع العالم الخارجي، وأين الخاصية التي تجعل الإنسان إنسانًا؟ هل يمكن للخلايا العصبية التي تتكون من ذرّات عمياء لاواعية أن تكون هي مصدر الوعي؟
بالطبع لا! فمصدر هذا الوعي هي الروح البشرية.

S . 1 5 5

"وَهُوَ الَّذي أَنشَأَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ فَمُستَقَرٌّ وَمُستَودَعٌ قَد فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهونَ ﴿٩٨﴾" (سورة الأنعام، الآية 98)

S . 1 5 7

" الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾" (سورة السجدة، الآيات 7-9)

S.159

على عكس الفكرة التي يحاول العلماء المادّيون فرضها، فإن الوعي لا يمكن تفسيره. الروح التي أنعم الله بها على البشر هي كيان واعٍ مدرك لوجوده. مهما أنكر المادّيون ذلك، فإن أي إنسان واعٍ سيعلم أن لديه روحًا بكل تأكيد.

S . 1 6 0

رؤية المادّيين عن العالم، والأفكار التي روّجوا لها لسنوات من خلال أساليب غسيل الدماغ، قد بطُلت تمامًا من خلال إثبات وجود الروح وقبول ذلك علميًا.

S . 1 6 2

" إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾" (سورة الإنسان، الآيات 2-3)

S . 1 6 3

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّـهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (سورة البقرة، الآية 164)

S . 1 6 7
الوعي ليس موجودًا في أي مكان في الجسم، والإنسان هو كيان أبعد من كل المفاهيم المادّية. الإنسان كيان ميتافيزيقي، وما يجعل الإنسان إنسانًا هي الروح التي لديه. هذه الروح هي ملك لله سبحانه وتعالى وحده.

S . 1 6 9
الإنسان هو كيان له روح منحه الله إياها. هذه الروح أبدية. سيترك الإنسان جسده في هذه الدنيا عند موته، لكن روحه ستعِش إلى الأبد في الآخرة.

S . 1 7 7
ما نمر به خلال حياتنا في هذه الدنيا، هو اختبار لنا من الله. مسئوليتنا أن نتحلّى بالأخلاق الحسنة التي تُرضي الله.

S.191
تزعم نظرية التطور لداروين أن النمور والظباء والأرانب –باختصار، كل الكائنات الحية على الأرض- نشَأَت عن طريق الصدفة دون تدّخل واعٍ حكيم.
يعتقد الماديُّون أن الصدفة قادرة على إحداث معجزات التطور.
هذه النظرية، التي تتعارض مع العلم والمبنية على أسُسٍ غير منطقية، انهزمت تمامًا أمام تركيب الكائنات الحية الدقيق والمعقّد. هذا التركيب المُعقّد للكائنات الحيّة دليل على قدرة الله وكمال خلقه.

S . 1 9 2
قضى العلم في القرن العشرين على نظرية التطور من خلال أدلّة من علم المتحجرات وعلم الأحياء وعلم الوراثة. تبين أن النظرية تفتقد إلى دليل، وأُثبِت أن الكائنات الحية بتركيبها المُعقّد قد خُلِقت.

S . 1 9 4
حفرية لأسماك الكولاكنث يبلغ عمرها 150 مليون سنة.

S.203
"أَفَمَن يَخلُقُ كَمَن لا يَخلُقُ أَفَلا تَذَكَّرونَ ﴿١٧﴾" (سورة النحل، الآية 17)

S.216
واحد من توأم يسافر في الفضاء بسرعة قريبة من سرعة الضوء، بينما يظل الآخر على الأرض.
باستخدام تلسكوب، يرى الأخ الموجود على الأرض أن أخيه يبدو أصغر منه.
يعود الأخ الذي سافر عبر الفضاء إلى الأرض. الأخ الذي ظلّ على الأرض كبُر في السن، بينما الأخ المسافر عبر الفضاء أصغر منه بكثير.
وفقًا لمفارقة التوأم لأينشتاين، أحد الأخوين التوأم يظل على الأرض بينما يسافر الآخر عبر الفضاء بسرعة قريبة من سرعة الضوء.
عندما يعود الأخ المسافر إلى الأرض، سيجد أن توأمه أكبر منه في السن. السبب في ذلك هو أن الوقت يمر أبطأ بالنسبة للأخ الذي يسافر في الفضاء بسرعة كبيرة تقترب من سرعة الضوء.

S.221
عندما تزداد سرعة المُراقِب، يتباطأ الزمن ويتقلص المكان في اتجاه الحركة. أوضح أينشتاين أن ما نعتبره زمانًا ومكانًا بشكل منفصل، هما في الواقع عنصري فضاء واحد يسمى بالزمكان. يعتمد الزمان والمكان على إدراكنا بشكل مباشر.

S.223

تخيَّل شُرطيّ يقود درّاجة نارية ليلحق بسيّارة مسرعة.
وِفقًا لنيوتن، فإن سائق السيارة سيبدو ثابتًا بالنسبة للشرطيّ.
لماذا يختلف الموقف بالنسبة للشرطيّ، عمّا تشاهده أنت إذا كنت واقفًا على الرصيف؟ السبب أن الوقت تباطأ بالنسبة للشُرطيّ.
إذا شاهدت هذا المنظر من الرصيف، ستبدو كل من السيارة والدراجة النارية أنها تتحرك بسرعة كبيرة.

وِفقًا لأينشتاين، فإن الوقت نسبي. عندما تتحرك بسرعة كبيرة، يصبح الوقت أبطأ. أي أن الثانية على سطح الأرض ليست هي نفس الثانية في أي مكان آخر في الفضاء.

دعنا نستبدل السيارة بشعاع ضوئيّ.
وفقًا لنيوتن، الوقت ثابت في الكون كله، أي أن الثانية على سطح المريخ هي نفس الثانية على سطح الأرض.
لو تحرّك الشُرطيّ بسرعة قريبة من سرعة الضوء، سيخبرك أنه مهما وصلت سرعته فإن سرعة الضوء ظلّت ثابتة.

S.227
الله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق لنا الصور والأصوات والأطعِمة، أي العالم الخارجي بأكمله، وإدراك الوقت، وهو الذي يعلم كل شيء عن مخلوقاته. كل شيء خاضِع لحكمه. خلق الله كل شيء، وعِلمه –سبحانه وتعالى- بجميع مخلوقاته يبيّن لنا حقيقة القدر.

S.228

بالنسبة لله سبحانه وتعالى، فإن كل شيء منذ لحظة خلْق الكون إلى نهايته قد حدثت وانتهت. لا يخضع الله –سبحانه- للمكان والزمان مثلنا، فهو خالق المكان والزمان. كل الأحداث ما هي إلا لحظة واحدة بالنسبة له، وهو عليم بالماضي والمستقبل، فهو الذي حدّدهم.

S.230
جميع الناس استسلموا لأقدارهم. كل ما حدَث لأي إنسان وما سيحدث له يعلمه الله، ولا يمكن لأي إنسان التحكم في مستقبله. لهذا السبب، أفضل شيء يمكن فعله هو الإيمان بالقدر والخضوع لله سبحانه وتعالى.

S.232
"وَإِن يَمسَسكَ اللَّـهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ وَإِن يُردكَ بِخَيرٍ فَلا رادَّ لِفَضلِهِ يُصيبُ بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَهُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ ﴿١٠٧﴾ " (سورة يونس، الآية 107)

S.233
". . . وَكَانَ أَمْرُ اللَّـهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾" (سورة الأحزاب، الآية 38)

S.252
تشارلز داروين

S.254
عالِم الأحياء الفرنسي لويس باستور

S.255
عالِم الأحياء الروسي ألكسندر أوبارين

S.256
ستانلي ميلر

S.257
أحد أكبر أخطاء أنصار التطور هو اعتقادهم بأن الحياة يمكن أن تنشأ تلقائيًا في بيئة توصف بالأرض البدائية، كما هو مُبيّن في الرسم التوضيحي أعلاه. سعى الكثيرون لإثبات أن هذه المزاعِم بوسائل عديدة مثل تجربة ميلر. لكنهم دائمًا ما ينهزموا أمام الاكتشافات العلمية. أثبتت نتائج أبحاث في سبعينات القرن الماضي أن الغلاف الجوّي للأرض البدائية لم يكن مناسبًا على الإطلاق لنشأة الحياة.

S.259
وفقًا للانتخاب الطبيعي، فإن الأصلح بين الكائنات الحية والأكثر قدرة على التكيّف مع البيئة يبقى على قيد الحياة بينما يموت الآخرون. لكن أنصار التطور يزعمون أن الانتخاب الطبيعي أدّى إلى تطور الكائنات الحية ونشأة أنواع جديدة. والحقيقة هي أن مِثل هذه النتائج لا تنتج عن الانتخاب الطبيعي، ولا يوجد أي دليل يدعم هذا الادّعاء.

S.260
اعتقد لامارك أن الزرافات تطورت من حيوانات تشبه الظباء. وفقًا لوجهة نظر لامارك، نمت أعناق هذه الكائنات بسبب محاولتها أكل أوراق الأشجار، وتحوّلت تدريجيًا إلى الزراف. أثبتت قوانين الوراثة التي اكتشفها مندل عام 1865 أن الصفات المكتسبة من المستحيل أن تُورَّث إلى الأجيال التالية. لذلك تم الاستغناء عن فكرة لامارك تمامًا.

S.261
الطفرات العشوائية دائمًا ما تكون ضارّة بالكائنات الحية. يظهر في الصورة عجلًا وُلِد برأسين نتيجة تعرّضه كجنين لإشعاع أو مواد كيميائية.

S.263
تدّعي نظرية التطور أن الكائنات الحيّة تطورت تدريجيًا عن بعضها البعض. لكن السجل الأحفوري يُبطِل هذا الادّعاء بشكل واضح. على سبيل المثال، في العصر الكمبري الذي بدأ منذ 530 مليون سنة، ظهرت عشرات الأنواع من الكائنات الحية المختلفة بشكل مفاجئ. هذه الكائنات، المُبيّنة في الرسم التوضيحي، كان لها تركيبًا معقّدًا للغاية. هذه الحقيقة، المعروفة لدى علماء الجيولوجيا بالانفجار الكامبري، دليل واضح على الخلق.

S.271
مُقارنةً بالكاميرات الحديثة وأجهزة تسجيل الصوت المتطورة، فإن العين والأذن أكثر تعقيدًا بكثير، كما أنه لا يوجد بهما أية عيوب.

S.273
نحن نقضي حياتنا كلّها داخل مخّنا. الناس الذين نراهم، والزهور التي نشمّها، والموسيقى التي نستمع إليها، والفاكهة التي نتذوقها، وإحساس اللمس كالإحساس بالرطوبة . . . كلها تنشأ داخل المخ. لكن داخل المخ لا توجد ألوان ولا أصوات ولا صور. كل ما هو موجود في المخ هي إشارات كهربائية. باختصار، نحن نعيش في عالم يتكون من إشارات كهربائية. هذه ليست مسألة رأي أو فرضية، هي حقيقة علمية عن كيفية إدراكنا للعالم.

S.285

" قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٣٢﴾" (سورة البقرة، الآية 32)